التأصيل الإسلامي

التيارات الوافدة والفرق الضالة والفلسفات الهدامة

أنور الجندي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الكتاب : التأصيل الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

رقم الإيداع ٨٤٨٢ / ٩٥

I . S . B . N
977-5502-18-7

الناشر

دار الهداية

آفاق البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

التيارات الوافدة

لا ريب أن التيارات الوافدة على الفكر الإسلامي كانت ثمرة الغزو الفكري الذي عمل على (تزييف) مفهوم الإسلام الأصيل بإدخال تفسيرات وتأويلات من شأنها أن تصور الإسلام بصورة الدين اللاهوتي المنفصل عن الحياة .

ذلك أن الهدف الحقيقي والأكبر للتيارات الوافدة هو احتواء الإسلام في مفهوم الدين الغربي اللاهوتي وحجبه عن منهجه في بناء المجتمع وتنظيمه .

فإذا تحقق هذا الغزو الفكري أصبح الفكر الإسلامي مغرباً تماماً واصبح المسلمون وقد انصهروا في الحضارة الغربية وفقدوا تميزهم الخاص الذي أعطاهم " الخاصية الربانية " التي من شأنها أن تُبلغ الإسلام للبشرية وتقيم مجتمعه الأصيل على الأرض .

وقد استهدفت ، التيارات الوافدة (التي حاول النفوذ الأجنبي من خلال مرحلة الاستعمار أو مرحلة الموالاه القائمة اليوم في العالم الإسلامي كله للنفوذ الغربي) . تدمير مفهوم الإسلام الصحيح الجامع ؛ بالتشكيك فيه ، وتمزيق وحدته ، وإثارة الشبهات حول حقائقه :

أولاً : تمزيق الوحدة الإسلامية بالدعوة إلى القوميات والإقليميات والقبلية والطائفية بما يؤدي إلى الشعوبية .

ثانياً : هدم عقيدة التوحيد الخالصة وذلك بإحياء الفكر الوثني القديم (الدهرية - الباطنية - الإلحاد - التصوف الفلسفي) .

ثالثاً : هدم الثقافة الإسلامية الجامعة المتميزة بتكاملها (بين الروحية والمادية) وذلك بإذاعة الفلسفة المادية (نظرية دارون - التفسير المادي للتاريخ - الروحية الحديثة) .

رابعاً : هدم مفهوم الإنسانية ، بإذاعة مفهوم الماركسية والوجودية ومفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية .

خامساً : هدم مفهوم الشريعة الإسلامية ، بإشاعة مفهوم القانون الوضعي والعلمانية .

سادساً : زلزلة مفهوم عالمية الإسلام ، بالدعوة إلى وحدة الأديان والقاديانية والبهائية .

❁ ❁ ❁

وقد عمد النفوذ الغربي إلى ما أسماه (حرب الكلمة) وهو محاولة هدم (أصالة) مفهوم الإسلام بتمزيقه وتأويله وتفسيره تفسيراً باطلاً وقد استخدم لذلك عدة مؤسسات كبرى لها قدرتها في العمل ووسائلها وتمويلها .

تبدأ هذه المؤسسات من الاستشراق والتبشير وتمتد إلى احتواء الدعوات الهدامة البارزة اليوم وذات الطابع الإسلامي الزائف (القاديانية ، والبهائية) .

وتطعم هذه الدعوات بمفاهيم الماسونية التي هي خلاصة الفلسفة الهادمة للأديان والمتسلطة على البشرية في هذا العصر لإخراجها من النور إلى الظلمات . وحيث يعمل الاستشراق في مجالاته الثلاث :

الاستشراق الغربي المسيحي ، الاستشراق الماركسي ، الاستشراق اليهودي .

نجد علوماً للنفس والأخلاق والاجتماع لها طابع مسيحي وأخرى لها طابع يهودي ، وكلاهما يستمد أصوله من الفكر الهليني الإغريقي والفكر اليوناني ، ومن عصارة ما شكلته العقليات الهادمة للدين في العصور كلها : الفكر الباطني والفكر العقلاني .

وفي مجال الاقتصاد نجد فكر المؤسسة العالمية (إمبراطورية الربا) المسيطرة على الاقتصاد العالمي كله والمصارف والأسواق .

خطة الغزو :

الهدف من الغزو تفريغ مجتمع الأمة الإسلامية من قدراته التي أعطاها له الإسلام وفي مقدمتها قدرته في الدفاع عن نفسه وقيامه على الإعداد والمرابطة في الثغور والقدره على الردع فتلك هي مسئوليته الأولى في حماية وجوده وكيانه من المؤامرة الخارجية التي كانت دائماً هي المنفذ لهزيمته ومن ثم فإن العودة إلى حشد القوى وبناء الإنسان المسلم القادر على الارتفاع فوق أمور الترف والانحلال والفساد الخلقي والرخاوة هي المنطلق الحقيقي للعودة إلى امتلاك الإرادة .

نعم : هناك خطة واضحة تتمثل في عديد من المجالات (وخاصة في مجال الترويح والتسلية ، والمجال الاجتماعي) ترمي إلى القضاء على روح المقاومة والجهاد وخلق حالة أمن كاذب يتمثل في روح الاستسلام الكامل أمام احتواء الحضارة الغربية لعالم الإسلام ومجتمعه .

ونحن مطالبون بالاحتفاظ بروح الإسلام وهي روح المقاومة والجهاد للحفاظ على الذاتية الإسلامية المتميزه (التي بناها الإسلام منذ أربع عشر قرناً من أجل تحرير العالم كله من الوثنيات والتعدد والتجسيم) من الانصهار في أي ذاتية أخرى أو حضارة عالمية.

ولما كانوا يخططون في مكر ودهاء شديدين لصهر هذه العناصر كلها في الحضارة الغربية فإن الوسيلة إلى هذا هي : تحطيم أجنحة الإسلام التي يطير بها : التوحيد والأخلاق ، الطابع الخاص المتميز .

فإذا انصهر المسلمون في الحضارة العالمية والتي تمر اليوم بمرحلة : الأفول والانهيار بشهادة أهلها ، زالت ذاتيتهم وذابت قوتهم واستسلموا بالقبول للواقع المعاصر الذي يحاول أن يلتهمهم ويدمر وجودهم كله .

ولما كانت (إمبراطورية الربا) تقوم على الاستهلاك فإن هناك دفعاً شديداً للمسلمين إلى اعتناق هذا المعتقد المدمر (روح الاستهلاك) بحيث تصبح الثروات كلها في أيدي

اليهود ، وحين تستشري روح الاستهلاك فإنها تخلق واقع الإقبال على الشهوات والمتع والترف لاستنزاف الثروات ولبيع هذا القدر الضخم من المصنعات (علما بأن هذه المصنعات تستنزف الثروات البشرية على طريقة القاصر المحتاج إلى وصاية) .

❁ ❁ ❁

طرح النفوذ الأجنبي عن طريق قواه المسيطرة على مجالات الثقافة والتعليم والمصرف والمحكمة دعوات مضلله كلها ترمي إلى احتواء المسلمين في دائرة مغربة مغلقة .

كما عمدوا عن طريق الدعوات الهدامة غرس مبادىء مضللة :

أولاً : التحرر من الأديان والمعتقدات والأخلق الدينية .

حيث تقرر الماسونيه أن القضاء على الأديان أمر ضروري من أجل الحرية والتقدم .

ثانياً : التسرب إلى الهيئات الاجتماعية والثقافية من أجل هدم المجتمع من الداخل (١) تزوير تاريخه (٢) والتشكيك في بنائة الأخلاقي (٣) ترويج الشهوات والرزائل في الحياة اليومية عن طريق المنتديات وأماكن اللهو .

والواقع أن القضية الكبرى التي يسعى (التغريب) في هذه الأيام للتركيز عليها ومحاولة تثبيتها في الأذهان هي قضية (تحطيم الثوابت) .

وكلمة تحطيم الثوابت : تعبير مهذب للإلحاد وإنكار الألوهية والغيب والعبث ، من خلال تصورات متدرجة بدأت بنظرية التطور واتصلت بالسريالية والنسبية والدعوة إلى التطور المطلق وإنكار القديم والتراث ، وخلق مفاهيم العبثية والعدمية والفوضوية والتحرر من كل القيم ومن كل الأصول والثوابت تدرجاً في مذاهب فلسفية وأدبية ضاله وصولاً إلى ما يسمى بالحداثه مروراً بأخطر هذه المراحل : (العلمانية والماركسية) إنه مخطط ماسوني أساساً .

والمحاولة كلها ترمي إلى تثبيت دعائم وضع غير شرعي جري إقامته خلال أكثر من مائة عام بكل وسائل التضليل والإغراء والمفاهيم الزائفة التي جرى بثها وتحويلها إلى مسلمات .

غير أن هذه المفاهيم لما كانت تخالف الفطرة وتختلف مع العلم ومع مفاهيم الإسلام والدين الحق فقد كان لابد أن تتهاوى وتسقط عندما تبدو أضواء الفجر ، ولما تكشفت الزيوف جرى النفوذ الأجنبي يلهث ليدعم مواقفة ويثبت قوائم البناء المتصدع والمتهدم دون جدوى .

فقد ازداد ضوء النهار - الذي هو الإسلام - قوه وما يزال يزداد ويكشف فساد الأوضاع وفشل المحاولات المتجددة التي تجري بقوة محمومة ، لأن الحقائق تكشفت والمؤامره وضحت .

إنهم يريدون تثبيت دعائم هذا البناء المتردي الذي شكله النفوذ الأجنبي والتغريب والاستشراق والغزو الثقافي في محاولة لإحياء سلطانهم مسيطراً من خلال مجموعات موالية لهذا النفوذ .

ومن هنا فهم في الحقيقة يدافعون عن وجودهم ويستميتوا في حفظ كيان باطل تهدم ، لم يكن وجوده صحيحاً منذ اليوم الأول ولكنه قام على زيف ، حيث تدافعت القوى الباطلة التي انتهزت فرصة وجود فجوة في بناء الأمة الإسلامية فاقتحموها لتدمير هذا الوجود الكبير ، ولكن مؤامرتهم لم تحقق إلا قدراً قليلاً من التأزم لتوقظ القلوب الغافلة التي أحست بأنها قصرت وتجاوزت ونامت عن اليقظة والحرص والمرابطة ومن غفل عن وجوده أصابته سنة الله ومن هنا قد أحس المسلمون بالقصور وعادوا يستيقظون ليحملوا أمانتهم من جديد وهم على ثقة كاملة لا حد لها بصدق ما يدعون إليه وما يؤمنون به .

وهو أننا على الحق وأن ديننا (الإسلام) هو أمل البشرية ومهما أظلمت الحياة وتبين أن الباطل قد استشرى فإن ذلك إلى زوال قريب وأنها ليست إلا مرحلة قصيرة ، تستلزم منا الثبات والصبر والتمسك باليقين الحق .

فعلينا أن نكون على وعي بالتيارات الوافدة ، وعلى حذر منها وأن تكون وجهتنا واضحة صافيه بيضاء كفلق الصبح ، وأن تكون على إيمان أكيد بأن الله تبارك وتعالى سوف لا يفلت الظالمون من قبضته مهما استعلوا ومهما أمهلهم .

الفصل الأول

الفلسفات الوثنية

جاءت الأديان السماوية المنزلة قبل الفلسفات ، وقدمت للناس المفاهيم الأصيلة لكل القيم من خلال المنهج الرباني على ألسنة أنبياء الله تبارك وتعالى ورسله وعن طريق صحفه وكتبه.

وظهرت الفلسفات فخلطت بين المفاهيم الأصيله والمفاهيم الوثنية التي تجمعت في فترات ما بين الرسل لدى مختلف الأمم وكانت الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية أبرز هذه الفلسفات قبل ظهور الإسلام .

ثم جاء الإسلام ليحرر البشرية من العبودية لغير الله تعالى ، وكاشفاً عن فساد الفلسفات والنظريات الوثنية التي غمرت العالم كله إذ ذاك .

وعندما نزل القرآن الكريم (الذي كشف عن أخطاء هذه الفلسفات ومعارضتها لمفهوم التوحيد الخالص) كانت البشرية غارقة في تراث وثني مادي وإباحي من أصول يونانية ورومانية ومصرية وهندية وفارسية كتبها أناس من الفلاسفة وحاولت اليهودية والنصرانية الانتفاع بهذه الفلسفات في الدفاع عن مفاهيمها ، ومن ثم وقعت الكتب السماوية المقدسة السابقة للقرآن الكريم تحت ركام من التفسيرات والتأويلات والتحليلات تغلب عليها أهواء البشرية من أجل تبرير المطامع الباطلة وتأويل النصوص القاطعة لتجاوز حدود الله وتحقيق الشهوات والمطامع .

ومن ثم فقد عمل الإسلام إلى تحطيم هذه المفاهيم الباطلة التي كانت منتشره قبل ظهوره : فحطم تأليه الكواكب وعبادة الأصنام وتعدد الآلهه والتجسيم والإيمان بالدهر والاعتقاد بالتنجيم والكهانة والعرافة وحرر الفكر البشري من قيود الوثنية التي كانت تأسره حول الأصنام والمعابد ، وقد كانت هذه الكتابات البشرية المقدسة التي حملتها اليهودية والمسيحية - كما يقول دكتور م.م. صديقي نتاجاً لحدس الإنسان وتحتوي على مفاهيم خاطئة تتعلق بالكون وأصله ومصير الإنسان وإن جاءت بعض المجامع الغربية في أواخر هذا القرن لتقرر أن بعض الكتب القديمة مكتوبة بأقلام الرهبان والأحبار فقد

سبقها الإسلام إلى تقرير هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً . ﴿ **ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله** ﴾ " البقرة "

كما جاء الإسلام ينتقد الرؤية التي قدمتها هذه الكتب للكون وقدم الطريقة العلمية التي اكتشفت وطبقت لأول مرة بواسطة العلماء المسلمين ، يقول دكتور م.م. صديقي : لقد انهارت الرؤية المسيحية للعالم وهي تقوم على أساس الاعتقاد بأن شاغل الله الوحيد – حل في علاه – قد كان الثالوث المقدس والكرة الأرضية وأن الله الأب قد أحب البشر إلى درجة كبيرة حتى أنه أرسل إليهم ابنه الوحيد ، ومن هنا فإن المسيحي الغربي الذي درس العلوم لم يجد أمامه إلا خيارين :

الأول : أن يرفض المسيحية ويحاول تكوين نظرة موحدة للكون بدون الدين .

الثاني : أن يصبح شخصاً ممزقاً يؤمن بمعتقداته سراً ولكنه يتصرف علانية وكأن هذه المعتقدات لا تتوافق مع الحياة الواقعة . أ.هـ

❁ ❁ ❁

وهكذا حطم الإسلام المفاهيم الباطلة التي كانت منتشرة في العالم أبان ظهوره ((تأليه الكواكب ، عبادة الأصنام ، تعدد الآلهه ، الإيمان بالدهر (الدهرية) ، الإيمان بالتنجيم والكهانه والعرافة)) .

ففتح بذلك الطريق إلى العلم التجريبي بدراسة ماطرحه القرآن من مفهوم عن (سنن الله تعالى) في دراسة ظواهر الطبيعة ، هذا هو تحرير الفكر من قيوده في الإسلام الذي كان مقدمه للعلوم ، قال الأشعرية : لا يكون مسلماً إلا من استدل .

ومن هنا فإنه ما كان يمكن للغرب المسيحي أن يمتلك منهج التجريب الإسلامي إلا بعد أن يعلن فساد فلسفاته كلها وعلى رأسها مفاهيم أرسطو وأفلاطون ويردها بما رده بها المسلمون .

وقد ظلت الفلسفة اليونانية بعيدة عن مفهوم التوحيد الإسلامي الـذي قـام عليـه منهـج الإسلام حتى ترجمت الفلسفات في عصر المأمون فـادخلت إلى الفكـر الإسـلامي مفـاهيم جديدة تختلف اختلافاً عميقاً مع طابعه الرباني المنزل .

وقد كانت الاستجابة الأولى واضحة الدلالة في رفض المسـلمين لكثـير مـن مترجمـات الفكر اليوناني والفارسي والهندي المختلف مع مفهوم التوحيـد أساسـاً فـأنكر المفكـرون المسلمون مفهوم الوثنية والتعدد كما أنكروا مفهوم العبودية واسـتغلال السـادة للعبيـد وفق النظام الذي قامت عليه الحضـارات الوثنيـة حيـث دعـا الإسـلام إلى أنـه (لا فضـل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى) .

ولقد كان القرآن الكريم والسنة الصحيحة هي الأساس في بناء المنهج الإسـلامي الـذي تكامل قبل أن يختار الرسول ﷺ الرفيق الأعلى .

وقد كان لابد أن يكشف علماء المسلمين الفـوارق العميقـة بـين منهـج الإسـلام وبـين الفلسفة اليونانية القائمة على الوثنية والفكرة المادية والنزعة الإباحية .

وقد وصلوا في ذلك إلى الغاية وكان في مقدمة من هاجم الفكر اليوناني الأئمة الشافعي والغزالي وابن تيمية ، وكانت حملة الإمام الغزالي على الفلسفة اليونانية مؤديـة لسـقوطها إلى الأبد أما الفلاسفة الذين حاولوا أن يمزجوا بين الفلسفة اليونانية (أرسطو وأفلاطون) وبين الإسلام فقد فشلوا فشلاً ذريعاً وتبين لهـم أن ذلـك مـن المستحيلات حيـث يقـوم منهج اليونان على " علم الأصنام " القائم على العبودية والرق بينما يقوم منهـج الإسـلام على الحرية الإنسانية والتوحيد .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : كان العلامة سليمان الندوي هو أول من كشف عـن حقيقة غفل عنها المتكلمون المسلمون الذين أعطوا الفلسفة اليونانية أكثر مما تسـتحق مـن التقدير والإجلال حين كشف عن (علـم الأصنـام) في اليونـان ووثنيتهـا القديمـة حيـث كانت يونان القديمة ترزخ تحت نير الآلهة والآلهات ومعابد الكواكب وهياكلها .

قال : وعلى كل حال فالفلسفة التي تلقاها المسلمون على أيدي الناقلين من يهود ونصارى لم تكن صافية محضة فإنها كانت مشوبة بآلهتهم ، أو من بيوت الفلسفة فلكياتها وآلهياتها فليست أولاهما إلا تأويل ما كان يعتقده اليونان في تآله الكواكب وأساطيرها فجعلوها فلسفة وعبروها بكلمات فلسفية ولم يجدوا لها سلطاناً من البرهان غير نذر يسير من الأوهام كالقول بالأفلاك وحركاتها وطبائعها ونفوسها وتأثيرها في القوى .

فقد كانت الأمم الثلاث الكبرى قبل الإسلام : يونان وفارس والهند وثنية مغرقة في الوثنية وكانت أساطير الميثالوجه عند اليونان وبالرغم من أن يونان منحت العالم تراثاً واسعاً من العلوم الطبيعية والرياضية فإنها ظلت تعبد الكواكب والأصنام في معظم أجزاء تاريخها وكانت فريسة الأوهام والخرافات الكثيره ، وكان عندها الاستعداد لقبول كل غريب ومناف للعقل .

وقد أحس حجة الإسلام الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) بهذه الحقيقة ووصف هذا التناقض العجيب ، كما فطن لذلك الإمام ابن تيمية (٧٢٨ هـ) حيث قال : (أما حظهم من معرفة الله تبارك وتعالى فهو حظ منحوس جداً ، أما ملائكته ورسله فلا يعرفون عنهما شيئاً البته ولم يتكلموا فيه لا بنفي ولا إثبات) .

❁ ❁ ❁

ولدراسة خريطة الفكر الديني الغنوصي الذي كان قائماً قبل الإسلام نجد أن هناك دائرة مسيحية في الغرب ودائرة زرادشتية في الشرق وتتطابق الدائرتان ويلتقيان في (ما بين النهرين) حيث يقوم خليط من الثقافتين سوف يترك آثاره البعيدة الأثر في العهد الإسلامي ، ففي منطقة ما بين الأهواز ودلتا النيل كانت قبل الإسلام هلنسية الفكر سريانية اللغة نصرانية الدين تعيش في عهد من أزهى عصور الأدب السرياني .

وفي الأسكندرية : المذهب اليعقوبي القائل بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح ، وعرف العرب في مدرسة الإسكندرية اسم أفلوطين وكثيراً ما خلطوا بينه وبين أفلاطون .

وفي الشرق جندسابور : أرض فارسية زرادشتية كانت مركزاً ثقافياً هلنسياً افتتحه الفلاسفة الإغريق الوثنيون الذي أغلق جوستنيان أكاديميتهم في أثينا ٥٢٩م فلحقوا بكسرى أنوشروان في فارس ، ثم توافد النساطرة المسيحيون ، وقد أصبحت هذه المدرسة المسيحية متسقة مع الفلسفة الرسمية البيزنطية .

ومما يذكر أن هذه المدرسة ترجمت الفلسفة اليونانية ترجمة غير أمينة فقد جلعتها في خدمة مذهبهم المسيحي ومن هنا كانت تلك الخلافات العميقة بين الذين حملوا لوائها أمثال (الكندي - الفارابي - ابن سينا) الذين اعتبرهم علماء المسلمين من المشائين اليونان وقد جوبهوا منذ اليوم الأول بمعارضة منهجهم الذي لم يستطيع أن يحقق شيئاً ذا بال .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ثبت أن فلسفة فلاسفة الإسلام (الفارابي وابن سينا) على حد تعبير (علي سامي النشار) هي غير إسلامية ، مشائية في كلياتها وجزئياتها ، وأن الفلسفة في أية أمة إنبعاث داخلي يعبر عن الروح الحضاري لهذه الأمة وليس من المعقول أن تتشابه الإنبعاثات الداخلية العقلية لأمتين مختلفتين أشد الاختلاف جنسياً وعقلياً ولغوياً ، هي الأمة الإسلامية والأمة اليونانية ، وأن فلسفة أمة من الأمم لا تخرج عن دائرة السنة التي تضعها هذه الأمة ، ومن خرج على هذه السنة لفظ حتماً من دائرتها ، ولم يعد يمثل فلسفياً سوى فكره الذاتي وهذا ما حدث لفلاسفة الإسلام .

إن العقل اليوناني يختلف تماماً عن العقل العربي وإن المسلمين قد يرفضوا رفضاً قاطعاً (المنطق الأرسطي) وإن لهم منطقاً تجريبياً في علم أصول الفقه خاصة يعتمد على المنهج التجريبي الذي نسب خطأً إلى فرنسيس بيكون بينما حضارة اليونان تعتمد على المنهج القياسي .

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو النور معلقاً على هذا النص : منذ بدأت الأفكار الدخيلة في القرن الثاني تترجم كان موقف الإسلام منها واضحاً ويمثله موقف الإمام أحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن ، وظل المنهج العقلي هو الممثل للروح الإسلامية الحق

ورفض الفكر الإسلامي كل دخيل ولذلك فإن الفلاسفة المتابعين للفلسفة اليونانية لم يصدروا عن الإسلام ومن ثم فهم لا يمثلونه ، هم تلاميذ مدرسة يونان ومهما قيل عنهم ومهما نسب إليهم فهم لا يزيدون عن هذا الحجم وهم أشبه بتلاميذ العصر الحديث المعنيين بالأفكار الغربية الحديثة .

وقد ظل الفكر الإسلامي يرفض الآراء الدخيلة حتى فيما اصطنعه المتكلمون من آراء عقلية لتأكيد مذاهبهم وموقف الإمام الشافعي من علم الكلام وموقف الإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن .

يقول الدكتور مصطفى حلمي : إن الفلاسفة (الكندي والفارابي وابن رشد) لم يوفقوا في الموائمة بين الفكرين الإسلامي واليوناني ولهذا نرى أنهم جوبهوا بمعارضة شديدة من علماء السنة مثل الغزالي الذي كفرهم في ثلاث مسائل هي :

١) إنكار علم الله بالجزئيات .

٢) وحشر الأجساد .

٣) وقولهم بقدم العالم .

أما الفلسفة الإسلامية فتظهر في إنتاج الأصوليين (علماء أصول الفقه والدين) الذي التزموا منهج السلف (ابن حنبل ، الدارمي ، ابن تيمية ، ابن القيم) وكانوا رواداً للمنهج العلمي التجريبي الذي كان له أكبر الأثر في حضارة أوروبا .

❁ ❁ ❁

وإذا كان علماء السنة قد كشفوا زيف الفلسفات اليونانية الوافدة على مدى العصور فقد كان لابد من موقف إزاء محاولة النفوذ الأجنبي (عن طريق الدراسات الجامعية وأقسام الفلسفة منها) فرض هذه الفلسفة مرة أخرى في العصر الحديث .

وكانت من المفارقات العجيبة أن يقدم المسلمون إلى أوروبا منهج التجريب ويهاجمون منهج أرسطو ، ثم يأتي الغرب فيعيد إلى المسلمين منهج أرسطو على نحو من الإكبار والإعلاء والإدعاء بأن أرسطو معلم العرب وهو ما تكشف خطأه على يد مجموعة من

الأعلام كان في مقدمتهم الشيخ مصطفى عبد الرازق أستاذ الفلسفة في الجامعة والذي نماه وسار به إلى الأمام جماعة من تلاميذه في مقدمتهم (علي سامي النشار) أبو ريدة ، الأهواني ، الخضيري .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق : إن أبرز الآراء وأكبرها خطراً القول بأن الفلسفة الإسلامية الصحيحة ينبغي التماسها في الفقه الإسلامي وإن هذه القصة تتناقض تمام المناقضة مع ما يقول به المستشرقون من أن المسلمين عارون من الفلسفة وأن الفلسة التي دخلت إلى ثقافتهم يونانية ومنهم من يعتبر أن علم الكلام هو أصل الفلسفة الإسلامية وأن علم الكلام عند المسلمين مستمد من الفلسفة اليونانية متأثر بها ، أما أن الفقه هو أصل الفلسفة الإسلامية فنظرية جديدة لا شك أنها ستقيم باباً جيداً للبحث والجدل والمناقشة .

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق أن الإمام الشافعي هو أول من وضع مصنفاً في العلوم الدينية على منهج علمي ومصنف الشافعي هو الرسالة .

ورسالة الشافعي تسلك في سرد مباحثها وترتيب أبوابها نسقاً مقرراً في ذهن مؤلفها قد يمثل اطراده أحياناً ويخفي وجه التتباع فيه ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ولكنه على ذلك كله بداية قوته للتأليف العلمي المنظم في فن يجمع الشافعي لأول مرة عناصره الأولى .

وهكذا تقرر الموقف الصحيح بالنسبة للفلاسفة المشائين الذين عملوا للتوفيق بين الفلسفة والدين ، وما من كلمة قالوا إنها جديدة إلا وجدت في مدرسة الأسكندرية وكان أكبر أخطائهم الجمع بين الحكمين فيما كتب الفارابي ، ويمكن القول إن أساس الاختلاف بين الإسلام والفكر اليوناني هو رفض الفكر الإسلامي للمنطق الأرسطي الذي يقوم على القياس والاستدلال النظري ، وإقامة منطق جديد معبراً عن خصائص

الإسلام هو المنهج الحسي التجريبي واعتبار الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد مجرد امتداد للروح الهلستينية في العالم الإسلامي .

والفكر الإسلامي هو الذي اكتشف بحق المنطق التجريبي ولقد عرض ابن تيمية الأسس العقلية المجردة لمنطق أرسطو ورفض القول بالكليات .

فمنهج أرسطو (واليونان جملة) هو منطق الاستدلال النظري أما منهج الإسلام فهو المنطق الحسي التجريبي .

لقد عبر المسلمون عن منطق القياس الذي استحدثته أوروبا في القديم إلى منطق جديد ودعا فيه المسلمون إلى منطق مختلف يقوم على الاستواء لا على القياس وجرى على هذا بيكون والفكر الغربي الحديث .

٢- علم الأصنام (الميثولوجيا) :

تتمثل الفلسفة اليونانية (سقراط - أفلاطون - أرسطو) (٤٦٩-٣٨٥ق.م) فيما أطلق عليه علم الأصنام وقد بقيت هذه المدرسة الإغريقية هي القدوة والموجهة في الفلسفة والمنطق بطريق مباشر للمدارس الفكرية والأدبية في الغرب والشرق إلى القرن السادس المسيحي وقد قادت العالم قديماً (علمياً وعقلياً وعقائدياً) بين ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ بعد الميلاد .

ثم كان منبع الحضارة الأوروبية هو يونان القديمة ومن ثم فإن فروع العلوم الرياضية والطب والفلسفة والمنطق والأخلاق والأدب وعلم النفس ترجع أصولها إلى اليونان وقد خضعت إيران والهند لفلسفة أرسطو وأفلاطون وللأفكار الدينية القديمة .

وبالرغم من التقدم الحضاري في العلوم الطبيعية والرياضية فقد ظلت يونان تعبد الأصنام والكواكب وكانت فريسة الأوهام والخرافات .

يقول العلامة أبو الحسن الندوي وقد أزاح التاريخ الجديد الستار عن وجه علم الأصنام Mythology في اليونان ووثنيتها القديمة فقد كانت يونان القديمة ترزح تحت نير الآلهه والآلهات ومعابد الكواكب وهياكلها .

هذه الفلسفة اليونانية التي أعطاها المترجمون إلى العربية أكثر من حقها (نقلها اليهود والنصارى) ولم تكن صافية محضة بل كانت مشوبة بآرائهم وليست فلكياتها وإلياتها إلا تأويل مما كان يعتقده اليونان من تأله الكواكب وأساطيرها فجعلوها فلسفة وعبروا بكلمات فلسفية ولم يجدوا لها سلطاناً من البرهان غير نذر يسير من الأوهام كالقول بالأفلاك وحركاتها وطبائعها ونفوسها وتأثيرها في القوى .

وكان علم الأصنام هو منهج طفولة البشرية ، قال الدكتور الفريدويبر في كتابه تاريخ الفلسفة متحدثاً عن اليونان القديمة :

وبالضبط كما أن طفلاً يجعل محيطه عالماً طلسمياً ويعتبر لعبه التي يلعب بها وحصانه الخشبي كائنات حية كذلك يكون النوع البشري في طفولته الطبيعية خاضعاً لتصوراته وأهوائه وذلك شأن يونان في العهد القديم .

إن الفلسفة اليونانية لم تخلع عنها لباس الأساطير والخرافات Mythology في وقت قريب ، إن الفلسفة ظلت تعبر عن أفكارها في لغة الشعر الغنائية ولم تزل محافظة على نقائص العقائد الدينية التي انبثقت عنها .

قال الدكتور وليم ويفسل : إن اليونان لم يكن عندهم نظام معترف به من العقائد ، لقد ورثوا ميثالوجيه قديمة كانت تقبل التغيير والتطور على حسب الأزمنة والأدوار وكانت تمثيلات الأوهام والشعراء لاتزال تغير هيئتها وكان اليونان بطبيعتهم مغرقين بالطرافة وحب كل جديد ولم يكن في دينهم نصيب للعقائد الثابتة وقد تنبه علماء المسلمين لهذه الحقيقة ، فقد عرض الإمام الغزالي (٥٠٥ هـ) لآراء فلاسفة اليونان فيما يتصل بالذات الآلهيه وصفاتها وما صنعوه من نسب العقول والأفلاك وقال : قلنا ما

ذكرتموه تحكيمات وهي على التحقيق ظلمات فوق ظلمات ولو حكاه الإنسان في منام رآه لاستدل على سوء مزاجه أو لو أورده في الفقهيات التي قصارى المطلب فيها تخمينات لقيل إنها ترهات لا نفقد غلبات الظنون (تهافت الفلاسفة) لست أدري كيف يقنع المجنون من نفسه بمثل هذه الأوضاع فضلاً عن العقلاء ، وقد تنبه إلى هذا الإمام الحافظ ابن تيمية (أما معرفة الله تعالى فحظهم (يعني اليونان) منحوس جداً أما ملائكته وكتبه ورسله فلا يعرفون ألبته ولم يتكلموا فيه لا بنفي ولا إثبات وإنما تكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل) أ.هـ

وهكذا كانت اليونان تجمع بين أمرين : فساد المعتقد (الإلحاد) وفساد المجتمع (بالإباحة) وقد انتهت يونان إلى الأرتياب واللاادرية وتارة إلى ابيقورية ترى المتعة بالحياة واللذة هي الخير الأسمي ومقياس الأخذ والعطاء والسلوك والأخلاق ، وتارة إلى سوفسطائية تنكر إمكان الوصول إلى حقائق موضوعية ثابتة ، فالحقيقة عندهم ذاتية نسبية تختلف باختلاف الأفراد وكان من نتائج هذه التعاليم : هدم المعايير الثابتة في الأخلاق والتشكيك في البديهيات والمسلمات .

وكذلك كان الأمر في إيران والهند - ظهر بوذا (٦٠٠ ق.م) وفي إيران كانت الزرادشتية وحليفتها المزدائية (نسبة إلى مزدك) (الحرب بين النور والظلمات) ودعا ماني (القرن الثالث المسيحي) ودعا مزدك (القرن الخامس المسيحي) إلى إباحة الأموال والنساء وإلى قطع النسل بالعزوبه (شيوعية متطرفة وفوضوية مطلقة) .

وبانتشار الفوضى المنهجية والعقائدية (في عالم ما قبل بزوغ فجر الإسلام) انقطع آخر خيط يربط الشعوب بالنبوات التي هي الوسيلة إلى معرفة الله تبارك وتعالى : المعرفة الصحيحة ﴿ **فلما جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ " سورة غافر : آية رقم ٨٣ " .

هذا العلم المراد به علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان على اختلاف انواعه فكانوا إذا سمعوا بوحي الله تعالى دفعوه ، وصغروا علم الأنبياء عليهم السلام بما عندهم من ذلك وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه الصلاة والسلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال : نحن قوم مهذبون فلا حاجة لنا إلى من يهذبنا (روح المعاني - الآلوسي) .

وقد أحسن روجر بيكون في تعليل هذه النفسية المعوقة عن قبول الحق والإذعان له إذ قال : إن من الأسباب الرئيسية العائقة عن التمسك بالحق هو إخفاء جهلنا الشخصي الذي يرافقه التظاهر بالعلم البراق الخادع ، أما الدين فهو معرفة الحق ، ﴿ **ولقد جاءت رسل ربنا بالحق** ﴾ ، هذا العلم الذي جاء به الأنبياء أعظم علم ، فقد ربط العلم بالعمل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ " سورة الصف: آية رقم ٢ " .

وقد امتد علم الأصنام اليوناني إلى فارس والهند فقد بلغ عدد الآلهه في الهند ٣٣٠ مليوناً (كتاب الهندوكية السائدة لماللي) وكانت الديانة الهندوكية والديانة البوذية وثنيتين سواء بسواء ، بل ربما كانت البوذية قد فاقت الهندوكية في الاغراق في الوثنية وكان ابتداء الديانة البوذية بنفي الإله ولكنها بالتدريج جعلت بوذا الإله الأكبر ثم أضافت إليه آلهه أخرى على مر الزمن .

وهكذا ظهرت الميثولوجيا الإغريقية والهندية والإيرانية وقد عرف المجوس في إيران بعبادة عناصر الطبيعة وأعظمها النار وبنوا لها معابد وهياكل وانتشرت بيوت النار في طول البلاد وعرضها (عبادة النار وتقديس الشمس) .

وهكذا اتصفت الشعوب الثلاثة (يونان والهند وإيران) المعروفة بالعبقرية والإبداع بالتدهور الخلقي والخضوع الزائد للغريزة الجنسية والدوافع الجامحة ، فكانت على طرفي نقيض من السمو العقلي والتدني الأخلاقي ، يقول ليكي مؤرخ أخلاق أوروبا : ففي يونان بلغ الخضوع للغريزة الجنسية والانسياق مع الأهواء والشهوات أوجُه وقد بلغ القمة تحت سمع حكماء الأخلاق وبصرهم وفي ظل احتضانهم وإسرافهم .

وقد أدى تشكيك الفلاسفة إلى استئصال الديانـات القديمـة واكتسـح البـلاد سـيل مـن الترف الشرقي والتدهور الخلقي ، وانتشرت وقائع البغاء والفجـور انتشـاراً كبـيراً وكـثر عددها إلى حد هائل .

وعرفت صلات (سقراط ، وأرسطو ، وأفلاطون) الأثيمة ببعض المومسات والغلمـان وتحكي روايات عن كبار فلاسفة اليونان مثل سقراط وأفلاطـون عـن الدعـارة والشـذوذ الجنسي .

History of European marales = leaky

وحماية البغاء الرسمي وتبريره ما يندى له جبين الحياء ويحمر لـه وجـه الأدب ويصعـب على الباحث في موضوع جدي مثل هذا الموضوع الذي له صلة بالديانة والأخلاق ودور الإسلام الإصلاحي والتربوي .

كذلك كان المجتمع الهندي قد بلغ درجـة الانهيـار الخلقـي في مطلـع القـرن السـادس الميلادي فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد وأصبحت لا عيب فيهـا لأن الديـن قـد أضفـى عليها لونا من القداسة والتعبد .

وكان مذهب مزدك قد ظهر في أوائل القرن الخامس المسيحي ، فدعا إلى إباحة الأموال والنساء وانغمست إيران في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات وأصبحت المعابد والزوايـا مسرحاً للكسل والترف وكان أكثر كهنتها يعيشون حياة داعرة وكان فيها عدد كبير من البنات والشابات اللائي لم يـتزوجن انتشـرت بينهـن الخلاعـة وحيـاة الفجـور ، كذلـك وجود الراهبات في المعابد اللائي نذرن حياتهن لهذه المعـابد وكهنتهـا قـد سـبب فوضـى خلقية هائلة وانتشر مذهب (ابيقور) الفيلسوف الإغريقي الذي قال إن المتعة الحسـيـة هي الخير الأسمى . (أبو الحسن الندوي)

٣- أرسطو وأفلاطون :

كان أرسطو وأفلاطون أبرز زعماء علم الأصنام والفلسفة اليونانية وهما في الأساس متعارضان ويمثل كل منهما مفهوماً مختلفاً ويمكن القول إن أرسطو يمثل الفكر المادي أو الاجتماعي بينما يمثل أفلاطون الفكر الفردي أو الروحي ولكنهما بالرغم من ذلك يتفقان في مسألة قيام الحضارات على قاعدة الرفيق ، كما يتفقان في التفسير المادي للوجود .

أما أفلاطون فقال بالتناسخ وأما أرسطو فقال بأزلية المادة وقد دعى أفلاطون لتحقيق جمهوريته في جمهورية صغيرة وكان مفوضاً فيها تفويضاً مطلقاً فاخفق وبعد عشرين سنة أعاد التجربة مرة أخرى بعد هذا الاخفاق فكان إخفاقه في المرة الثانية كاملاً .

أما أرسطو فقد كانت رؤيته عن الخالق قاصرة وكانت نظريته عن : الثبات المطلق غير مقبولة ، أما حديثه عن المنطق فقد كان مادياً تماماً .

أما كتاباته عن الدراما الإغريقية والنماذج التي طاف بها من تراجيديات سوفوكوليس واستخليوس وكوميديات اريستوفان واضرابه فقد كانوا يقرأون عن فن التمثيل والتخييل كمؤمنين موحدين فرأوها حافلة بآلهة تتصارع وأرباب تلهو وتعبث وقدر متربص بالناس أبدا يحقق بهم ضروب الأذى فلم يرقهم هذا كله - كما يقول جلال مظهر - فقد كانوا أجيالاً مجبولة على نظرة التوحيد ورفض الشرك ولو كان شبهة أو أداة من أدوات صناعة الفن والتخييل .

يقول ابن القيم : لقد كان أرسطو أول من قال بقدم هذا العالم وقدم الأفلاك وكان مشركاً يعبد الأصنام وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره وقد تعقبته بالرد عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة وقد أنكر أن يكون الله تبارك وتعالى يعلم شيئاً من الموجودات وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات . يقول تبارك وتعالى ﴿ **وما مسنا من لغوب** ﴾ " ق : ٣٨ " .

وقال إن المنطق ميزان المعاني وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه وتعويجه للعقول وتخبيطه للأذهان ، وصنف في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية .

وقد درجت الملاحدة على أثر هذا المعلم الأول حتى انتهت نوبتهم إلى معلمهم الثاني أبو النصر الفارابي الذي توسع في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة أرسطو وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه من الكفر بالله تعالى .

إن الله سبحانه وتعالى عما يقولون - عندهم كما قرره أفضل متأخريهم ولسانهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل (ابو علي ابن سينا) هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وليس له عندهم صفة ثبوتيه تقوم به ولا يفعل شيئاً باختياره البته ، ولا يعلم شيئاً الموجودات أصلاً ، ولا يعلم عدد الأفلاك ولا شيئاً من المغيبات ولا له كلام يقوم به ولا صفة .

وهذا خيال مقدر في الذهن وليس هو الرب الذي دعت إليه الرسل وعرفته الأمم (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) .

❁ ❁ ❁

ولقد كان أفلاطون يهدف إلى إعادة تنظيم الحياة الإنسانية أما تلميذه أرسطو فكان يرمي إلى إعادة تنظيم المعرفة ، وإذا كان أفلاطون مثالياً شاعرياً يكتب بأسلوب أدبي فإن أرسطو كان عالماً تجريبياً يصل إلى أصوله بالملاحظة والتجريب والتحليل وهذا التمزق الذي تعيشه الحضارة الغربية بدأ مع أرسطو وأفلاطون .

وهكذا وجدت نظرية أرسطو العقلانية ونظرية أفلاطون المثالية ويرى الباحثون أن فلسفة أرسطو الثنائية هي التي أدت إلى تقسيم الإنسانية رغم انجازاتها العلمية وجعلت الدولة تطغى على الإنسان وخلقت عبودية جديدة هي عبودية الإنسان لإله العصر والمال والسلع الاستهلاكية تحت اسم العقل .

ولقد كان موقف أرسطو من العبودية من أخطر جوانبه فقد أصر على أن الحضارة ترتبط بالرق ولا تنفك عنه وأنه مشروع إلى درجة أن العبد إذا تحرر يظل عبداً وأن الحر

إذا استعبد يظل حراً ، وقد لجأ إلى أرسطو أحد المظلومين بعد أن استولى على قطعة أرضه أحد السادة الكبار في أثينا ولكن أرسطو لم ينشغل بهـذه القضيـة فهـو لـم يـدرك الظلـم الاجتماعي على العبيد والنساء في اليونان القديم بل تصور أن العبودية أمر عـادل تفرضـه الطبيعة ، ومن ثم فقد اصبح الظلم الاجتماعي قانوناً مقدساً تفرضـه الكنيسـة وفي القـرن التاسع عشر ارتدى ثوب العلم البيولوجي وأصبح الرجل الأسود أدنى مرتبـة مـن الرجـل الأبيض لاختلاف لون البشرة وقد اتخذت حكومة جنـوب أفريقيـا العنصريـة مـن فلسـفة أرسطو (أن العبودية قانون طبيعي) سنداً شرعياً لسياستها البغيضة فهو يتحدث بإسهاب عن العبيد ويجب أن يبقوا عبيداً فقد خلقوا ليكونوا عبيداً ويجب ألا يفكروا فضلاً عـن أن يتمردوا على كونهم عبيداً .

وكانت مسألة الثبات الدائم من أخطائه التـي كشـف زيفهـا تقـدم العلـم ومـن أجلهـا أسقط منطق أرسطو وأصبح يطلق عليه (المنطق الصوري) أي الذي يجعل كـل همـه في تكويـن صيـغ وصـور كلاميـة يعتبرهـا بمقاييسـه وقوالبـه صحيحـه وإن خـالفت الواقـع المحسوس الملموس ، وعادت البشرية إلى قواعدها سالمة وهي أن المنطق هو مجموعـة مـن البديهيات والمسلمات في كل عقل تخضع لها العقول السـليمة بغير حاجـة إلى تعقيـدات أرسطو .

وقد رد ابن تيمية على منطق أرسـطو وكشـف عـن منطـق القـرآن وقـد أخفـق منطـق ارسطو في تمييز الحـق مـن البـاطل وبذلـك فقـد كـانت مقولـة إن أرسـطو المعلـم الأول للمسلمين هي أكذوبة الفلسفات .

وكان أفلاطون هو الذي وضع قاعدة العبودية البشرية حين قسم الناس في (جمهوريتـه) إلى ثلاثة أقسام : المشرعون والمحاربون والصناع أما الأولون فهم المخلوقون للسيادة دون غيرهـم وسماهم الصنف الذهبي أمـا المحـاربون فهـم حـراس المملكـة وسـماهم الصنـف الفضي أما الصناع فهم المخلوقون للطاعة العمياء ودعاهـم الصنف الحديدي ، أمـا العبيـد

فقال إنهم ماشية الأمة مثلهم كمثل البهـائم الغافلـة وهـذا كـان رأي الحضـارات الوثنيـة السابقة للإسلام كلها في الرقيق حتى جاء الإسلام وأعلن حرية الإنسان .

وقد أسقط المسلمون منطق أرسطو وكشفوا أخطائه قبل أن يفعل الغـرب ذلـك بـأكثر من ألف سنة .

٤- بالقرآن عارض المسلمون الفلسفات :

ولقد انقسم المسلمون بعد ترجمة الفلسفات إلى قسمين : المشاءون (الكندي والفارابي وابـن سينا) والمصححـون (الغزالـي وابـن تيميـة) وكشـفوا أخطـاء الفلسـفة اليونانيـة ودحضوا المنطق الأرسطي ورفضوا أكبر ثمرات الفلسفات (الاعتزال وفتنة خلق القـرآن) وعندما ترجمت الفلسفة اليونانية بدأ يتأثر بها الفكر الإسلامي في جوانبـه المختلفـه ، تـأثر بها علـم الكـلام ، وظهـر التصـوف الفلسـفي وتوسـع نطـاق الفكـر البـاطني واسـتعلت كلمات سلطان العقل ، وظهرت مصطلحات جديـدة لـم يكـن يعرفهـا المسـلمون منهـا نظرية الفيض والعقول العشرة .

ومن خلال ذلك استطاع أعداء الإسلام إدخال سموم أفكارهم في نطاق المترجمات بـل إن أبرز مشائين ظهرا : وهما الفارابي وابن سينا قد ثبـت إتهامهمـا بـالعمل مـع الباطنيـة والقرامطة وأحصيت على كتاباتهما إشارات وتلميحات هذا فضلاً عن الدور الـذي قـام به زعيم مدرسة الترجمة حنين ابن اسحق الذي عهد له المأمون برئاسة بيت الحكمـة فقـد كان يعطي من الذهب زنة ما ينقلـه مـن الكتـب إلى اللسـان العربـي فكـان يختـار أغلـظ الرقوق ويفرق أسطر الصفحات ويكبر حروف الكلمات طمعاً في جائزة نقله التي كانت تعادل وزن الكتاب ذهباً .

وكان حنين بن اسحق يلبس أثناء عمله زناراً ، وقد سجل الباحثون كيـف أدخـل هـو ورجاله مفاهيم مسيحية سريانية على الترجمة اليونانية في دعوة لأفكارهم .

وكان أثر الفلسفات بعيد الخطر في زلزلة عقائد بعض ضعفاء الإيمان كما تأثر به كثيرون ووصل إلى أبي العلاء المعري وابي تمام والمتنبي فظهر في شعرهم .

وتأثر به أبو بكر الرازي وابن مسكويه ونصير الدين الطوسي والجعد بن درهم وغيلان الدمشقي والرازي الطبيب .

٥- الفارابي وابن سينا :

ثبت بأكثر من دليل تبعية الفلاسفة الإسلاميين للفكر اليوناني فقد عالج الفارابي الأخلاق والسياسة في مؤلفاته (المدينة الفاضلة - تحصيل السعادة) على النهج اليوناني مع مضمون ظاهره إسلامي فهو في المدينة الفاضلة متأثر بجمهورية أفلاطون وفي تحصيل السعادة متأثر بنظريات وأفكار يونانية عديدة ، يقول دي بور : في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام) : إن الفارابي يوافق أفلاطون تارة وأرسطو تارة أخرى وقد يتجاوز آراءهما أحياناً نازعاً منزع تصوف وزهد . قال عنه ابن تيمية : إنه وتلامذته فراخ اليونان .

نظرية الأخلاق اليونانية :

أما الكندي فقد صرح في (رسائل الكندي) بأنه أخذ نظريته الفلسفية عن أرسطو وأفلاطون وسائر الفلاسفة ، ونظرية النفس عند أفلاطون هي أساس نظريته في الفضائل الأربعة : ونظرية الوسط الأرسطية التي هي لب فلسفة أرسطو الأخلاقية .

وكذلك فإن رسائل الشيخ ابن سينا طابعها يوناني واضح وكذلك ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) ، قال محمد يوسف موسى ، إنه لم يجيئنا في الفضيلة والسعادة بجديد لم نأخذه عن فلاسفة الإغريق وبخاصة عن أفلاطون وأرسطو .

وقد جاء في بحث للدكتور أحمد عبد الرحمن عن الفلسفة اليونانية والأخلاق : " كان تأثير اليونان سلبياً ضاراً في بعض الدراسات القرآنية ، لقد بهرت الفلسفة اليونانية بعض

المفكرين المسلمين فقرأوا القرآن الكريم على ضوئها على الرغم من تعارض روح القـرآن مع تعاليم اليونان .

قال محمد إقبال : " لقد غشـت الفلسـفة اليونانيـة على أبصـارهم في فهـم القـرآن بـل وأفشت الكفر بينهم أيضاً " ، ولقد كانت اقتباسات المفكرين المسلمين عن اليونان وهـي التي يستعملها المستشرقون للتشكيك في أصالة الإسـلام ، تثبـت علـى نقيـض مـا يرغـب أولئك المغرضون أن تأثير اليونان كان ضرره أكبر مـن نفعـه بالنسـبة للدراسـات القرآنيـة ولكن الغرور الأوروبي يصور للبعض أنه ليس ثمة تحـت الشـمس مـن شـيء لا يمـت إلى الفكر اليوناني بصلة .

ولقـد حـاولت كتابـات الفلاسـفة القيـام بمحـاولات للتوفيـق بـين الأخـلاق اليونانيـــة والأخلاق الإسلامية ، ولكنها كانت غير ناجحة .

ذلك أن للإسلام نظامه الأخلاقي الأصيل وفضائله الخلقية المتميزه ، وأن كـل مـا كتبـه ابن مسكوية والفارابي من أبحاث عن الأخلاق كان عن الأخلاق اليونانية .

وقال زكي مبارك : " إن ابن مسكويه ينقل عن الفلسفة اليونانية بطريقة صريحة لا لـف فيها ولا مداورة ، فهو من مجددي فلسفة اليونان مع الحرص بقدر ما يمكـن علـى موافقـة الشريعة الإسلامية والرأي أنه لم يفلح في التوفيق بين مختلف النظريات اليونانيـة الأخلاقيـة ولا في التوفيـق بينهـا وبـين أحكـام الشـريعة الإسـلامية (دي بـور) ويصـف مســكويه أفلاطون بأنه ذلك الحكيم المحسن إلينا المنعم علينا .

ونجد بين كتابنا من يعتبر أن (تهذيب الأخلاق لمسكويه) هو المرجع الوحيد للأخلاق عند العرب وأنه يمثل ما ورثه العرب من غيرهم وما أنشأوه من عندهم .

وكذلك نقل إخوان الصفا في رسائلهم عن اليونـان وأخفقـوا في التوفيـق بـين الفلسـفة والشريعة وما كتبـوه عبـارة عـن خرافـات وتلزيقـات حسـب تعبـير القفطـي في (أخبـار الحكماء) وكلاماً كثيراً في كل أمر إلا الأخلاق ويرجع إخفاقهم إلى حملتهم على المجتمع

والأديان من غير أدنى احتياط وبنزعتهم التلفيقية الشاذة التي اعتبرت الإنسان الكامل الخلق : فارسي النسب ، عربي الدين ، عراقي الآداب ، عبراني المخبر ، مسيحي النهج !

وقد اعتبرهم المستشرق كارادي فو من أهم الأخلاقيين العرب (مادة إخوان الصفا : دائرة المعارف الإسلامية) .

هذا ويتفق معظم الباحثين على أن الكندي والفارابي وإخوان الصفا وابن سينا وابن مسكويه وابن باجه وابن طفيل وابن عربي أقاموا مذاهبهم في الأخلاق على أساس من الفلسفة التي تلقفوها من اليونان معلنين ذلك غير مستخفين ، وأن هذا الأساس حجب أنظار المسلمين عن فهم القرآن الكريم كما أشار العلامة محمد إقبال ، وهذا النتاج كله بعيد عن روح الإسلام ونظامه الأخلاقي :

١. رسائل الكندي الفلسفية .
٢. المدينة الفاضلة للفارابي .
٣. تهذيب الأخلاق لابن مسكويه .
٤. رسائل إخوان الصفا .

❁ ❁ ❁

أما فلسفة الفارابي فقد قدم نظرية المدينة الفاضلة التي أخذها عن جمهورية أفلاطون ورفضها المسلمون ولم يقبلها ابن خلدون وتظهر الانتقادات الهامة للفارابي في كتب الفقهاء المالكية في شمال أفريقيا (الإعتصام للشاطبي) كما تظهر في زخيرة الأحكام لابن فرحون .

ولا شك أن الاتجاه السلفي من قبل عند ابن تيمية وابن القيم في كتبهما السياسية قد سبق مدرسة المغرب المالكية في هذا العمل .

كذلك انتقده (ابن الأزرق : شمس الدين محمد علي) في كتابه بدائع السلك في طبائع الملك المقوقس (٨٩٦هـ) .

وقال : إن الفارابي ذهب في سن الخمسين إلى بغداد حيث درس على يوحنا ابن جيلان من قبائل التركمان ، درس تراث جند سابرو وحران ومرو والرهبان .

ويعد الفارابي أول رجال مدرسة الإسكندرية أو شيخ الأفلاطونية الحديثة في العالم الإسلامي .

وقيل : إن صائبة الحرانية كانت الملهمة الكبرى للكندي (كما كان لهم أثر في الرازي : محمد بن أبي بكر) هؤلاء الصابئة الحرانية كانوا فرقة أفلاطونية أساساً .

والصابئة الحرانية هم الذين يؤمنون بالدين اليوناني القديم فروا إلى فارس بعد أن تنصر ملوك الروم وأنشاؤا مدينة فاضلة احتذاها نظرياً الفارابي وطبقها عملياً حمدان قرمط الصابئي الحراني ونفذها أتباعه في مدينة هجر .

وكان الصائبة الحرانية مشغولون بعلم الكيمياء أو علم الصنعة ويزاولون السحر والتنجيم.

وحران هي موطن الفارابي الأول وفيها كل خصائص الفارابي وقد شك في نسبه الكثيرون فقالوا : لم يكن تركياً ولا فارسياً ولا عربياً وإنما كان صابئياً حرانياً ومن المرجح أن هؤلاء الصابئة الحرانية من أصل يوناني .

وفي عهد المأمون اعتنق بعض الصابئة الحرانية الإسلام والبعض الآخر النصرانية وقال المؤرخ المسعودي عن الصابئة الحرانية : إنهم حشوية الفلاسفة ، ومن هنا كان عمله : (التوفيق بين رأي الحكيمين) نتيجة لهذه المعرفة الأفلاطونية التي اتخذت أفلاطون أساساً، ثم حاولت التوفيق بينه وبين أرسطاطاليس ، أو بين أفلاطون وبين الأفلاطونية المحدثة وتعلم الفارابي الموسيقى والكيمياء والصنعه قبل أن ينتقل إلى بغداد لتعلم النحو العربي .

وقد أثر الفارابي في الحركة السياسية العنيفة التي كادت تقوض نظام الدولة الإسلامية ، وحاول أتباعه إنشاء مدينة (الله) الأفلاطونية في مدينة هجر القرمطية (أعني حمدان قرمط) الذي اتهم بأنه كان صابئياً ولا شك أنه تأثر بالمدينة الفاضلة للفارابي .

وقد قرأ الفارابي الإسلام من خلال نظرة يونانية (علي سامي النشار) .

ويقول الدكتور عمر فروخ : إن الفارابي يجعل السكنى في مدينته الفاضلة مقصورة على الذين يذهبون مذهبه في التفكير وكان الفارابي من الذي يؤمنون بالفيض ، أي بأن هذا العالم فاض عن الله تبارك وتعالى بطرورة وبغير تراخ من الزمن وليس في وجود العالم إرادة قديمة أو خيرة ولا فارق في الزمن بين وجود الله وبين فيض العالم منه ، وكذلك يرى الفارابي أن الخلود روحي وأن الأجسام لا تبعث ثم يرى أن النبوة إنما هي للقوة الخيالية وأخوان الصفا يرون أن جميع الأديان ناقصة وأنه لابد من سد نقصها بالفلسفة .

أما ابن سينا فيعتقد أنه كله حدث في الأرض ، جسد صالح للحياة حدثت له نفس خاصة به وهو لا يدري من أين جاءت النفس ولا ما يحدث لها بعد مفارقتها للبدن .

أما ابن باجه فيرى أن الوجود غير متناه ، وأن البشر أنفسهم خالدون أزلاً وأبداً ، اما ابن طفيل فيجعل الفرد الفائق الفطرة يعلم نفسه ويستغني بعقله عن النبوة ، أما ابن رشد فهو يقول إذا ظهر خلاف بين ظاهر الفلسفة وظاهر الشرع فعلينا أن نفهم الفلسفة على ظاهرها وأن نتطلب لظاهر الشرع تأويل معقول ، وهكذا تظهر الفلسفات على حقيقتها كما نقلت إلى الفكر الإسلامي هو سر تشبث المدارس الحديثة بدراستها لأولادنا بهدف تحطيم مفهوم الإيمان بالتوحيد الخالص في قلوبهم .

أما ابن سينا فقد أخذ أفكار الفارابي ووسعها وشرحها وفصل القول فيها وأسماء كتبه وموضوعاتها . (الإشارات والتنبيهات ، التجريد ، البهجة ، السعادة ، مقامات العارفين ، أسرار الآيات) هي عبارات لا يعرفها أهل السنه (وقد كان جمال الدين الأفغاني يقرأ هذا الكتاب علىتلاميذه) .

كما أن أهل السنة لا يعرفون ما يقول ابن سينا (الاتصال بالعلم العلوي هو عشق وشوق مستمران) .

وقد كان ابن سينا أميل من أستاذه إلى متصوفة القرن العاشر أمثال الجنيد والحلاج ولا سيما وكتاباته مملوءة بمصطلحات الصوفية وألفاظهم الفنية .

فهو يردد كلمات الزهد والوجد والوقت ويبين حقيقة المريد والعارف والعابد ويحلل بعض المواقف النفسية كالعشق والفرق التي شغلت كبار متصوفي المسلمين مع إعراضه عن فكرة الاتحاد التي زعمها الجنيد والحلاج ونقده لها نقداً فيه دقة وعمق (في الإشارات والتنبيهات) .

فهو يرى أن غاية السعادة ليست إلا مجرد اتصال بين العبد وربه يحظى فيه الإنسان بضرب من الإشراق لا يصدر عن الله (جل في علاه) مباشرة بل بواسطة العقل الفعال.

ومعنى هذا أنه يرفض (الاتحاد) ويحل محله شيئاً آخر أشد خطراً هو (الإشراق) والفلسفة الإشراقية التي حمل لواءها السهروردي من بعد وتصوف ابن سينا لا يختلف عن تصوف الفارابي في شيء وتقاربهما يوحي بالمصدر والخلفية التي ظهرت فيما بعد على أيدي الباحثين وهي الاتصال بالباطنية (يضاف إليهما ابن باجه وابن طفيل وابن رشد).

فابن طفيل في رواية حي بن يقظان يحاول أن يثبت أن القوى الإنسانية وحدها تستطيع الاتصال بالله (بدون النبوة) .

ويؤخذ على ابن سينا أنه أطلق على الله تبارك وتعالى اسم (واجب الوجود) أو العلة الأولى أي أنه كان بتعبيره مجرد وجود منطقي بلا إرادة وبلا معرفة والذي نبع منه الكون بالضرورة ، أي أن الكون هو المعلول وبما أن العلة والمعلول ليس من الممكن فصلهما فإن الكون يتماثل في الأزلية مع الله (جل في علاه) .

هذا مع العلم بأن واجب الوجود أو العلة الأولى ليسا من أسماء الله تبارك وتعالى الواردة في القرآن .

ومما أخذ عى ابن سينا :

١- خطأه في أن النعيم والجحيم روحيان لا جسديان ، لأن الجسد غير خالد والعالم قديم لا نهاية له .

٢- خطأه في بناء الجسور بين الفلسفة واللاهوت فقد كتب (الإشارات والتنبيهات) لتلاميذه وكتب في العقيدة الباطنية (حكمة المشرقيين) أعدها لفئة خاصة .

٣- وكان لا يؤمن بالتقشف والزهد سبيلاً إلى السعادة وكان شديد الولوع بطيبات الحياة .

يقول الإمام ابن القيم :

قرب ابن سينا مذهب سلفه الملاحدة من أن الإسلام بجهده وغاية ما أمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالية في التجهم ، فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم والملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال : *الملائكة هي القوى الخيرة الفاضعة التي في العبد ، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة* .

ويشير ابن القيم إلى تخليط ابن سينا ومحاولة تقريب هذا المذهب من الشرائع ، فالمعلم الأول لم يثبت صانعاً للعالم ألبته ، فالرجل - أي ابن سينا - معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد لا مبدأ عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتاب ، والرازي وفروخه لا يعرفون من مذاهب الفلاسفة غير طرقه ، وابن رشد يحكي مذهب أرسطو على غير ما حكاه ابن سينا .

إن أفلاطون (أستاذ أرسطو) كان معروفاً بالتوحيد وإنكار عبادة الأصنام وكان يقول إن للعالم صانعاً محدثاً مبدعاً أزلياً واجباً بذاته عالماً بجميع المعلومات وصرح أفلاطون بحدوث العالم وحَكَى عنه ذلك أرسطو وخالفه فيه فزعم أنه قديم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة ، حتى انتهت النوبة إلى ابن سينا فرام بجهده تقريب هذا الرأي من

قول أهل الملل ، قال ابن سينا : أنا وأبـي مـن أهـل دعـوة الحـاكم ، ولا رب خـالق ولا رسول مبعوث.

(أما الحاكم : فهو منصور بن العزيز بالله العبيدي الثالث مـن الخلفـاء الكذبـة الفجـرة العبيدين المغاربة المتغلبين على مصر ، ادعى الألوهية وقتل من العلماء ما لا يحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وجماعة من الصحابـة وهـو الذي يعبده الدروز في لبنان والإسماعيلية في الهند) .

قال ابن القيـم : وكـان هـؤلاء زنادقـة يبشـرون بـالرفض وينطقـون الإلحـاد المحـض ، وينتسبون إلى أهل بيت الرسـول لا يحرمـون حـــــراماً ولا يحلـون حـلالاً ، وفي زمنهـم ولخواصهم وضعت رسائل إخوان الصفا ، ولما انتهت النوبة إلى نصير الشـــرك (النصـير الطوسي) وزير هولاكو شفا نفسه من اتباع الرسول وأهل دينه فعرضهـم علـى السـيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة المستعصم باللـه آخـر خلفـاء بنـي العباس والقضـاة والمحدثـين واستبقى الفلاسـفة والميممـين والطبـائعيين والسـحرة ونقـل أوقاف المساجد والربط إليهم ، وجعلهم خاصة أوليائه ونصر في كتبه قدم العالم وبطـلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل (إشارات إمام الملحدين ابن سينا) فكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال : هي قرآن الخواص ، وذاك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة فلم يتم له الأمر .

وقد صارع الشهرستاني في كتابه (المصارعة) ابن سينا وأبطل فيـه قولـه بقـدم العـالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب وقدرته وخلقه العالم فقام له نصير الإلحاد ونقضـه بكتـاب سماه (مصارعة المصارعة) قال فيه : إن الله تعالى لم يخلق السـموات والأرض في سـتة أيام ، وإنه لا يعلم شيئاً وإنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور) .

(تعالى الله سبحانه عما يقولون علواً كبيراً)

وقال ابن القيم : إن الفلسفة التي يفرزها اتباع هؤلاء مأخوذه عنه وعن إمامه الفارابي وشيء يسير من كلام أرسطو ، والذي عند مشركي العرب أهون منه فهم لا يسيئون لواجب الوجود لا صفة ولا بعث ولا فعل لم يخلق السموات والأرض من عدمها ، ولا له قدرة على فعل ولا يعلم شيئاً ، وعباد الأصنام يبتغون رباً خالقاً مبدعاً عالماً قادراً حياً ويشركون به في العبادة .

وهؤلاء - أي الفلاسفة - ملاحدتهم من أهل التعطيل المحض فإنهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع وعطلوا الصانع عن صفات كماله ، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه . (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)

ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم وفي فرق المعطلة ولما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد سلط عليهم القرامطة الباطنية (العبيدون المدعون كذباً أنهم فاطميون) .

فقد دخل عبيد الله المغرب وكان جده يهودياً وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام ، أعدم الفقه والعلم ليتمكن من إغراء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه فأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرقص وبثوا دعامتهم فأفسدوا عقائد جبال الشام كالنصرية والدرزية وكان القدّاح كاذباً ممزقاً وهو أفضل دعاة القرامطة واستولوا على الشام والحجاز واليمن والمغرب وخطب لهم على منبر بغداد (النجوم الزاهرة - جـ٤) .

٦- المأمون وفتنة خلق القرآن :

قال الإمام الشافعي : ما جهل الناس واختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس .

فقد كانت أولى مؤامرات الفلسفات اليونانية قضية (تقديس العقل) هذه التي فتحت الأبواب واسعة أمام فكر المعتزلة فقد حاولت المعتزلة الخروج عن منهج الإسلام الجامع

بين العقل والقلب وذلك بإعلاء العقل واعتباره السبيل الوحيد في البحث وقد واجهت هذه النظرية معارضة كاملة من الأصالة الإسلامية على مدى العصور وكلما تجدد القول في العقلانية وخاصة في العقل الحديث ، كانت حجة الباحثين أن العقل والقلب في القرآن مترادفان وأن العقل سراج زينته الوحي لذلك فإن سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة إنما تعني في حد ذاتها انتقاص شأن الوحي .

كذلك فقد رفض الفكر الإسلامي إعلاء العقل على النقل أو تحكيم العقل في أمر النقل ، ذلك أن النقل إنما يعني الوحي الذي هو زينة العقل وضوءه .

ولقد حاول بعض المفكرين في العصر الحديث التماس مفهوم المعتزلة ومضوا به شوطاً ولكن ذلك لم يحقق الوصول إلى الفهم الأصيل وكان هذا الاتجاه مرحلة على طريق العودة إلى المنابع وقد تبين أنه من الضروري لليقظة الإسلامية كي تحقق غايتها أن تعود إلى المفهوم الأصيل والنبع الأول لمفهوم العقيدة بعيداً عن كل ما يتصل بعلم الكلام أو المنطق أوالتصوف الفلسفي أو الاعتزال حيث يجب تحرير النظرة الإسلامية من هذه الدخائل التي اختلطت بالفكر الإسلامي بعد ترجمة الفلسفة اليونانية والعودة إلى المنابع .

ولقد تبين بعد أن سارت اليقظة الإسلامية خطوات في طريق المعتزلة ومفاهيم الفلسفة (جمال الدين ومحمد عبده وإقبال) أن المفهوم القرآني هو وحده القادر على العطاء ولابد من التماسه وهو ما دعا إليه الإمام حسن البنا وكشف عن عجز الأساليب الأخرى في تحقيق الهدف .

ونحن المسلمون على طريق العودة إلى المنابع وتأصيل القيم وتصحيح المفاهيم يجب أن تكون لنا نظرتنا المتميزه في علوم المعرفة والتقدم والتحديث .

لقد كانت ترجمة الفلسفة اليونانية بمثابة رياح سوداء شديدة الظلمة مرت بالأمة الإسلامية فكانت مصدر كل الهزائم التي وقعت لها من بعد ، وكانت شديدة التأثير

على كل صاحب فكر وقلم فكل التعقيدات التي نراها في المعري وأبي تمام والمتنبي وغيرهم إنما ترجع إلى أثر الفلسفة اليونانية .

ولم يكن الاعتزال كما يدعي المستشرقون مصدر قوة بل كان مصدر ضعف فقد ترك المسلمون مفهومهم الجامع بين العقل والروح وأعلوا شأن العقل والكلام والمنطق والفلسفة فأصابهم نتيجة ذلك شر كثير .

ومن الاعتزال نشأ علم الكلام وبخاصة بين المعتزلة والأشاعرة ومن جرى جريهم فلم يذهب إلى القرآن الكريم ليستدل على العقائد الأساسية وإنما يذهب إليه أولاً بالعقل النظري المستقل واستناد علم الكلام على العقل النظري المستقل لم يصل به إلى اليقين فإن هذا العقل ليس له أولويه على النص .

قال ابن قتيبه : لقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله (تبارك وتعالى) ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون الناس بالقذى الذي في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آرائهم بالتأويل ومعاني الكتاب والحديث ، وما اودعاه من لطائف الحكم ولو ردوا المشاكل فيها إلى أهل العلم لوضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة .

وبالجمله فإن إعلاء العقل وتقديسه وفرضه على المنقول (الذي هو الوحي) ليس بمفهوم الإسلام الذي يعترف بالإنسان في مجموع قواه النفسية والعقلية والوجدانيه .

ومقتل الاعتزال هو في المغالاة في قدرة العقل ، ومفهوم أهل السنة أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلاً من أصول الدين يدخل في دائرة الإمكان الذهني وألا يتخذ شيئاً مما وصل إليه العقل باجتهاده أصلاً من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح من الدين المنزل .

لقد جاء الإسلام بمفهوم التكامل الجامع بين المادة والروح والعقل والقلب لأول مرة بعد أن خضعت الحضارات والثقافات القديمة لأحدهما وتجاهلت الآخر وجاءت الحضارة الغربية لتعلي من شأن المادة والعقل والحس وتنكر الوحي والنبوة والغيب والألوهية .

❁ ❁ ❁

وحين نقوم أمر الاعتزال يجب أن نذكر أنه فكر دخيل رحب بـه الاستشراق وبالغ في أمره حتى ادعى أنه سـقوطه هو الذي أخر نهضة الإسـلام وهـو أمر غير صحيح فإنه لم يسـقط إلا لأنه خالف توازنات الإسـلام في تكامله الجـامع بين الروح والمادة والعقل والقلب .

ولقد كان أخطر ما أصاب الإسلام من مذهب المعتزلة تأييد الخليفـة المأمون لـه وحمـل الناس عليه وعلى مفاهيمه وفي مقدمته فتنة خلق القرآن .

فقد كان المأمون صاحب أكبر قدر من المسئولية في هذه المحنـة بعد أن كـان المشجع الأول لترجمة كتب اليونـان والسـريان إلى العربيـة وقـد دفـع المأمون المسلمين دفعاً إلى المشـاركة في الحياة العقلية والروحـية للتراث الإغريقـي وعمـل على إخراجهـم من الأصالة - التي أطلق عليها المحافظة - وكان يعقد في قصره حلقات تضم علماء الأديـان يتناظرون دون تقدير لعالمية الإسلام وإظهار الله تبارك وتعالى له على الدين كله .

ولقد كان حركة الترجمة في أساسها محاولة لإدخال العلوم والطب والهندسةوالرياضة إلى العربية ، ولكن الاتجاه حين تـولى حنين بن اسحق وجماعتـه الأمـر تحـول إلى كتب الفلسفة وحدثت عملية الخلط بين الحكيمين من ناحية (أرسطو وأفلاطون) على بعد ما بينهما من وجهة ، ثم عرفـت مسألة تزييـف النص اليونـاني بإدخـال المفهـوم المسيحي السرياني عليه .

فالمأمون بشهادة الكثيرين هو الذي نقل الاهتمام من العلوم إلى الفلسفة .

ولقد حاول المأمون أن يرسي مفهوماً زائفاً بدعوى أنه رأى (أرسطو) في منامه وذلك على أساس تقديم العقل على الشريعة وقد أشار ابن النديم إلى أن هذا هو السبب الذي من أجله كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة أيام المأمون .

يقول الأستاذ أحمد مسوكي في بحثه عن الفلسفة اليونانية : يمثل المأمون حلقة من مسلسل الفتن الخطيرة التي تسللت بهدوء تام وبرودة متناهية إلى العقل الإسلامي وافدة عليه من العقل اليونانية الهليني ، وذلك بقصد فصل العقل الأول عن مجاله الحقيقي ومزجه ودمجه نهائياً ضمن المفهومات والأفكار والتصورات التي انشغلت بها العقلية الهلينية ثم حولها فلاسفتها الذين جعلوا الحسن هو ما يكون في العقل أولاً ثم في الشرع ثانياً إلى مبادىء أساسية ثابته وقواعد فكرية راسخة لا يجوز الخروج منها وإلا عد مروقاً أو جنوناً ، فالمأمون يمثل حلقه بارزه وطيدة ، لأن خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلاً في نفسه نقل كتب الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى أخرى .

أما المأمون فكان شخصية سياسية اكتملت فيها كل الشروط المطلوبة لتحويل الشخصية العربية من مجال الوحي إلى مجال العقل أي من نطاق أمور تتلقاها هذه الشخصية عن الله (تبارك وتعالى) بواسطة رسوله المصطفى الأكرم ، إلى نطاق أمور تستمدها هذه الشخصية من العقل البشري ، أو أي مصدر مهما علا شأنه فإنه يظل مصدراً مخلوقاً أوجده الله تبارك وتعالى وميز به الإنسان وفضلة به على العالمين تعقلاً ، وهو بذلك مخلوق غير معصوم بحال من الأحوال تلحقه الآفات ويقع في الزلات وعرضة للأوهام فشخصية المأمون مؤهلة تأهيلاً لذلك الانتقال بشخصية العربي من دائرة العمل بالوحي إلى دائرة الانقياد للعقل والعمل به ، فأمه جارية فارسيه ، وهذا العامل - انتماء المأمون إلى الفرس من جهة الأم ، لابد أن يعمل عمله في شخصية المأمون وفي توجيه منحاها العقلي وتكوينها الثقافي .

وقد دفع المأمون دفعاً إلى تنمية العقل وإعلاء دوره على الوحي وإلى تركيز التكوين العربي فكرياً ووجدانياً بالمؤثرات العقليه معتاضاً في ذلك عن تركيز هذا التكوين بمقدماته ومؤثراته الأساسية الأولى التي كونها كتاب الله وسنة رسوله .

ولقد كانت النقلة خطيرة الشأن إلى درجة بدأ معها التحول بمثابة مؤامرة تألبت فيها عدة قوى فكرية ومذاهب غربية كان هدفها الأول والأخير هو الإغارة على الدور الإلهي الذي اختص به محمد ﷺ .

٧- الغزالي وابن تيمية :

كانت هذه الفلسفات عصارة سموم المذاهب الإلحادية والإباحية التي عرفتها الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية قبل الإسلام ، أو ما يسمى بفكر طفولة البشرية وقد جاءت تلك القوى في مؤامرة ضخمة لتخلط هذه السموم بالإسلام الطاهر النقي وتضيف هذه الأخلاط الفاسدة من مخلفات اليهودية والمسيحية والفكر الهليني وعلم الأصنام بالإسلام فكان لابد أن يهب علماء المسلمين ليواجهوا هذه الأخطار .

فكان الإمام الغزالي الذي فند دعاوي فلاسفة اليونان في كتابه (تهافت الفلاسفة) وكشف خطأها وأسقط علم الأصنام أو ما يسمى (بالفلسفة الإلهية اليونانية) فلم تقم لها في ديار الإسلام بعد ذلك قائمة حتى جاء تلاميذ المستشرقين في العصر الحديث يعيدون احياء هذه الدعاوي الزائفة من جديد من أجل إثارة الشبهات في الوجدان الإسلامي .

وقد ناقش الإمام الغزالي قضايا الفلسفة اليونانية مناقشة مستفيضة وكشف زيفها .

أولاً : علم الكلام :

قال : لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة وتشوق المتكلمون إلى محاولة الزب" عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ولكن كلامهم لم يبلغ الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق **" إن علم الكلام كالدواء يعطى للمريض ولكن القرآن كالغذاء يأخذه المريض والسليم "** .

وقال إن جل مقصود أهل الكلام هو استخراج متناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصيلاً .

ثانياً : الفلسفة :

١- إن الفلاسفة آمنوا بالله وصفاته ولكنهم جحدوا اليوم الآخر .

٢- لم يقبلوا في الأمور الإلهية بحشر الأجساد وقالوا إن المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانيه لا جسمانية .

٣- قالوا بقدم العالم وأزليته وفي هذا تسويه بين الخالق والمخلوق .

٤- خطأ موقفهم من تقديس العقل ، فالعقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفاً للغطاء في جميع المعضلات .

ثالثاً : الباطنية :

حاجهم الإمام الغزالي في موقفهم من نظرية الإمام المعصوم وقال إنه لا يقبل إلا بمعلم معصوم واحد هو محمد ﷺ .

رابعاً : الصوفية :

قال : إن التصوف أمر يكتسب بالذوق والسلوك وإنهم هم السالكون لطريق الله وإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وإن من ينتحلون الحلول والاتحاد والوصول على خطأ .

وقسم الإمام الغزالي الفلاسفة إلى طائفتين :

الدهريون : وقد جحدت الله منكرة وجوده فليس للعالم عندها من صانع وهم يزعمون أن العالم وجد نفسه .

الطبيعيون : الذي طال بحثهم في الطبيعة وقد رأوا الله في آياته فهم يعترفون بوجوده ، وزعموا أن النفس تموت ولا تعود وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب .

❁ ❁ ❁

ويرى زعماء الفلسفة الحديثة ودعاتها أن الإمام الغزالي هو الذي هدم الفلسفة اليونانية وحطم قواعدها ، ولكن الإمام الغزالي التزم مفهوم الإسلام ولم يخرج عنه فقد كانت الفلسفة اليونانية معارضة أساساً لمنهج الإسلام ولتحرير الإنسان والعقل الإنساني جملة .

أما الإمام ابن تيمية فقد خطا خطوة أوسع من خطوة الغزالي ذلك أنه كشف عن فساد منهج أرسطو في المنطق فألف كتابه (الرد على المنطقيين) أو (نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان) .

وكان نقد ابن تيمية (كما يقول الدكتور عبد اللطيف محمد العبد) أول نقد تعرفه الحياة العقلية الإنسانية في نقد المنطق الأرسطي نقداً منهجياً يقوم على العقل وحده وقد كان نقد منطق أرسطو قبل نقد ابن تيمية موزعاً في الكتب المتعددة ، ومن المعلوم أن المنطق الإسلامي التجريبي هو الروح الحقيقي المميز للحضارة الإسلامية بالإضافة إلى أنه قد انبثق جوهره من علم إسلامي أصيل هو علم أصول الفقه .

وكان للمسلمين الفضل الكبير في الكشف عن أصول المنهج التجريبي كما كانوا أول من تنبه في تاريخ رواد الفكر الإنساني إلى جوهره فاتخذوه أساساً لحضارتهم وبهذا كانوا أساتذة الحضارة الأوروبية ، لقد كان انبثاق المنطق اليوناني عن العقل وحده ، أعني العقل اليوناني المجرد وقدتوهم الدارسون لمدة طويلة أن المنطق اليوناني معصوم من الخطأ ولكن جاء علماء المسلمين مستندين على كتابهم الكريم (القرآن) وسنة نبيهم

العظيم فحطموا هذا الفكر المألوف وأقاموا فكراً إسلامياً شامخاً وفي هذا يقول ابن تيمية : (إني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد ، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأينا من صدق كثير منها ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه) .

قد تناول ابن تيمية بالنقد (الحد الأرسطي) وعارض حججه ورد عليها كما نقد القياس ، وطرق الاستدلال الأرسطية كما أبان مصدر العلم وطريقه .

وقد قدم ابن تيمية منهجه الاستدلالي الإسلامي المستمد من القرآن والسنة ، وكشف عن مدى الاختلاف بينه وبين الاستدلال الأرسطي .

وقد عرف ابن تيمية بالسبق لمفكري الغرب في استخدام المنهج التجريبي الاستقرائي .

ويرى الباحثون أن أهمية ابن تيمية لم تكن قاصرة على اسبقيته لمفكري الغرب في نقد المنطق التقليدي نقداً علمياً موضوعياً بل تعدى ذلك إلى أنه فتح طريقاً جديداً لنقد المنطق القديم سار فيه بعض مفكري الإسلام منذ ابن القيم والصنعاني والسيوطي وهم لم يضيفوا جديداً (عفاف عبد العزيز) .

ولم يتوقف ابن تيمية عند نقد الفلسفة بل تجاوزها إلى نقد المنطق وعلم الكلام وترجيح أسلوب الكتاب والسنة ، كما نقد الديانات والملل المعارضة والمحاربة للإسلام .

كما حدد عقيدة التوحيد وأبطل العقائد والتقاليد المشتركة ورد على الفرق والنحل المنحرفة عن الطريق القويم والثائرة على الإسلام .

ومنها الديانة المسيحية المحاربة للدين الإسلامي (عقيدة ودعوة وقوة سياسية ونفوذاً مادياً) وكتب في ذلك : الحوار الصحيح لمن بدل دين المسيح ، كما واجه الفرق الشيعية التي أضرت بالإسلام والمسلمين (منهاج السنة النبوية في بعض كلام الشيعة والقدرية) .

وكتب في عقيدة ختم النبوة ووحدة الرسالة .

وكان تركيزه الأساسي كما يقول السيد أبو الحسن الندوي على حاجة البشرية إلى النبوة والضغط على أنها الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة .

وللإمام ابن تيمية كتابان في الفلسفة اليونانية :

١- نقض المنطق

٢- الرد على المنطقيين .

وقد كان لهما الأثر كل الأثر في فكر فلاسفة العصر الحديث أمثال فرنسيس بيكون وديكارت وغيرهما ، تقول الدكتورة فوقيه حسين محمود : إن كتاب الفيلسوف فرنسيس بيكون (الأرجانون الجديد) الذي كتبه نقداً لكتاب الأرجانون القديم لأرسطو يكاد يطابق كتاب (الرد على المنطقيين) لابن تيمية وأظن أن اللاحق هو الناقل من السابق .

وكان المسلمون هم الذين ردوا على الفكر اليوناني المترجم وصححوا طرائقه التي أخذها الغربيون من بعد وفي مقدمة ذلك مسألة قدم العالم ، وكان ذلك منطلق النهضة العلمية الحديثة في أوروبا .

٨- الفكر الباطني :

ومن قلب الفلسفات الوثنية نشأ الفكر الباطني الذي أطلق عليه من بعد (التصوف الفلسفي) حينما ظهرت في أفق الفكر الإسلامي قضايا جديدة خطيرة أشد الخطورة : منها وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفناء والمذهب الإشراقي وقد خرجت هذه المفاهيم المسمومة من دائرة تلاقي الفكر الإغريقي والفكر الغنوصي .

وقد أولى المستشرقون في العصر الحديث اهتماماً كبيراً بهذا الفكر وعملوا على إذاعته وإحياء دعاته أمثال الحلاج وابن عربي وابن سبعين والسهروردي ، اهتموا بهذا الفكر الذي خلطه أدعياء الصوفية بالمفاهيم الإسلامية والتمسوا له مفاهيم من خارج دائرة

الإسلام ، من اليهودية ومن المسيحية ومن الهندوكيـة والبوذيـة وعشـرات الفـرق والملـل الضالة .

وكان الهدف من إذاعة هذا الفكر وتجديده إيقاف حركة الجهاد وتفريـغ الإسـلام مـن قيمه الأساسية القائمة على القـوة والإيمـان والتوحيـد الخـالص ، يقـول دكتـور مصطفـى حلمي سـليمان : الشـكل المرفوض الذي يدخل تحت أبـرز الأوصـاف فيـه (الحلـول والاتحاد) ذلك لأن هذه الفكرة تضاد القول بتوحيد الله تبارك وتعالى حيث يعني هذا أن وجود المخلوق هو وجود الخالق (وهو ما قال به ابن عربي وابن سـبعين وابـن الفـارض وغيرهم في القرن السابع) أو عن غير هؤلاء يعني إلهية بعض البشر والحلول والاتحاد فيه ولكن ليس بإطلاقه ولأن أصل هـذه الأفكـار نبتـت في قضيـة الحـلاج في القـرن الرابع له (٣٠٩هـ) فقد تتبع ابن تيمية هذه الأفكار من خـلال رأي معـاصري الحـلاج أو قريبي العهد بعصره كابن مسكوية والحافظ البغدادي وابـن الجـوزي وكلهـا تبـين باطنيـة الحلاج وبعده عن الحق بما ادعاه من دعاوي تتصل بالعبادات كالحج والصلاة وبمـا ادعـاه من قوة إبليس وبما نطق به من عبارات (أنا الحق) وغيرها .

وقد خطّأ ابن تيمية محاولات بعض الصوفية في الاعتذار عن الحلاج وكيـف أن الحـلاج حاول خداع أهل السنة ببعض عبارات (عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك عن الحق) وقد حاول الحلاج إسقاط ركن هام من الإسلام : هو ركن الحج ومن هنـا يبـدو خطأ بعض المستشرقين أمثال ما سينيون وغيره ومن تابعهم ممن اعتبروا الحلاج شـهيداً في مضمار عداء السياسة للتصوف الإسلامي .

وليس أصدق في كشف حقيقة الحلاج من مؤرخه المستشـرق ماسـينيون الـذي أمضـى أربعين عاماً في جمع تراثه وإذاعته ليفتن به المسلمين من جديد حيث أشـار إلى أن الحـلاج يشبه القرامطة في أنه يدعو مثلهم إلى دين عالمي ، وقد اعـترف ماسـينيون بتمـاثل الرمـوز

والاستعارات التي استعملها كل من القرامطة والحلاج في إستمالة العامة ، وأكد ماسينيون أن الحلاج قام بإسقاط شعائر الإسلام وعلى رأسها فريضة الحج .

وأشار ماسينيون إلى الاتحاد الصوفي بالذات الإلهية عند الحلاج وقال إنه هو تأليه للبشر وقد وجد من إله خلفاء الفاطميين وهذا ما روج له إخوان الصفا في رسائلهم وما أعلنته الإسماعيلية الشرقية فيما بعد عندما جاء صاحب القيامة الكبرى ، وادعى الربوبية وقال بنسخ الشرائع .

وأن الحلاج ادعى لنفسه أنه بلغ مرتبة الكمال بعد عزلته الصوفية في مكة فأصبح الإله الذي دخل في نطاقه الزمن وتجلى في صورة الحلاج كما تجلى من قبل عيسى (عليه السلام) .

وأنه ما زال يصفو ويرتقي حتى حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله .

اعترف بهذا ماسينيون وسلم بأن الحلاج كان على صلة وثيقة بالفكر اليوناني وبالزنادقة والقرامطة وقد اطلع على ترجمة التراث الفلسفي اليوناني واتصل بسني مطعون فيه بالزندقة وهو الطبيب الرازي كما كان على صلة بأبي سعيد الجنابي الكبير وبكبار الدولة السامانيه وبأمير الطالقان .

يقول الدكتور محمود قاسم : الذي نقلت عنه هذا النص أن صلة الحلاج بالقرامطة أثبتها ماسينيون وإن فسرها بأنه كان يعمل على ضمهم إلى الصوفية وقد أقسم بالسنة التي يبلغ منها هذا العمل أوجه من العنف وهي سنة ٢٩٠هـ .

فضلاً عن اتصاله بكبار رجال الدولة وبأمراء الجيش واعترف ماسينيون بأن الحلاج عمد إلى تجنيد بعض رجال الخليفة المقتدر ، كمحمد العناني وأخيه .

قال البغدادي في كتابه (الفرق بين الفِرق) ذكروا أنه استمال ببغداد جماعة من حاشية الخليفه ومن خدمه حتى خاف الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله معرة فتنة فحبسه واستفتى الفقهاء في دمه .

واعترف ماسينيون بأن أسلوبه في ضم الأتباع يشبه أسلوب القرامطة في الدعوة التدريجية إلى طائفتهم ، وهو نفس المنهج التعليمي الذي طبقه إخوان الصفا لتجنيد طبقات الإسماعيلية وهي عندهم نفس مراتب وطبقات القرامطة .

٢- إن فكرة وحدة الوجود معناها تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) وهذا هو سر اهتمام المستشرقين بابن عربي والحلاج في محاولة لخداع المسلمين وإفساد عقيدتهم بإحياء فكر قديم رفضه أئمة المسلمين .

يقول السيد محب الدين الخطيب : تعلمت أن الموجود اثنان : واجب الوجود وممكن الوجود ، هو هذه الكائنات كلها التي ندركها بحواسنا الخمس مباشرة ، وواجب الوجود هو صانعها الواحد الأحد الفرد الصمد ، أما أصحاب مذهب وحدة الوجود يقولون : بأن كلاهما واحد ومعنى هذا أن الكون هو الله ، وهذا هو ما يعجب الأجانب في الصوفية ويلتقي معهم في مفهوم المسيحية المثلثة .

وقد هوجم ابن عربي من أجل القول بوحدة الوجود : هاجمه ابن الخياط والحافظ الذهبي وابن تيمية وابن إياس والتفتازاني .

إن فكرة وحدة الوجود تحاول القضاء على قواعد أربعة أساسية في بناء الشخصية الإنسانية : هي (حرية الإرادة ، القول بالخير والشر ، المسئولية الفردية ، الإلتزام الأخلاقي) .

والإسلام يقرر أن الإنسان له أفعاله الاختيارية وإرادته وعليها تقوم المسئولية الفردية وأن إرادة الإنسان هي مصدر حسابه وجزائه ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ وأن الأخلاف لا يؤاخذون بجرائر سابقتهم وأسلافهم وأن كل إمرىء

رهين بما كسب : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾ .

إن القول بوحدة الوجود نفي للألوهية وإثبات للكائنات وحدها بل إن عبارة (وحدة الوجود) هي عنوان آخر للإلحاد في وجود الله ، تعبير للقول بوجود المادة فقط ، ما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه .

والقول بوحدة الوجود تفكير هندي قديم ، حيث يتصورون أن العالم أزلي أبدي ، وأن الأرواح تخرج من أجسادها لتعود في أجساد أخرى وقد تكون أجساد حيوانات وأن قصة الحياة تدور في هذا النطاق المحصور وتبدأ من حيث تنتهي .

٣- أما فكرة الحلول والاتحاد فهي تنقض مفهوم الإسلام المتكامل الشامل في وحدانية الله تبارك وتعالى وتنزيهه عن الخلق .

وفكرة الحلول فكرة معارضة لمفهوم التوحيد والدين الحق خاضت فيها الفلسفات الغربية والشرقية والتصوف الفلسفي وتفسيرات المسيحية وهي نظرة تقوم على قولهم بأن الله (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) ليس كائناً خارجاً عنهم بل هو كائن حال فيهم وهو نفس ما يقول به الحلاج وابن طفيل .

ولا ريب أن القول بحلول الخالق في المخلوق ، أو تجسد الخالق هو من المعتقدات الباطله والتي تناقض مبدأ (التوحيد الخالص) لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق الباقي وأما الإنسان فما هو إلا ظاهره تفنى وتزول والكائنات لا توجد لذاتها بل تستمد وجودها من خالقها تبارك وتعالى .

والحلول والاتحاد في التصوف له علاقة بالمسيحية ، فقد كانت الصوفية الهندية القديمة تقول بالحلول (الهلال : م٢٨ص٤١٩) .

بمقوله باطلة : (إذا كان المسيح قد اسمى نفسه إلهاً فذلك لأنه يعتقد أن ملكوت الأرض ليس خارجا عنا إذ هو حال بنا ونحن آلهة مثله) .

يقول الأوروبيون إذا كان المنطق والعقل يستوجبان الإيمان بالله فلا محيص من الاعتقاد بحلول الله فينا لأنه يستحيل عليه أن يخلقنا ثم ينفصل عنا إذ هو متصل بنا والقوة الكامنة فينا هي نوع من قوته ، وهذا كلام مضلل من مقولات الملاحدة والباطنية ويختلف مع مفهوم الإسلام .

وإقرار وحدانية الله تبارك وتعالى (التوحيد الخالص) هي إنكار لمفاهيم الحلول والاتحاد ، والتناسخ والإشراق ووحدة الوجود وإقرار بالفصل بين الألوهيه والبشرية كالفصل بين الله تبارك وتعالى والعالم .

إن هذه النظرة (سواء أكانت وحدة الوجود أو الحلول والاتحاد) من الأفكار الفلسفية الضالة التي انخدع بها كثيرون ، (ابن العربي- ابن الفارض - الحلاج - التلمساني ، ابن سبعين) وهي نظرة تنقض تعاليم الأنبياء وتخالف شريعة الإسلام .

٤- " **الإشراق** " مذهب أسسه السهروردي ، وهو ثمرة من ثمار الفلسفة اليونانية والغنوصية .

وفكرة الإشراق مأخوذة من الأفلاطونية المحدثة .

وكان صدر الدين الشيرازي هو الممثل الأبرز لمذهب الإشراق في القرن السابع عشر ، حيث ردد تراتيل السهروردي التي يوجهها إلى ملائكة الأفلاك وقد جاءت الفلسفة الإشراقية تزعم أن كل حاجات النفس الإنسانية هي بمثابة نزوات مشينة يجب على الإنسان أن يسمو فوقها ويتطهر من رجسها وكان رد الفعل ظهور فلسفة الإباحية والإنحلال التي زادت في دفع الإنسان نحو الإنغماس في الترف .

وكان ذلك كله معارضاً بما جاء به الإسلام الذي قرر حق الإنسان في مطامحه ورغباته كلها في ضوء الطريق الوسط والضوابط التي وضعها .

وقد تركزت هذه المؤامرة الخطيرة في إيران حيث أحيا دعاتها الفكر الفارسي الذي كان في مقدمته حكمة الإشراق للسهروردي وقاده في العصر الحديث الفيلسوف هنري كوربان الذي كتب عن السهروردي وزرادشت وأفلاطون .

وقد ترجم عبد الرحمن بدوي هذه السموم كلها وقدمها في كتابه (شخصيات قلقة في الإسلام) .

وقد تركزت فلسفة هنري كوربان حول الحلول والاتحاد ، وإحياء تصوف الحلاج القائم على فكرة الحلول وتصوف البسطامي القائم على فكرة الاتحاد .

كما أحيا الفكر الباطني الفارسي الذي ظهر في خراسان ومرو وبلخ ونيسابور ونهاوند والري والجيال وأصفهان وشيراز الذي قاده جماعة من الباطنية أحيوا المعتقدات والأديان القديمة وركز عليهم الاستشراق وأولاهم اهتماماً كبيراً ونشر مؤلفاتهم .

٥- الباطنية : وقد قامت الباطنية أساساً على المفاهيم المضللة التي حملها عبد الله بن سبأ وجماعة السبأية الذي حملوا لواء الفتنة في عهد خلافة عثمان بن عفان حتى انتهت بمقتله .

وقد كان عبد الله بن سبأ (ابن السوداء اليهودي القادم من اليمن) أول من دعا إلى فكرة القداسة التي نسبت إلى علي بن أبي طالب وكان ابن سبأ يهودياً يمثل تياراً باطنياً انبعثت منه كل قرائن المغالاة فهو صاحب نظرية أن القرآن له ظاهر وباطن ، وأن الباطن يتم تفسيره بواسطة الإمام وأن هذا المعنى هو الذي أدى إلى ظهور فرق المغالاة من الباطنية والإسماعيلية والنصيرية والبهائية .

وقد كان اليهود هم مؤسسي العقيدة الباطنية الغالية ، فقد دخل بعض أحبارهم وكهانهم في الإسلام وتقدموا العالم الإسلامي بفكرة الإمام المعصوم وأن فكرة الاعتقاد بأن علياً هو صاحب الحق في الخلافة لم تظهر على عهد أبي بكر وعمر ولكنها نشأت في عهد عثمان على يد عبد الله بن سبأ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : كان الطاغوت الأكبر عبد الله بن سبأ هو الذي دعا إلى ولاية علي بن أبي طالب ووصايته وإلى رجعة النبي وكان هو أول من نادى بقداسة علي بن أبي طالب وبفكرة وصايته عند النبي ، وأول من هاجم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين واعتبرهم مغتصبين وأنه قال بالرجعة (رجعة النبي ﷺ) .

وكلها أفكار يهودية ووثنية قديمة لم يعرفها الإسلام ، وهي نفس الأفكار التي حملتها بعد ذلك الفرق الباطنية والغلاة .

وقد تفرعت من آراء عبد الله بن سبأ سموم كثيرة في فرق الغلاة ومن تعاليمه تشعبت أقوال وآراء .

ويقرر الدكتور الزغبي في كتاب الماسونية في العراء : علاقة الماسونية بالسبأية والباطنية ويكشف عن دور أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وعلاقة الماسونية بالتلمود .

وجوه الاختلاف بين الإسلام والفلسفات الوثنية

١) الشريعة الإسلامية شريعة إلهية ربانية معصومة من الخطأ وما ورد في الفلسفة اليونانية تفكير بشري يصيب ويخطىء .

وأكثر ما فيه من خطأ يتركز حول قضايا قدم العالم ، إنكار البعث والحشر ، أن الله (جل شأنه) لا يعلم الجزئيات .

٢) أن الفلسفة اليونانية (أرسطو وأفلاطون) اعتبرت الرق مشروعاً وقالت باستحالة تحرر الإنسان من العبودية وأن الحضارة لا تقوم إلا على سيادة في القمة وعبيد في السفح.

٣) اختلف مفهوم الإسلام عن مفهوم الفلسفة اليونانية في قضايا كثيرة أهمها: الأخلاق فالغاية النهائية للأخلاق الإسلامية تختلف عن غايات الفلسفات القديمة فهذه الغاية ليست اللذة وإن لم تنكر اللذة وليست السعادة الدنيوية وإن لم تقلل من شأنها ؛ إنها السعادة الأخروية من خلال المنفعة العامة الدنيوية وهي تصون الروح وتعني بالجسد وتعني بالغيرية دون أن تدين سعي الإنسان من أجل نفسه ومعيار الفضيلة تناسق خلقي بين الواجبات المتباينة الدرجات وليس الوسط الأرسسطي (دكتور أحمد عبد الرحمن). وقد ظل علم الأخلاق الإسلامي مطموراً إلى وقت قريب وبقيت مفاهيم اليونان على ألسنة بعض المفكرين المسلمين هي المسيطرة على الساحة (ابن مسكوية والطوسي والدواني وغيرهم) وقد تأثر الإمام الغزالي باليونان في هذه النقطة مع أنه هو الذي كشف فساد منهجهم جملة وقد تابعهم في نظرية النفس (لأفلاطون) ونظرية الوسط (لأرسطو) وكتب الأخلاق الموجودة كلها تستمد من الفلسفة اليونانية ولا توجد في كتاب (الأخلاق) لأحمد أمين سوى فقرة يتيمة من شأنها أن تبذر الشك في وجود مضمون أخلاقي متميز للإسلام يستحق الدراسة .

و(تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه لا يمثل المفهوم الإسلامي الأصيل .

٤) يقرر الإسلام أن وسائل المعرفة متعددة ، ومنها العقل والحدس والبصيرة أما العقل والحس فإنهما يعجزان عن الوصول إلى فهم مسائل ما وراء الطبيعة ، أما الفلسفة اليونانية فهي تقصر المعرفة على وسيلة واحدة هي العقل ، والعقل وحده لا يكفي في الوصول إلى الحقائق ومن هنا ارتبطت المعرفة في الإسلام بالعقل والنقل ، والنقل هنا هو الوحي ولا تعارض في الإسلام بين العقل والنقل .

ولا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وصحيح من العلم التجريبي ، والعقل في الإسلام مصباح زيته الوحي .

وقد رفض الإسلام محاولة جعل العقل أعلى مرتبة من الوحي أو أن يكون مقامه أعلى من مقام الكتاب المنزل .

هذا العقل المادي الذي أعلن انفصاله عن الوحي الإلهي وأعلن عن إنكاره وتنكره له .

ولكن الإسلام يضع العقل في موضعه الصحيح ، بأنه مصدر التكليف وأنه يهتدي بهدى الوحي والنبوة وليس في الإسلام مصادرة على العقل (إنما سمي العقل عقلاً لأنه يزم اللسان ويحطمه) ، أما قضية العقل الفعال والعقل المحض والعقل الهيولاني فهي كلمات باطلة لا يقرها الإسلام وهي منقولة من الفلسفات اليونانية الهلينية .

وقد غلب القرآن الكريم بقوته الربانية على منهج أرسطو وتلك المفاهيم الضالة ولقد وهب الله تبارك وتعالى هذه الأمة الوحي ليكون هو مصدر العلم الرباني الذي أرسل به الأنبياء وذلك حتى تتلقى الأمة القرآن كلام الله لتقوم على الأرض حياة مستمدة من الوحي الإلهي وليست مستقاة من ركائز المنهج البشري .

ويتمثل [العقل] الذي عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ ، ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذي أوتوا العلم** ﴾ ، ﴿ **إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به** ﴾ .

فالمعرفة العقلية في الإسلام متصلة أوثق اتصال بالمعرفة القرآنية في التشريع والأخلاق .

وليس صحيحاً ما يروى من أحاديث مكذوبة عن النبي ﷺ في العقل : قال الإمام ابن تيمية : إن الأحاديث المروية عن النبي ﷺ في العقل لا أصل لشيء منها وليس من رواتها ثقة يعتمد .

ولذلك فليس في الإسلام عبارات قداسة العقل .

٥) يرفض الإسلام مفهوم إخوان الصفا الذي يقول : إن الشريعة دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة .

وهي مقولة ظالمة باطلة أثبتها كل من عرفوا حقيقة إخوان الصفا ومؤامرتهم الباطنية ودورهم في خطة القرامطة التدميرية وقد كان كتاب رسائل إخوان الصفا من عمل الباطنية والإسماعيلية .

٦) كما رفض الإسلام مفهوم ابن الطفيل في دعواه الباطله التي تقول إن العقل يستطيع بالاستقراء والتأمل أن يدرك الحقائق العليا وأن هذا العقل لا يحتاج إلى الشريعة في تثقيفه وتوجيهه .

٧) رفض المسلمون الآداب اليونانية (الأودسة الإلياذة) ولم يقبلوا الشرائع (القانون الروماني) وقبلوا العلوم ، أما الفلسفات فقد فرضت في مرحلة الشعوبية التي قادها المأمون وعندما أريد ادخال مفاهيم الشعر والخطابه لأرسطو عن طريق العرب رفضها المسلمون ، كما رفض المسلمون المنطق اليوناني وفكر أرسطو ومذهبه ورفضوا مقولات ابن سينا والفارابي (وارتباطها بالحلاج وابن عربي والقرامطة) كما رفض المسلمون شعر أبي نواس ومفاهيم المجوسيه الفارسية .

(وفي العصر الحديث قدم طه حسن قدامة بن جعفر وابن المقفع ورسائل إخوان الصفا والأغاني) .

وفرق المسلمون بين القياس الأرسطي والقياس النظري الذي هو عملية عقلية خالصة تقوم على ملاحظة النظائر وإدراجها تحت حكم واحد ، وهو موجود عند كل إنسان أياً

كانت درجة ثقافته أو مرتبة تفكيره وهو الموجود في مختلف فروع المعرفة دون أن يكون له مصدر غير الفكر الإنساني نفسه .

أما قياس أرسطو فقد سقط ، أسقطه ابن تيمية بقياس القرآن وقد تكشف له أن القياس الأرسطي أفسد العلوم وجمدها وإذ سيطر المنطق الأرسطي على علم الكلام وآداب البحث والمناظرة وكان السبب في قصور كل منهما عن آداء المهمة المنوطة به ، على الوجه الأمثل ، أما بقية العلوم الإسلامية فقد كانت مناهج البحث فيها من النتاج الأصيل للثقافة العربية الإسلامية ذاتها .

٨) تبين في ضوء أبحاث العلم التجريبي الحديث خطأ كثير من المقررات التي حوتها الكتب المقدسة الكريمة التي كتبت بأيدي الأحبار والرهبان وقد أسقط الإسلام الرؤية التوراتيه واليهودية والمسيحية للكون والرؤية الهندوكية للكون ، وكذلك سقطت المفاهيم المضللة التي قدمتها الديانات البشرية في موقف الإنسان وتبرير غاياته وأهوائه حيث قرر الإسلام مهمة الإنسان في الحياة ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وحسابه وحزائه في الآخرة بينما حاولت هذه الأديان أن تسقط عنه التكليف أو تدعي أن المسئولية هي مسئولية المجتمعات وليست مسئولية الأفراد .

الصلة بين الوثنية اليونانية والرومانية دين اليهودية والمسيحية

إن مفهوم المسيحية الذي عبر إلى بلاد الروم لم يكن مفهوم الدين المنزل ، بل اختلط بمفاهيم أديان وثنية كانت موجودة في الغرب .

وكانت الفلسفات اليونانية قد دخلت إلى الديانة اليهودية ثم الديانة المسيحية بكل ما تحمله من وثنيات وآلهة وما تحمله من مفاهيم الصراع بين الإله ، والصراع بين الآلهة والبشر ومن هذا كله تشكل تراث ضخم قليله من مفاهيم الأديان المنزلة وكثيره من الوثينات التي تتصل بتعدد الآلهة وتتصل بالتثليث .

ثم استعانت الأديان بالفلسفات وتأثرت بمقولات أرسطو ثم جاءت الفلسفة الأفلاطونية التي ابتدعها أفلوطين في القرن الثالث للمسيح باحثة عن أسرار الوثنية القديمة وإمكان موافقتها للميول السامية في النفس البشرية .

ومن هذه الفلسفات سقطت الأديان في الحلول والاتحاد الذي نتجت منه فكرة الثالوث المقدس الذي كان معروفاً عند الفراعنة القدماء وفي الهند .

ثم سيطرت الفلسفات الوثنية في محاولة لحجب فكرة النبوة والوحي وراء مأدبة أرسطو حتى جاء الإسلام فأعاد البشرية مرة أخرى إلى الارتباط بالتوحيد الخالص وإخراج الناس مرة أخرى وإلى الأبد من تلك الفلسفات الوثنية .

ثم كانت المحاولة التي أقدم عليها السريان وغيرهم مع المأمون لإعادة المسلمين مرة أخرى إلى تلك المفاهيم عن طريق علم الكلام والاعتزال والتصوف الفلسفي والإشراق وغيره من الفلسفات التي ظهرت على أيدي ابن عربي والحلاج والسهروردي كما استوعبت اليهودية والمسيحية من قبل وخرج الإسلام منها بمفهومه الخالد " التوحيد الخالص " .

وقد ارتبطت هزائم الفلسفة بالحروب الصليبية وحملات التتار ، تلك الجائحة الخطيرة التي هزت العالم الإسلامي وأسقطت خلافة بغداد ، ثم عاد المسلمون إلى مفهوم التوحيد الخالص مع تغلب مفاهيم الاصالة التي قدمها نور الدين محمود وصلاح الدين بإقامة مدرسة العودة إلى المنابع وكانت عاملاً من عوامل النصر الذي تحقق في حطين وفي عين جالوت والذي مكن المسلمين من تصفية الوجود الصليبي والمغولي جميعاً .

وكان صلاح الدين في مصر - بعد نور الدين في دمشق - قد أنشأ مدارس الحديث بعد أن صفى جيوب الفاطميين الذين لم يكونوا إلا فرقة من الفرق الباطنية التي حاربت الإسلام ثلاثة قرون أمثال الزنج والقرامطة .

وكانت مؤامرة خلق القرآن من عمل المعتزلة ، والتصوف الفلسفي ، كل ذلك من عوامل الهزيمة ، على نحو قريب مما نرى اليوم في عصرنا من مصادر للهزيمة بما يتطلب العودة إلى مفاهيم الإسلام الصحيحة حتى تخرج الأمة من الأزمة .

وقد تبين أن الفلسفة الإسلامية هي شيء يختلف عن تراث الفارابي وابن سينا وابن رشد الذي لم يكن إلا ترديداً وتوفيقاً لمقولات أرسطو وأفلاطون أو المحاولة المستحيلة في الجمع بينهما وبين مفاهيم الإسلام .

وقد تحدد تماماً على أيدي علماء الإسلام موقف الإسلام من قضية العقل والنقل ، كما كشف الإمام الغزالي ومن بعده الإمام ابن تيمية أخطاء المشائين من الفلاسفة المسلمين على طريق الفلسفة اليونانية كما انكشف موقف الإسلام من التوفيق بين الشريعة والفلسفة .

وأنه لا يمكن أن يكون الأمر مستقيماً إلا إذا كان الفكر البشري خاضعاً للفكر الإلهي وأن يكون الوحي هو قائد العقل كما أثبتت التصحيحات الإسلامية حدوث العالم لأن الله تبارك وتعالى هو وحدة المشهود له بالقدم .

وما من مفكر مسلم منذ ترجمت الفلسفة اليونانية إلا وقد ساهم مساهمة إيجابية في بناء الأصالة الإسلامية المسترشدة بالنص القرآني المنزل والسنة المطهرة .

ومنذ أطلق الإمام الغزالي صيحته في مواجهة ضلال الفلسفة اليونانية وقد انهارت تماماً ولم يقم لها وجود من بعد وكان متابعة الإمام ابن تيمية في كتابه عن هدم المنطق اليوناني أبلغ الأثر في الدور الخطير الذي قام به فرنسيس بيكون وديكارت (نقض المنطق- الرد على المنطقيين) ، وكتاب فرنسيس بيكون (الأرجانون الجديد) الذي كتبه في الرد على الأرجانون القديم (أي منطق أرسطو) والذي يكاد يطابق كتاب الرد على المنطقيين لابن تيميه وأظن أن اللاحق هو الناقل عن السابق (دكتوره فوقية حسن محمود) .

❁ ❁ ❁

نقول هذا كله ونستفيض في كشف زيوف الفكر الوثني القديم لأنه مع الأسف ما يزال يقدم في معاهدنا وجامعاتنا على أنه أصل الفكر العالمي في محاولة لفرضه على العقلية الإسلامية ، ثم يعطي للفكر الإسلامي حيز قليل باعتباره تابعاً للفلسفة اليونانية ومترجمها له ثم يأتي دور الفلسفة المادية الحديثة فتبدو الصورة وقد أبعد الفكر الإسلامي الذي قدمه القرآن الكريم والسنة النبوية تماماً وحجب حجاباً شديداً عن أن يوضع في مكانه الصحيح ويجري هذا كله في محاولة فرض المفهوم الغربي للحياة والعقيدة على نحو تختلف تماماً عن مفهومنا الإسلامي فضلاً عن أنه ينقل إلينا مصطلحات أوروبا العلمية التي تمس الإسلام في صميمه وتعصف بإيمان الشباب المسلم .

إن محاولة العودة إلى الوثنيات اليونانية والمجوسية التي يقوم بها أساتذة الفلسفة المتصدرين اليوم : أمثال فؤاد زكريا وعاطف العراقي ومن قبلهم الأب قنواتي هي المرفوضة وكلنا نريد أن تأخذ نفس الطريق الأصيل الذي شقه وأصلحه الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلاميذه وفي مقدمتهم الدكتور علي سامي النشار ، هذا التيار الأصيل الذي يحاول التغربيون إهالة التراب عليه .

❁ ❁ ❁

ويقتضينا البحث أن نفهم الفوارق العميقة بين الأدوار المختلفة للشخصية الواحدة تكون في مجال العلوم بارزة معطية وتكون في مجال آخر لها موقف مختلف.

من هذا الصنف : ابن سينا والفارابي ونصير الدين الطوسي وغيرهم ، أما دعاة التغريب فهم يموهون على الجوانب غير السوية ويخفونها تحت ستار الدور الذي قام به هؤلاء في مجال العلم التجريبي .

ولكنا ونحن نرجو أن يكون العلم خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى فإن الأمر يقتضينا أن نفرق تفرقة واضحة عميقة بين دور هؤلاء في مجال الطب أو العلوم وبين دور آخر قاموا به في مجال السياسة أو ما يسمى بالمذهبية الخالصة .

وقد كشفت الأبحاث في السنوات الأخيرة ظلالاً من الشك حول هذه الشخصيات ودورها في خدمة الفكر الباطني وفي موالاة القرامطة والزنج والراغبين في هدم النظام الإسلامي الممثل في أهل السنة والجماعة .

وفي بحث نشرته مجلة العربي عن (نصير الدين الطوسي) عالم الرياضيات والفلك تحدث الدكتور عبد العظيم أنيس عن الدور الذي قام به الطوسي في هذا المجال . وهذا مقبول منا لا نعارض فيه ولكنه أخفى في خبث ومكر جوانبه الأخرى ودوره الخطير في موالاة أعداء الإسلام وخدمة التتار في تخريب بغداد وقتل القائمين على الخلافة الإسلامية.

وقد حاولت أن أسأل الدكتور أحمد سعيد الدمرداش في هذا فلم يجاوبني رحمه الله – وكان قد حقق مخطوطة (تحرير المناط لإقليدس) التي كتبها الطوسي .

ويشهد كاتب البحث أن الطوسي قضى حياة مغامرة ، قبل أن يستقر به الحال في كنف حكم هولاكو ، بعد إنهيار دولة الخلافة أمام المغول ، ولكنه لم يزد عن أن يقول أن الطوسي شهد سقوط بغداد في أيدي المغول عام ١٢٥٨م / ٦٥٦هـ ولم يفصح عن الدور الخطير الذي قام به ولم يزد على أن قال أن هولاكو قد استخدمه ضمن بطانته حتى أصحب وزيراً له .

وهذه ليست الحقيقة كاملة ، ولا ريب أن أي عالم مسلم في كفاءة الطوسي يعمل مع هولاكو في هذه الفترة العصيبة لا يمكن أن يكون سليم الوجهة ، ومعظم الكتابات تقول إنه قام بدور خطير مع خصوم الإسلام لإسقاط الخلافة وشارك في قتل الخليفة المستعصم وأعوانه وأنه كان من الباطنية الساعين لهدم الإسلام .

بل إن جورج سارطون يقرر : إن كتب الطوسي التي خلفها كانت معظم مصادرها العلمية من عناصر يونانيه ، ويرى الدمرداش أن شروحه ومخطوطاته لم تأت بجديد عما ألفوه في كتابات ابن سينا وابن الهيثم .

يقول على الراعي : وتزداد هذه النظرة تأكيداً من دراسته كتاب (تحرير المناط لأقليدس) وهو كتاب في البصريات عناصره يونانية فمفهوم الضوء عند الإغريق والطوسي قوامه استاتيكي وهو لا يعدو أن يكون خطوطاً مستقيمه ليست له سرعة أو دفع كما كان ينظر إليه ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي ، إن فكرة الإبصار عند اليونانيين كانت تعتمد على خروج شعاع من العين إلى الجسم المرئي بينما أنجز (ابن الهيثم) ثورة في علم البصريات بنظريته في الضوء الذي يصدر من شعاعه في الجسم إلى العين ووضع نظرية الانعكاس والانعطاف خلال إقامته في القاهرة في كتابه (المناظر) الذي ألفه بعد وفاة الحاكم بأمر الله ومع ابن الهيثم الذي وضع نظريته في القرن الحادي عشر الميلادي إلا أن النظرية اليونانية لعلم البصريات التي سايرها من بعد الطوسي وتلميذه قطب الدين الشيرازي حتى أبطلها تلميذه كمال الدين الفارسي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن درس كتاب المناظر لابن الهيثم واقتنع به ويعد (برونيسكي) في كتابه (ارتقاء الإنسان) ابن الهيثم العبقرية العربية الحقيقية (الإسلامية أساساً) لأن أفكار ابن الهيثم هي التي أدت إلى فكرة المنظور التي كانت ذات أثر كبير على الفن في أوروبا .

ومعنى هذا أن الطوسي لم يكن متفوقاً حتى في مجال العلم التجريبي وإنما كان من أهل التبعية للفكر اليوناني شأنه شأن ابن سينا والفارابي بعد بروز ابن الهيثم ولكن يبقى أن له في مجال العلم التجريبي نظرة (مسلمة التوازي) في علم الهندسة الإقليدية وحولها خلاف وحوار وعلم حساب المثلثات أ.هـ .

❁ ❁ ❁



الفصل الثاني

الفلسفات المادية

لا مشاحة في أن الإسلام هو الذي شكل المنهج العلمي التجريبي ، وأخرج أوروبا والعالم كله من وثنية الفلسفة الإغريقية والفارسية والهندية القديمة التي قامت على مفاهيم علم الأصنام والتي حاولت غزو الفكر الإسلامي في القرن الثاني الهجري عن طريق المأمون ومدرسة نصيبين بقيادة حنين بن اسحق وجماعته.

ولقد كانت مهمة الإسلام تتمثل في أمرين عظيمين :

الأمر الأول : هو تقديم المنهج الرباني الأصيل للعلم والمعرفة : هذا المنهج الذي أسسه القرآن الكريم والسنة النبوية .

والأمر الثاني : هو تحطيم منهج الوثنية البشرية الذي كان سائداً في ذلك الوقت والذي كان يجمع عصارة فكر طفولة البشرية .

وبذلك كان منهج الإسلام (من خلال القرآن الكريم أساساً) أول من وضع الأسس الصحيحة للبحث العلمي والتجريبي والنظر في الآفاق والجمع بين الوحي والعقل - ووضع العقل تحت ضوء الوحي من منطلق واضح لغاية محددة هي :

١- **الربانية** : بين الإنسان وربه .

٢- **الإخاء** : بين الإنسان والمجتمع .

٣- **التكامل** : بين الإنسان والكون ومكونات البيئة .

فقد وضع الإسلام غاية للفكر والعلم والحياة تختلف عن منهج اليونان القائم على العبودية والرق والوثنية وعلم الأصنام ، كما وضع منهجاً في البحث يخالف المنهج اليوناني القياسي .

وكان العامل الرئيسي في مفهوم المعرفة والعلم الإسلامي ، الحث على النظر والتبصر في المحسوسات وعلى البحث عن الدليل والبرهان في الآراء والأفكار وبين أن ظواهر الكون تخضع لقوانين وسنن طبيعيه وأكد على عالمية العلم في الأخذ والعطاء ولقد وقف المسلمون منذ اليوم الأول لترجمة الفلسفات الوافدة موقف المعارضة والنقد كاشفين عن

منهجهم المتميز وفكرهم المستقل ووجهتهم المختلفة تماماً (بالتوحيد الخالص وتحرير الإنسان من عبادة الإنسان ومن الوثنية) من جميع وجهات الحضارات البشرية السابقة للإسلام .

وكان أساس العلم في الإسلام نبذ التقليد والاعتماد على ماصح بالدليل والبرهان وأن لكل علم من العلوم مصادر أساسية يؤخذ منها كما كشف المسلمون عن تناغم حقائق الكون مع حقائق الدين (فالله تبارك وتعالى الذي وهب الإنسان أدوات البحث العلمي هو الذي وجهه لفهم حقائق الكون التي لا تختلف مع ما جاء في القرآن الكريم) .

ولقد قدم القرآن الكريم ثلاث مصادر للعلم :

١- العلم الرباني .

٢- عالم الطبيعة (التفكير في الأنفس والآفاق) .

٣- عالم التاريخ - الذي سماه (أيام الله وسننه في خلقه) .

ولقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير في أحوال الإنسان الحاضرة والماضية واستشهد بوقائع التاريخ والأمم التي آمنت فنفعها إيمانها أو أعرضت فدمر الله عليها .

ولما أدرك المسلمون أن الكون متحرك وسائر وغير متناه وقابل للتجديد والإضافة وحادث له نهاية محتومة ، انصرفوا إلى رفض الفلسفة اليونانية فقد كانت روح القرآن الكريم تتنافى مع الفلسفة اليونانية حيث تقوم الحكمة اليونانية على مجرد النظريات لا الحقائق بينما يؤكد القرآن على حقائق ثابتة أصيلة **﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾** .

﴿ لكل أمة أجل ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ .

﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين ﴾ .

وهكذا حطم الإســـلام المفاهيم الباطلة التي كانت منتشرة إبان ظهوره (تأليه الكواكب ، عبادة الأصنام ، تعدد الآلهة ، الإيمان بالدهر ، التنجيم ، الكهانه ، العرافة).

فحرر الإسلام الفكر من قيوده ، ودفعه نحو التجريب والمنهج العلمي القائم على البرهان والدليل ، وقد حملهم هذا المنهج على الحيطه والحذر من قبول ما ترجم من الفلسفة اليونانيـة وكانت وجهتهم إلى ترجمة العلوم وحدها - ولما ترجمت نقدوها وكشفوا أخطار أعلامها جالينوس وأرسطو وغيرهما ، أما ترجمة الفلسفات فقد تمت بتأثير المترجمين السريان لخدمة دينهم ولمعارضـة مفهوم التوحيد وقد قاومها المسلمون بالقرآن والمنهج العلمي ، وقد حث القرآن العقول على استخدام الاستدلال العقلي واســـتنباط النتائج من المقدمات واستخدام المشاهدة الحسبيه واستقراء الجزئيات في عالم الطبيعة لتصل بنا إلى معرفة القوانين العامة التي تسـير الكـون - وقد جاءت الآية الكريمة ﴿ **فاعتبروا يا أولـي الأبصـار** ﴾ ليستخرج منها العلماء نظرية الاعتبار وهو القياس بنوعيه العقلي والفقهي .

والاعتبار هو : النظر في الحكم الثابت لأي معنى ثـابت وإلحاق نظيره بـه وهـذا عـين القياس .

فالقرآن الكريم يدعونا إلى البحث في كيفية خلق الحيوان والكواكب والجبال والأرض.

والآية الكريمة ترسم لنا هذا المنهج ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليـل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السـماء مـن مـاء فأحيينا به الأرض بعد موتها وبـث فيهـا مـن كـل دابـة وتصريـف الريـاح والسـحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

وينبه القرآن إلى أن النظام الكوني مطرد السنن له قوانين لا تتبدل وهـي مـا تصـل إليـه بالاستقراء العلمي القائم على المشاهدة الحسية . ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل ســـابق النهار** ﴾ ، ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفســهم** ﴾ ،

﴿ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ، ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ .

كل هذه الآيات تؤكد أن الاجتماع البشري له قوانين لها نفس الإطراد والثبات .

كما يحتوي القرآن الكريم على الأصول العامة للدلائل العقلية التي يأخذ بها العقل البشري للمضي إلى وضع تفاصيلها وكشف قوانينها وطرق استخدامها .

ويقول الإمام الغزالي : وأول ما يستضاء به من الأدوات ويسلك به طريق النظر والاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيانه بيان .

والمنهج القرآني يدعو إلى طرح التقليد لتحرير الفكر من قيوده ومن الاعتقادات الباطلة الموروثة التي سبقت نزوله وقد نعا على التقليد الأعمى وأسمى أصحابه بالأنعام .

ويجعل القرآن العلم وحده لا التقليد ، السبيل الموصل إلى ما يعتقده الإنسان ولا يقر الإسلام التوقف في مفهوم العلم عن العبادات أو أحكام الشريعة بل يجب تجاوزه إلى مفهوم الفكر والثقافة المعاصرة ، فإن هذا الفهم يعزلهم عن عصرهم وعن الصراعات الفكرية والتيارات الدخيلة ويصبحون غير قادرين على مواجهة المذاهب الإلحادية .

ولذلك فلابد من الأخذ بمفهوم دراسة التحديات التي يقدمها التغريب إذ لا يمكن عزل المجتمع الإسلامي عن هذه الفلسفات التي تحوم الآن في محيطه وتؤثر في غيره من العلوم والدراسات الجامعية وغيرها .

فالعلم هو العلم الكوني والمادي جملة ، وذلك متفق مع مفهوم الإسلام الجامع .

قال الإمام الغزالي : أما فرض الكفاية من العلوم المحمودة فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات ، فلا تعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات ، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالعلاج والحكاية .

وليس صحيحاً أن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم الديني فقط فإن البحث في الآفاق والبحث في الأنفس ينتهيان بنا إلى اكتشاف قوانين الخلق ومعرفة الخالق ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** ﴾ ، (دكتور أبو الوفا التفتازاني) .

هذا المنهج العلمي الإسلامي بكل فروعة وأصوله وضوابطه هو الذي أخذه الغرب وأقام عليه بحوثه ثم أدعى أنه من صنعه في مؤامرة واسعة النطاق لإنكار فضل المسلمين ، وقد مضى هذا الادعاء ومؤامرة الصمت أكثر من قرنين من الزمان لولا أن فيض الله تبارك وتعالى بعض أولى الفضل والمنصفين الذي رفعوا الصوت بالحقائق ، أمثال جوستاف لوبون ودرابر وتوماس كارليل وسجريد هونكه .

وما تزال هناك أصوات متعصبه حاقدة لا تتوقف عن الاتهام بأن حضارتنا الإسلامية لم تعرف البحث العلمي ولم تعرف أسسه وقواعده وخاصة في مجال العلوم المختلفة من طب وكيمياء وفلك وفيزياء والزعم بأن جهود علماء الإسلام قد اقتصرت على ما نقل من الأجيال السابقة وأنها كانت مقصورة على نقل وترجمة تراث الإغريق والفرس والهنود والسريان .

يقول الأستاذ محمد عبد القادر الفقي : ويكفي للرد على ذلك كلمة للبيروني (أعظم عقلية في العصور الوسطى) والذي استطاع أن يقيس قطر الأرض .

يقول : إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله في صناعته من تقبل اجتهاد من تقدم بالمهنة وتصحيح خلل إن عثر عليه وتجلية ما يلوح له منها تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان وأتى بعده ، فعلماؤنا لم يقبلوا في قضية النقل عمن سبقوهم إلا الصحيح ، ويصححون مافيه الخلل ولا يتم التصحيح إلا عن إحاطة كاملة بالموضوع المطلوب تصحيحة وامتلاك أدوات البحث التي تعين على معرفة مكامن الخطأ وتكشف الستار عن الصحيح وتعرف به .

٢- وقد وضع علماء المسلمين أسس البحث العلمي التي تتعلق بكيفية إجراء البحث وتحديد دوافعه وأهدافه ووسائلة والغاية منه وهي :

أولاً : الاعتماد على المصادر وذكر أصحابها بها وأسمائها .

والاعتراف بجهود من تعلموا منهم أو نقلوا عنهم وقد تشدد المسلمون في تطبيق هذه القاعدة .

ثانياً : الأمانة والدقة في النقل .

(ولم يفعل الغربيون ذلك حين ترجموا كتب علماء المسلمين)

ثالثاً : تصحيح النظريات الخاطئة ورفض المعلومات غير الحقيقية .

رابعاً : إجراء التجربة العلمية : التدبير والمشاهدة والاستنتاج .

خامساً : أن العلم الذي حث عليه القرآن والسنة هو كل معرفة مستندة إلى الاستدلال.

فالعلم في الإسلام يشمل مجالات عده (العلم التجريبي والعلم الديني) .

وهذا المفهوم هو ما تقصر عن الدلالة عليه كلمة Seienee بمفهومها الغربي الحديث فهو يشمل علوم الدين وما وراء الطبيعة .

ومجال الماديات وما يقوم على الملاحظة والتجربة وأورد القرآن الكريم (العلم والحكمة) (الفكر - النظر - الالباب - البرهان) وقد دعا القرآن إلى العلم على التقيض من الأسفار المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد) (وفي ضوء هذا العلم رفض ابن النفيس نظرية جالينوس في الدور الذي تقوم به الرئتان بالنسبة لانتقال الدم ، كما لم تقنع نظرية بطليموس في تكوين الأرض جميع العلماء المسلمين ، وقد خالف الكندي أرسطو في تعليل نشأة المطر كما انتقد إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قره كتاب أرسطو في الآثار العلوية) .

٣- ولقد كان علماء الحديث هم أول من ابتكر منهجية البحث الحقة ، فهي منهجية قرآنية بالدرجة الأولى فكما استمدت السنة الشريفة حجيتها من القرآن فقد استمدت منهجيتها أيضاً من القرآن ، يقول دكتور همام عبد الرحيم سعيد : إن منهجية علماء الحديث لم تأت نتيجة عبقريتهم بالدرجة الأولى إنما كانت بفضل التربية القرآنية وبفضل التربية النبوية التي تلقاها النبي ﷺ من وحي الله تبارك وتعالى وتلقاها الصحابة من فم النبي ﷺ ومن تربيته ومن هنا بدأت المنهجية .

فالقرآن الكريم أول منهج منظم وشامل للحياة يقرر منهج الحياة ومن منهج الحياة يقرر منهج الرواية القائمة على التثبت من الأخبار والأخذ من العدول والأخيار فكان يطالب كل صاحب قول بدليله وبرهانه : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ "البقرة" ، ﴿ **نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** ﴾ " الأنعام " .

وهكذا وقف القرآن الكريم منذ أول لحظة وهو يتنزل على قلب رسول الله ﷺ يعري الثقافات الأخرى ويكشف زيفها ويعلن أنها لم تكن منهجية في تفكيرها وطريقة عملها.

وقد امتدت مجموعة الحديث بحجمها الهائل الصادرة عن النبي ﷺ (والتي لم تقف عند حدود أقواله بل كانت أقوالاً وأفعالاً وصفات وتقريرات) امتدت من لحظة تنزل القرآن على النبي إلى أن اختار الرفيق الأعلى بل وامتدت لتشمل جيل الصحابة باعتبار أن أعمالهم وأقوالهم شاهدة على عصر النبوة ومتأثرة بشكل مباشر وغير مباشر بحديث النبي ﷺ ، وقد بدأ المنهج عمله بعد أن أختار النبي الرفيق الأعلى وكانت إرادتهم للحديث والسنة ليس من باب الترف العلمي ولا من باب البحث عن النصوص لنصرة الخصوم بعضهم على بعض ، وإنما لأن الصحابة فهموا أن السنة هي الحياة وأن لا حياة خارج السنة وأن السنة هي النور ، وقد اختار الإمام البخاري رضي الله عنه صحيحه من بين ستمائة ألف حديث وله كتاب ما زال مخطوطا في طشقند وهو مسند الإمام البخاري يحتوي على مائة ألف حديث وقد ألف كتابه في السنه بإشارة من أستاذه

(اسحق بن راهويه) فندب نفسه لهذه المهمة ولما يصل بعد إلى سن الثامنة عشرة وقد عمد إلى طريقة منهجية عجيبة إذ إنه بدأ بدراسة الطرق من زمن رسول الله إلى زمنه وألف كتب التاريخ المعروفة في رجال التاريخ الكبير والأوسط والصغير والضعفاء الكبير والصغير والكنى ودرس حلقات الرواية من زمن النبي ﷺ إلى زمنه ، واختار من بين الستمائة ألف حديث أربعة آلاف حديث من غير المكرر وهي ترجع في الحقيقة إلى ألفين وستمائة وحديثين لأن من عادته أن يقسم الحديث أقساماً فيجعل في كل باب جزءاً من الحديث ما يخص هذا الباب وقد يجعل الحديث الواحد في سبعة عشر موضعاً إلا أنه يستنبط منه سبعة عشر حكماً ويضعه في سبعة عشر باباً وهكذا نشأ المنهج العلمي الأصيل الذي طبقه المسلمون في مجال التاريخ والعلوم والذي أخذه الغرب من بعد فهو منهج إسلامي أصيل .

٤- إن الدور الذي قام به الإسلام في بناء منهج العلم ومنهج المعرفة الإنساني قد أصابته مؤامرة الصمت بتجاهل كبير والواقع أن عطاء الإسلام للبشرية ، للحضارة ، للعلم ، هو صفحة من أروع الصفحات التي سجلها تاريخ الإنسانية ومع ذلك فإن سحباً كثيرة ما زالت تسيطر على آفاق البحث ، ومرجعها إلى أحقاد الاستشراق والتبشير التي تعمد إلى تزييف الحقائق والتقليل من حجم الأحداث والتي تهدف بهذا إلى الغض من شأن الدور الضخم الذي قامت به الحضارة الإسلامية خلال ألف عام قبل أن تظهر الحضارة الغربية ، ومن المؤسف أن هيئات ثقافية كبيرة في العالم الإسلامي تؤازر هذا التغريب وتعمل من أجل التعتيم حتى تنتقص في نفوس المسلمين ثقتهم بالأصول الربانية الخالدة التي قام عليها عطاء القرآن الكريم والحديث الشريف في بناء الفكر الإسلامي بمفهومه الجامع الشامل الذي تميز عن معطيات الأيدلوجيات البشرية الوافدة والتي لم تعد قادرة على العطاء ، والتي أثبتت عجزها عن الاستجابة لأشواق النفس الإنسانية مما كان سبباً حقيقياً للأزمة التي يعانيها الإنسان المعاصر وحضارته بينما لا تزال

المعطيات الإسلامية حية نابضة بالقدرة على العطاء وإخراج البشرية من أزمتها ودفعها إلى الطريق الصحيح .

لقد سبق مفكرو الإسلام علماء الغرب في تقنين مختلف العلوم الطبيعية والعلمية والكيماوية التي نمت بعد ذلك نمواً حجب مع الأسف مصادرها الأولى ، ولقد عاد بعض المنصفين في السنوات الأخيرة ليؤكدوا أن أعمال ابن سينا ، الزهراوي ، ابن النفيس ، ابن الهيثم ، الخوارزمي ، جابر بن حيان ، البوزجاني ، البيروني ، الصولي ، ابن يونس في الرياضيات والفلك والطبيعة ، كانت بمثابة المصابيح التي أضاءت منها أوروبا قناديلها والمصادر التي استقت منها نظرياتها .

فقد قدم العلماء المسلمون نظريات الجاذبية وسرعة الضوء والراصدات الفلكية وتحضير المركبات ووصف النباتات والحيوانات والأدوية الفردية والمركبة مما كان بمثابة الزاد الذي اعتمدت عليه النهضة الأوروبية وانتشرت في جامعات باريس وإكسفورد وكبرج وغيرها.

وقد أشار المؤرخ الغربي (هونشو) إلى أن العرب والمسلمين هم الذي أنشأوا علم نقد الأخبار ، إذ كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والأيام ، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم منذ اليونان والرومان ، وأوروبا في العصور الوسطى وقال المؤرخ بكل : إن التوقيت على هذا النحو لم يعرف في أوروبا قبل عام ١٥٩٧م وأن طريقة النقد التي انصبت على الرواة ضمنت إلى حد كبير صحة الأخبار المتصلة بالقسم التاريخي في السيرة وبحوادث الدولة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى نرى أن (بيكون) رفض الأساس الذي قامت عليه الفلسفة طوال عصورها الوسطى ، إيماناً منه بأن هذا الأساس لا يمكن أن يؤدي إلى علم جديد ، وهذا الأساس هو المنطق أو القياس المنطقي وأعلن بيكون : أن القياس المنطقي وسيلة عقيمة

لأن عليك أن تسلم بمقدماته تسليماً لا يجوز فيه الشك ، أما الأساس الذي وضعه هو للبحث فهو (الملاحظة والتجربة) ، وكان في ذلك متابعاً ، أو ناقلاً للنموذج الإسلامي فقد سبقه إلى هذا : الحسن بن الهيثم الذي ما تزال آراؤه تحتل مكان الصدارة في الرياضة والبصريات .

وهكذا حدث هذا التحول الخطير في الفكر الغربي من القياس المنطقي وفق المنطق الأرسطوطاليسي ، إلى المنهج الاستقرائي الذي وضعه علماء المسلمين وقد لجأ هذا الفكر إلى التجربة التي أطلق عليها اسم (الاختبار) .

بل إن الفضل الأكبر في نجاح الرحلات البحرية الاستكشافية يرجع إلى ما كتبه (أحمد بن ماجد) وما قدمه المسلمون من المراجع الجغرافية التي ترجمت ومدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العرب السابقة وكان الفضل الأكبر في نجاح فاسكودي جاما يرجع إلى مصاحبة ابن ماجد الذي قاده من شرق أفريقيا وأوصله إلى الهند .

ومن أجل إبراز هذا الدور الكبير الذي قام به علماء الإسلام فنحن في حاجة إلى إقرار أولية المسلمين في بناء منهج العلوم والحضارة فإنهم في الغرب عندما يؤرخون لنشأة العلوم يغفلون خمسة قرون من الحضارة الإسلامية فتراهم يبدأون من القرن الثالث قبل الميلاد منطلقين من أكاديمية أفلاطون ثم يقفزون إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد للحديث عن جامعات أكسفورد والسربون في إشارة ضعيفة إلى الأزهر والزيتونه والقرويين والمدرسة النظامية وجامعة قرطبة ، متجاهلين تلك النهضة الإسلامية الضخمة التي قدمت منهج التجريب ومنهج المعرفة ذي الجناحين (المادة والروح) ومنهج قوانين قيام الأمم والحضارات وسقوطها مستمدة إياه من القرآن الكريم ، وما يزال الغرب يقيم مؤامرة الصمت حول هذا الدور الخطير منكراً إياه وما يزال يدعي أنه مؤسس مناهج العلوم وصانع الفكر والحضارة ، ونحن المسلمين لا ننكر أنه حمل لواء الفكر الإسلامي

والعلمي ومضى به قدماً إلى غايات بعيدة ولكن أين الاعتراف بهذا الدور حتى في كتبنا التي تدرس في معاهدنا وجامعاتنا .

وما يزال الغرب يركز على علوم معينة تأثرت بالفكر اليوناني ويحفل بها ويتجاهل أولية الإسلام وريادته في مجالات لم يسبق إليها ولا يزال عطائه قائماً فيها لم ينقطع .

وقد أشار بعض الباحثين الغربيين إلى هذا الدور وإلى إنكار الغرب له حيث يقول مونتجمري وات : لقد كان لشعور أوروبا الغربية بالنقص عند مواجهتها للحضارة الإسلامية جوانب متعددة ، فالتكنولوجيا الإسلامية كانت متقدمة عن التكنولوجيا الأوروبية في كثير من الميادين ، وكان أثرياء المسلمين أكثر استمتاعاً بالكماليات من الأوروبيين ولكن كان تشويه هؤلاء الأوربيين لصورة الإسلام ضرورياً لتعويضهم عن إحساسهم بالنقص ، وعندما نلم اليوم بكافة جوانب مواجهة المسيحية اللاتينية في العصور الوسطى يتضح لنا أن تأثير الإسلام في العالم المسيحي الغربي هو أضخم مما نظن عادة فلم يقتصر دور المسلمين على تعريف أوروبا الغربية بالكثير من منتجاته المادية واكتشافاته التتكنولوجية ولا على إثارة اهتمام الأوربيين بالعلوم الفلسفية بل إنه دفع أوروبا أيضاً إلى تكوين صورة جديدة لذاتها فقد أدت مواجهة الأوروبيين العدائية للإسلام إلى تهوينهم من شأن أثر المسلمين في حضارتهم ومبالغتهم في بيان أفضال التراث اليوناني والروماني عليهما ومن ثم فإن من أهم واجباتنا نحن الأوروبيين الغربيين اليوم والعالم في سبيله لأن تتضح عالماً واحداً أن نصحح هذه المفاهيم الخاطئة وأن نعترف اعترافاً كاملاً بالدين الذي يدين به الغرب للعالم الإسلامي .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن دارسي تاريخ العلوم في أوروبا قد سلموا الآن – على حد قول العلامة المودودي – بأن العلوم المادية التجريبية إنما ولدت هي ومنهاجها في حجر الإسلام ونمت وترعرعت في حضانته فلا تناقض بينها وبين دين الإسلام وهي علوم لا تستطيع أن تقول شيئاً في مسائل الإيمان أو الإلحاد .

إن الحقائق التي كشفت عنها هذه العلوم قد أدخلت عدداً من العلماء في الإيمان بالله (تبارك وتعالى) فليس الإلحاد أساس البناء في هذه العلوم ، ولا تعارض بين نتائج هذه العلوم وبين الإسلام .

وعندما تقول هذه العلوم إن المادة لا تفنى ولا تستحدث يقول القرآن : كل شيء هالك إلا وجهه ففي الإسلام كل شيء ما عدا الله (تبارك وتعالى) مخلوق ومستحدث ، المادة والروح ومن خلق من عدم لابد أن يهلك .

وقد اتفق علماء المناهج على أن معارف الإنسان نسبية وليس هناك تناقض بين العلم الحديث والإسلام ، بل تعارض جزئي يمكن إصلاحه عن طريق الفهم الصحيح للقرآن والسنة والوحي هو الحكم وهو المعيار ، وهو المرجع النهائي ، هذا هو التوفيق الحقيقي بين الإسلام وحضارة العصر عبر عنه ابن تيمية في كتابه (درء التعارض بين العقل والنقل) .

ويرجع تألق العلم وازدهاره عند المسلمين بشكل أساسي إلى إتباع المسلمين ابتداءً لتعاليم القرآن الكريم وفهمهم العميق لآياته التي تنص على أن المعرفة هي أسمى ما يمكن أن يحققه الإنسان .

ويقدر الباحثون أن ثُمن آيات القرآن الكريم (٧٥٠آية) تحث المؤمنين على دراسة الطبيعة والتفكير فيها وعلى الاستخدام الأمثل للعقل بحثاً عما هو جوهري في الطبيعة وتلك هي البديهية الأولى التي يجب أن ينطلق منها تفكير الأصوليون .

هذا فضلاً عن أنه لا توجد آية واحدة بين الآيات القرآنية التي تصف الظواهر الطبيعية تتعارض مع ما نعرفه بصورة مؤكدة في اكتشافاتها العلمية .

وقد ظلت سطوة المسلمين في مجال العلوم طوال ثلاثمائة وخمسين عاماً (ابن الهيثم والبيروني) وبعد قرن من البيروني توقف إنتاج العلوم المتقدمة من أقطار الإسلام .

وكان على الدراسات العلمية أن تنتظر - كما يقول الدكتور محمد عبد السلام - خمسة قرون بعد ذلك لكي تعود إلى نفس المستوى من النضج من الإصرار على الملاحظة والتجربة (من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر) بظهور جاليليو وغيره .

قال ابن خلدون : إن المسلمين لم يأخذوا بالأقيسة اليونانية المنقولة عن أرسطو لملابستها للعلوم الفلسفية المبنية للعقائد غير الإسلامية ، وفي مقدمتها المنطق اليوناني المبني على الفروض لا على المدركات الحسية الاستقرائية ، فالمدركات الحسية تثبت وجود واجب الوجود ووحدانيته وقدرته سبحانه وتعالى ومسئولية الإنسان كسبه كما هو منهج القرآن الكريم الذي يعمل به أهل الإسلام .

فالمنهج الإسلامي هو الذي قلب تفكير أوروبا رأساً على عقب وأخرجها من ظلمات القرون الوسطى الف عام ومن الرهبانية ومن مفهوم أرسطو عن الثبات ومن التأملات .

وإن أرجانون فرنسيس بيكون هو امتداد لرسالة الإمام الشافعي ، وأن الشافعي وابن حنبل وابن تيمية عقد واحد في مواجهة الفلسفة اليونانية .

فالإسلام هو المصدر الأول للفكر الإسلامي والقرآن الكريم هو المنبع الأصيل الذي خرجت منه نظرية المعرفة الإسلامية والمنهج التجريبي والذي استمد منه ابن الهيثم نظرية الضوء ، وابن خلدون مفاهيمة في بناء المجتمعات ونموها وسقوطها وهو الذي هدى الخليل بن أحمد إلى قوانين اللغة والموسيقى والشعر ، خط واحد يربط هؤلاء الأعلام جميعاً وروحاً واحدة يصدرون عنها في البحث والعمل والفهم وتماثلا في السلوك والخلق يصدر عن استمداد واضح من الفرآن وسنة الرسول العظيم (كان خلقه القرآن) .

ثانياً : كيف واجه المسلمون طوفان الفلسفة المادية في العصر الحديث ؟

أخذ الغرب علوم المسلمين تحت اسم مجهل ، ولم ينسبها لهم كما تقتضي أصول البحث العلمي الصحيح ، ولم يكتف بهذا بل أدعى أن المسلمين لم يقدموا شيئاً سوى

ترجمة الفكر اليوناني ثم بعد أن استطاع احتواء المنهج العلمي التجريبي الإسلامي وتمكن من السيطرة على مقاليد الحضارة العالمية واجه المسلمين بالإعراض الشديد ولم يتوقف عند إنكار فضلهم بل حجب عنهم مراحل التقدم في العلوم التجريبية وفرض عليهم الفلسفة القديمة وغمرهم بالنظريات المضطربة التي تداولتها الفلسفة المادية الحديثة مشرقة ومغربة حتى أحدث لهم اضطراباً شديداً في مجرى فكرهم الإسلامي وعمل على تشكيكهم في جوهر عقيدتهم ومنهجهم الرباني ، وأحيا فلسفات الوثنية والباطنية والمذاهب الهدامة وطرحها في أفقهم بل وأجبرهم على ترجمة كل تراثه بكل وثنياته وإنحلاله ، دون أن يكون لديهم القدرة أو الاستطاعة للاختيار على نحو ما اختاروا في العصر الأول من فلسفة اليونان وبذلك ترجمت كل سموم الفكر البشري القديم والجديد في محاولة لحجب المسلمين عن عقيدتهم الخالصة وفكرهم الأصيل وتراثهم الذاخر بالنظريات والعلوم .

❁ ❁ ❁

ولما كانت الفلسفة المادية هي أم النظريات الغربية كلها سواء منها ما يتعلق بالأدب أو بالاجتماع أو بالنفس أو بالاقتصاد أو بالتربية والأخلاق فإنها هي التي طرحت بشدة في أفق الفكر الإسلامي .

ولقد كانت لسيطرتها على الفكر الغربي أثرها الواضح في التحول الخطير الذي وصلت إلية عملية الفصل بين المحسوس والغيب وتأكيد المحسوس وحجب الغيب في مختلف صوره وإنكاره تماماً وبذلك فقد الفكر الغربي شطر النظرة الإنسانية الجامعة فيما يتعلق بالوحي والنبوة والغيب والمعنويات والأخلاق والقيم والعقيدة ومن ثم وقفت الفلسفة المادية على جناح واحد ، ورؤية واحدة ونظرة قاصرة تعلي من شأن جانب المادة الذي هوشطر الوجود الكوني والوجود الإنساني وتتجاهل جانب عالم الميتافيزيقا (ما وراء المادة) .

وكان هذا من أخطر المزالق القائمة التي أصابت الفكر والمجتمع والحضارة الغربيين ، وكان له آثاره البعيدة المدى ورد الأفعال الضخمة في الأزمات والصراعات والارتطامات التي ما تزال تواجهها الحضارة الغربية منذ ثلاثة قرون .

وقد قام علماء المسلمين في العصر الحديث بمواجهة كل تحديات الفكر الغربي والفلسفة المادية ولم يتوقفوا عن النظر ودحض الأخطاء والكشف عن الفوارق بين مفاهيم الإسلام في نظرية الجامعة وبين النظرة الغربية الانشطارية المستمده من المفهوم المادي والمنكره للجوانب الروحية والمعنوية .

يجب أن يكون واضحاً أن للفكر الإسلامي مقاييسه الخاصة في أمور الثقافة والبحث العلمي والتاريخ ، وأنها تختلف اختلافاً واضحاً عن مفاهيم الفكر الغربي لأنها مستمدة من القيم الأساسية للإسلام وهي القيم التي عرفتها أمتنا منذ أربعة عشر قرناً بينما اقتحمت المفاهيم الوافدة فكرنا وآفاقنا منذ مائة عام فحسب وهي لم تجد قبولاً ولا تقبلاً وانطلق المسلمون يلتمسون أصالتهم ومنابعهم بعد أن اكتشفوا فسادها وعجزها عن العطاء حتى في بيئاتها الخاصة ، إن ما يكتبه هؤلاء الغربيون ويقدمونه إلينا هو وجهة نظر خاصة وقاصرة ورد فعل لظروف متغيرة ، وليس علماً حقيقياً يصلح لكل العصور وكل الشعوب ، وهومستمد من ثقافة مختلطة وتجربة قليلة ولا يمكن أن تشكل منهجاً عاماً ، خاصة وأن هؤلاء الكتاب الذين ينقلون هذا الفكر إلينا لم يطلعوا على ذخائر فكرهم الإسلامي ولم يطلعوا على وجهة النظر الإسلامية (الواسعة الآفاق المرنة التي تتميز بالتكامل والربانية) في مختلف أمور الاجتماع والفكر وأن على القارىء المسلم المثقف أن لا يأخذ هذا الفكر المقدم إليه من الغرب إلا بحذر شديد مهما لمعت أضواءه وقدم على ورق فاخر أو من أسماء لامعة الشهرة .

إننا مطالبون بدراسة كل التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في كل المجالات والكشف عن الحركات الهدامة التي تريد تزييف فكرنا وإضاءة الطريق أمام تحديات

الفلاسفة والباطنية وآثارها في إفساد الحياة الاجتماعية والعمل على كسر الجبال العازلة التي تريد من الإسلام أن يقوم بدور تعويق وحدة الأمة الإسلامية وعلينا أن يكون أمامنا دائماً تجارب المقاومة الإسلامية التي سبقت والتي واجهت القوى المتآمرة على الكيان الإسلامي : التتار والصليبيين والفرنجة وأن نعتمد في مواجهة الغزو الخارجي على الإيمان بمفهوم الجهاد الإسلامي وقوانين النصر الإسلامية دون أن نخضع لمقررات الغرب في هذا المجال فإن ذاتية المسلمين الخاصة وطابعهم المتميز من شأنه أن يجعل لهم مقررات يستمدونها من القرآن الكريم الذي رسم لهم أسلوب الحياة ووسائل النصر والمقاومة والمرابطة والإعداد وهو أسلوب لا يعتمد على القوة المادية وحدها ولكنه يقوم أساساً على عمق الإيمان بالله تبارك وتعالى وبيع النفوس والأرواح رخيصة في سبيل حماية بيئة الإسلام .

❁ ❁ ❁

وللإسلام منهج واضح أصيل يتمثل في قاعدة الثبات الأساسية التي تفرع منها المتغيرات دون أن تمس الأصول والضوابط والحدود ومنها :

١- ثبات الإسلام أمام الأخوة البشرية والعدل الاجتماعي .

٢- ثبات الإسلام أمام الألتزام الخلقي والمسئولية الفردية .

٣- ثبات الإسلام إزاء تحريم الربا وإزاء محرمات الخمر والقتل والميسر والزنا .

حيث يرفض الإسلام حرية الغرب وانطلاق الشهوات ولكنه ينظم الأشواق النفسية في إطار كريم ، كما يرفض الإسلام موقف الجبريه المادية التي تقول أن الإنسان ليست له إرادة ، ويقرر الإسلام أن الإنسان قوة مريدة فاعلة في هذا الكون وبذلك لا يقبل الإسلام مفهوم مسئولية المجتمع .

وللإسلام موقف متميز عن الفكر الغربي من قضايا أساسية (التقدم - التطور - نسبية الأخلاق) .

كذلك فإن الإسلام لا يقر النظرة الغربية التي تعتمد على القياس المنطقي ويعتبره أساساً واحداً للنظر ، إيماناً بأن المقياس المنطقي ليس وحده كافياً في إقامة النظريات خاصة إذا تعارضت مع واقع ذلك التاريخ ، كما لا يقر الإسلام الاستشهاد بوقائع غامضة من التاريخ (على النحو الذي تقوم عليه الماركسية) إذ إن هذه المحاولة الزائفة لا يمكن أن تقدم إلا جزءاً من الصورة مع حجب الحقيقة الكاملة : وهذا هو القياس الفاسد الذي لا تؤيده حقيقة علمية .

وقد كشف القرآن الكريم والسنة المطهرة أصول الفهم لجذور الخلاف بين الفكر الإسلامي (المستمد من كتاب الله الخالد وسنته المباركة) وبين الفكر الغربي (المستمد من وثنية اليونان ومادية الرومان ومتعارضات الفكر اليهودي والمسيحي) .

أولاً : كشف القرآن أخطاء الكتب القديمة وكتب الفلسفات الوثنية في أمرين هامين:

١- قولهم أن الله تبارك وتعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع ، وقد دحض القرآن هذه الأكذوبه فقال تعالى ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ .

٢- قولهم أن الله تبارك وتعالى خلق الكون ثم أدار له ظهره وأنه لا يعلم الجزئيات (جل وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) وقد دحض القرآن الكريم هذا القول في آيات كثيره وقال تعالى ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ .

كذلك فقد كشف القرآن عن أخطاء الكتب القديمة وأصحابها .

أولاً : في قوله تعالى ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان** ﴾ .

ثانياً : في قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا...** ﴾ .

وكشف القرآن الكريم عن التزييف الذي حدث في هذه الكتب في مواضع كثيرة :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ﴾ .

﴿ لا تشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ﴾ .

﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ .

﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ .

وقد كشف العلامه محمد إقبال عن خطر التبعية للغرب وفكره فقال : يجب أن نكون مؤمنين بأنفسنا كافرين بالإفرنج ، فالفكر بقداسة الغرب وإنكار كونه معيار الصدق والصلاح هو الخطوة الأولى والخطوة الوحيدة التي توصلنا إلى تجديد العلوم والآداب فبعد تجديد الإيمان بصدق فكرنا الإسلامي وصلاحية شريعتنا الإسلامية الغراء والكفر بالفكر الغربي العلماني والفكر الشيوعي الإلحادي ، نتمكن من إحياء المناهل الإسلامية التي تبدو وكأنها جفت وذبلت بعد سيطرة الغرب الحضارية والفكرية والعلمية فبعد أن أحيينا هذه المناهل تصبح علومنا الإسلامية وآدابنا ذات حيوية فعالة وتنطلق من حيث وقفت وجفت.

إن واجبنا نحن المسلمون أن نراقب تطورالفكر البشري بكل يقظة وانتباه ، ونحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور وأن نقدر دائماً تأثير الفكر الإلحادي الغربي في تطور العلوم الطبيعية التطبيقية حيث يعتقد بعض المثقفين عندنا في العالم الإسلامي أن العلوم الطبيعية والتطبيقية من الكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات والفلكيات وعلم طبقات الأرض والهندسة والطب وما إليها من العلوم التجريبية لا صلة لها بالدين ، وهذا الزعم الخاطىء نشأ عن النزعة العلمانية التي خلقها نظام التعليم الحديث القائم على التغريب في أذهان الشباب الإسلامي وعقلياتهم ، فنظام التعليم التغريبي لا يعترف بوجود خالق الكون ودوره في العلوم الطبيعية ، مع أنها حين تدرس بالمنهج الإسلامي الصحيح وتعالج بالنظرة الإسلامية السليمة تكون عاملاً هاماً لتقوية الإيمان بالله تبارك وتعالى

وتدعم أسسه في قلوب المتعلمين وأهليهم ومن شأن هذا أن يتطلب تجديد العلوم وتدوينها على أسس إسلامية بعد تطهيرها من الوثنيات الغربية فإذا لم نقم بذلك حدث إختلال وتباين بين مثلنا الحضارية وعلومنا الاجتماعية .

إن تنقية المناهج التي تدرس في معاهدنا وجامعاتنا من أثر الوثنية والإلحاد المتلبس بالترجمات الغربية التي لم تنّقى من وجوه الخلاف بيننا وبينهم في فهم علاقات العلوم بالإسلام ، والمنكرة لوجود الله تبارك وتعالى وعالم الغيب والوحي والنبوة كل هذا يستدعي إعادة كتابة العلوم الإسلامية .

يقول الدكتور زغلول النجار : إن التصور الإسلامي لقضية العلم ، يختلف عن التصور الغربي الأوروبي حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفته ، لقد حمل العالم الإسلامي تراث البشرية من المعارف في الحضارات السابقة والمعاصرة لبعث محمد ﷺ من حضارات الفرس والروم والهند والصين ومصر القديمة ، جمع كل ذلك وأصفاه بمنطق النظرة الإسلامية الصحيحة ، وأضاف إليه إضافات أصيلة وحين أخذته عنه أوروبا بعد ذلك عن طريق المدارس الإسلامية في الأندلس وجنوبي أوروبا بصفة عامة (صقلية وجنوبي إيطاليا) ظهر الفارق واضحاً ، فالمسلمون لم يجدوا في تعاليم الإسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلاً دون نشاطهم العلمي بل وجدوا في القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ما يدفعهم إلى ذلك دفعاً بينما كان الموقف مختلفاً تماماً في عصر النهضة عندما بدأت أوروبا تأخذ بالأسباب إنطلاقاً من القاعدة التي علمتها لهم الأمة الإسلامية ومدارسها في شمالي أفريقيا وجنوبي أوروبا .

غير أن الغرب لم يأخذ بالمنهج الإسلامي في العلم كاملاً ، بل انحرف به تحت ضغط ظروفه الخاصة واختلاف العلماء مع الكنيسة وموقف الكنيسة من العلماء ونظرياتهم على نحـــو دفع العلماء إلى تبني قضية خطيرة هي تناقض العلم مع الدين : أي دين .

لقد كان التناقض خاصاً بأوروبا والمسيحية الغربية ولكنه مع الأسف الشديد نقل بمكر شديد إلى دائرة الفكر الإسلامي في دعوى عريضة ، مع أن الإسلام هو الذي أنشأ المنهج العلمي ودعا إليه ولم يكن من المعقول أن يتعارض معه .

وكان مقطع الأمر أن المسيحية حين نقلت إلى الغرب تغيرت معالمها الأصيلة فعجزت عن العطاء واختلفت مع الإسلام الذي كان منهجاً جامعاً (روحاً ومادة) وكان دنيا ونظام مجتمع فنشأت في الغرب مفاهيم مختلفة : عن الدين وعن العلم ، جاء هذا الخطأ من ترجمة كلمة **Relligion** الانجليزية إلى كلمة دين ، أي لاهوت والإسلام ليس دينا فحسب بل هو بالإضافة إلى جانبه (في علاقة الإنسان بالله تبارك وتعالى) ، فهو منهج للحياة أيضاً **Way of Life** يشمل القضايا الروحية والمادية وليس دينا يقتصر على الجوانب الروحية فقط أو المادية فقط بل يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة وهذاالاختلاف العميق يكشف عن زيف دعوى الصراع مع العلم أو التناقض معه .

ولقد ظل هذا السيف المسلط على الفكر الغربي قائماً وسيظل إلى وقت طويل وهو مصدر الخلاف ، المتمثل في انشطارية الفكر الغربي واقتصاره على الجوانب المادية وإنكار الجانب الروحي والغيبي فالحقيقة في الفكر الغربي هي ما يمكن إدراكه بالحواس الخمس فإذا لم يكن فهو ليس بموجود أصلاً أو كالمعدوم .

وليس الخطر في أن يقر الفكر الغربي هذه القاعدة لنفسه ولكن الخطر هوتسرب هذا المعنى المسموم إلى الفكر الإسلامي .

ذلك أن هناك محاولة مستمرة متصلة عن طريق التعليم والثقافة والصحافة ، في عملية بث خطيره ترمي إلى فرض جملة من المفاهيم المادية على الفكر الإسلامي .

الأول : أن يقبل المسلمون أسلوب الغرب كاملاً كما هو وأن يتجاهلوا منهجهم الرباني الأصيل .

الثاني : أن يظلوا تابعين للغرب تبعية كاملة فلا يتمكنوا من إقامة حضارتهم الإسلامية بمفاهيمها .

وهم في سبيل ذلك يعملون على هدم الثقه ، هدم ثقة المسلمين بقيمهم ومفاهيمهم ومنهجهم الرباني الأصيل ، والعمل على تأخير هذه النهضة البارزة الآن للعيان وإجهاضها أو تدوينها أو تحويلها عن وجهتها وذلك من خلال عقد المؤتمرات (المتآمره) التي تجمع تلك الأسماء المختلفة الهوايات والتي لا يجمعها إلا مفهوم الشعوبية وذلك للوقوف في وجه التيار الإسلامي الأصيل في مكر ومرحلية ، وذلك بتسييسه أو تغريبه أو احتوائه أو توهينه ليستسلم ويصبح مذللاً لمفهوم إسلامي مغرب ومفرع من أصالة الإسلام في ثلاث أشياء (التوحيد - الجهاد - الغيب) .

كما يعملون على دفع المسلمين إلى ما يسمونه السلام الخادع أو الأمن الخادع والإقبال على حياة الترف والانحلال والفساد الخلقي وتقبل الثمرات اليسيرة دون بيع النفوس لله تبارك وتعالى والتجرد لإعلاء كلمته والبذل في سبيلها وتحمل كل عوامل الإذلال والتعذيب في سبيلها ، إن الذين يدعوننا إلى قبول هذه المفاهيم المذللة المستسلمة ، هم من بني جلدنا ويتكلمون بلغتنا وكأنهم يعدون أنفسهم لتسلم هذه الأمانة وإقصاء أهلها الحقيقيين عنها ، وهم يخدعوننا تحت اسم براق هو التحضر والتقدم .

ذلك أن ما يحاولونه بمختلف الوانه وفنونه وصنوفه إنما يرمي إلى القضاء على الشخصية الإسلامية والتميز الخاص الذي يجب أن يختلف به المسلمون عن غيرهم من الأمم وأصحاب العقائد وهو تميز ضروري وخطير ويدخل في صميم العقيدة وأقل محاذيره أن يدع المسلمين هُمَّلاً ليس لهم طابع معين أو وجهه معينة فيضيعون في قطيع الأممية العالمية الواسعة التي ترغب الحضارة الغربية اليوم أن تصهر فيها كل الأمم والأمة الإسلامية بالذات .

إن إصرار المسلمين على التأبي عن الذوبان في كيان الأممية هو أكبر انتصاراتها في هذا العصر وحيث يكثف الخصوم حملاتهم لتحطيم هذه الحصون التي تحمي وجودنا الحقيقي ويضربون بمعاولهم تحت الأساسات حتى تنهار .

والمسلمون يواجهون هذه المؤامرة الخطيرة بقوة الإيمان وبتراخي الأجساد حيث لا يملكون ما يملكه خصومهم من وسائل لإذابتهم .

وحين تطالع مجهودات المسلمين للاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية في مواقع كثيرة من عالم اليوم (في فلسطين المحتلة والهند وتايلاند والفلبين والبوسنه) يدهشنا هذا الجهد الضخم المبذول .

وتجري المحاولات عن طريق الإرساليات التبشيرية في المدن والقرى حيث تقوم حملة شعواء في مهاجمة العقائد الإسلامية والشريعة المحمدية حيث تصافحت المسيحية والوثنية للقضاء على الكيان الإسلامي ومن ورائهم مؤامرة الصهيونية العالمية .

❁ ❁ ❁

إن أخطر ما يحاوله المنهج الغربي هو فرض مصطلح (الطبيعة) بديلاً عن اسم الله تبارك وتعالى وهذا الذي تفرضه الفلسفة المادية هو مصدر كل اسباب الاضطراب والخوف واليأس الذي يغمر الحياة الاجتماعية والنفسية في الغرب وتصطرع فيه فلسفات الوجودية والإباحية والعدمية .

إنكار وجود الله تبارك وتعالى وتأليه الطبيعة بديلاً عن الله هو مصدر فساد وجهتهم ، وهو الذي يصبغ مختلف النظريات والعلوم والمفاهيم بصبغة مظلمة قوامها الضياع والغربة بينما يقدم الإسلام منهج الإيمان وسكينة النفس تحت حكم الله تبارك وتعالى .

إن هذه المذاهب المطروحة على الساحة في الغرب والتي تنقلها قوى الإظلام إلى أفق الفكر الإسلامي إنما تتسابق إلى تقديم بديل عن قدرة الله وسلطانه حيث ترى المدرسة الاجتماعية الفرنسية (دور كايم) أن المجتمع هو الحاكم والمسئول ، بينما ترى المدرسة

الماركسية أن الحاكم هو الاقتصاد والصراع الطبقي أما الطبيعيون فينسبون إلى الطبيعة الخلق والحركة وكل شيء .

وقد جرى المسلمون شوطاً وراء هذه المفاهيم المغلوطة ونسوا أن قوانين الإسلام في العلم ترتبط بمرحلتين متميزتين للعلم لا يجوز الخلط بينهما .

الأولى : معرفة القوانين العامة التي تخضع لها الموجودات .

الثانية : استخدام فكر استدلالي ينتهي إلى إثبات وجود الخالق للكون عن طريق مشاهدة غائية الظواهر التي لا تقرها المصادفة (أي معرفة الله تبارك وتعالى الخالق عن طريق مخلوقاته) .

فينطلق الناظر من معرفة المصنوعات إلى معرفة الصانع على حد تعبير الدكتور أبو الوفا التفتازاني ، والخطأ هو الوقوف عند المرحلة الأولى والذين يقفون عند هذه المرحلة هم من أسماهم القرآن ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون** ﴾ فقد وصلوا إلى منتصف الطريق وعجزوا عن إكمال الطريق في البحث عن آيات الله الكونية فكانوا بذلك محجوبين عن الحقيقة محصورين في دائرة المادة .

فالموضوعية والاعتماد على التجربة الحسية وإخضاع الظواهر للقياس الكمي في البحث العلمي هذا كله من خصائص المرحلة الأولى وهي العلم ويبقى بعد ذلك أن يسير العالم إلى المرحلة الثانية وهي الإيمان وذلك إذا أراد أن يحقق إنسانيته ويجعل لحياته معنى وهذه هي مشكلتنا مع الفلسفة المادية والعلم التجريبي .

فهم في الغرب يقفون عند المرحلة الأولى لا يتجاوزونها ، أولا يتجاوزها منهم إلا من أيقظ الله تبارك وتعالى قلبه ليؤمن .

ومن هنا كانت دعوة الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) .

فالهدف من العلم تحقيق النفع للمجتمع ، فإذا وجه إلى الإضرار بالمجتمع ناقض هذا الهدف ، والعلم المادي ليس هو الحقيقة الوحيدة وعلى المسلم أن يذكر دائماً أن ثمة قوه أكبر من قوته هي قدرة الخالق تبارك وتعالى وأن الكون أوسع من أن يحيط به عقله .

ولا يمكن لإنسان العصر أن يستقر نفسياً ويأخذ الوجهة الصحيحة نحو إنجاز رسالته إلا إذا عرف حدوده مع خالق هذا الكون ومدبره - تبارك وتعالى - لأن الكون كله شأن من شئون الله تبارك وتعالى ﴿ **وله ما في السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور** ﴾.

❁ ❁ ❁

وإذا كان الفكر الإسلامي له تميزه الخاص وطابعة المفرد الذي تختلف فيه عن الفكر الغربي في عمومه ، بحيث لا ينفتح أمامه إلا طريق واحد هو طريق الانتفاع بالعلم التجريبي الذي يختلف شيئاً ما من ناحية بعده عن انحراف الفكر الغربي من حيث احتواء الفلسفة المادية له تماماً فإننا في مجال العلوم التجريبية أيضاً حين ننقلها من الغرب يجب أن نكون على حذر شديد .

ففي العلوم التجريبية يقف (إنكار الغيب) حائلاً دون فهم هذا الكشف العلمي أو استيعابه .

فما يزال الغرب يصر على تجزئة الإنسان وتمزيقة إلى وحدات معزول بعضها عن بعض وهو مفهوم يتناقض مع الفطرة الإنسانية المتكاملة ، إذ إن الإنسان في مفهوم الإسلام غير قابل للتجزىء والفصل وملكاته متعاونة متكاملة وفي ضوء إنكار الغيب يرى العلماء التجريبيون أن الإنسان وحيد وأنه ليس له مستقبل وأنه موجود بالصدفة وأن الإنسان هو الذي خلق الآلهة ويستطيع أن يميتها .

(جاء هذا من مفهوم أن عيسى رسول الله في أعراف المسيحية إله وأنه قتل فالإله قد قتل في صلب عيسى) بينما (لا يقر الإسلام إلوهية عيسى ولا صلبه)

هذا فضلاً عن أن نيتشـــه قتل الإله الجديد ، فهذه الفلسفة المبنية على المادية الخالصة وعبادة الأوثان (آلهة اليونان وخرافاتها موجودة ومقررة في الأدب الغربي) .

كذلك هناك فكـرة هيمنة الإنسان علـى نفسـه وعلـى الطبيعـة وهـي فلسـفة تعتبـر أن الإنسان - وهو نتيجة الصدفة البحتة - مسيطراً على الطبيعة والكون (بينما أن الإنسـان هو من خلق الله تبارك وتعالى وليس مسيطراً على الكون أو الطبيعة) .

هذا الفهم للإنسان في الفكر الغربي يدفع المسلم إلى أن يقف موقفاً حذراً من أثـر هـذه المفاهيم على العلوم التجريبية والطبيعـه والكيميـاء وغيرهـا التـي تـدرس في مدارسـنا مـن خلال مفهوم بعيد كل البعد عن قدرة الله وخلقه وسيطرته فنحن المسلمون لنـا مفهومنـا في الحقيقة العلمية وهو قائم على مظهرين :

١ - الشهادة والتجربة عن طريق العلم .

٢ - الحقيقة الغيبية عن طريق الوحي .

كذلك فإن هناك قواعد للعلم الإسلامي لا توجد في العلم الغربي :

أولاً : أخلاقية العلوم .

ثانياً : امتلاك الله تبارك وتعالى لجميع مقاليد الكون والعلوم والعقول .

ومن هنا فإننا يجب أن نحذر من نقل العلوم من الغرب على أنها التطبيق الوحيد ، وكل ما يؤخذ مـن الغـرب يجـب أن يكـون بمثابـة (مـادة خـام) نشـكلها في دائـرة مفهومنـا الإسلامي للعلم ولسنا نريد أن نحتوي في دائرة التكنولوجيا العالميـة فنصهـر فيهـا ونكـون جزءاً من هذا النظام العالمي المنهار ، ذلك لأن لنـا في الإسـلام مفهومـاً مختلفـاً بعيـداً عـن الاحتكار والربا والعنصرية وإعلاء شأن الجنس الأبيض والسيطرة على الآخرين ، إنما نحن نشكل هذه العلوم في دائرة فكرنا وإطار قيمنا ، دون استعلاء ولا تسلط ولا تحيز لجنس أو طائفة وإنما بوصفها ملك للبشرية جميعاً ، ومصدر للأمان والنماء والخير .

إننا إذا قبلنا الاحتواء في دائرة الغرب ضاعت ذاتيتنا وانصهرنا في بوتقـة حضـارة تلتقـط أنفاسها الأخيرة .

إن الإسلام لا يقر :

أولاً : نظرية الغرب في الخضوع لروح العصر .

ثانياً : نظرية الغرب في الإنشطارية .

ثالثاً : نظرية الغرب في إخضاع العلوم الإنسانية لمفاهيم المادة .

ويقرر الإسلام ثبات اللغة – ثبات الشريعة – ثبات الأخلاق ، ويقدم مفاهيم متميزة في الفن والأدب والصحافة والاجتماع والأخلاق والتعليم والنفس والتربية والمرأة والأسرة والعادات والملابس .

❁ ❁ ❁

ومما يؤيد وجهة الإسلام في عجز العلم المادي عن العطاء ما ظهر أخيراً من حقائق تؤكد تعارض المذاهب المادية المستندة إلى العلوم الوضعية من رياضيات وكيمياء وفيزياء وميكانيكا واحياء ، فإن هذه العلوم التي ازدهرت في القرن التاسع عشر لم تكن تستهدف سوى التقدم الصناعي وقد اقتصرت على دراسة طبيعة المادة واكتشاف العلاقات بين الموجودات وتحليل عناصرها وتركيبها ومعرفة القوانين الكلية التي تربط بعضها بالآخر إلا أنها عجزت عن النفاذ إلى حقيقة الكون وجوهر الأشياء فوقفت عند تفسير ظواهر الطبيعة ونشأة الكائنات الحية ونموها وتفسيرها آلياً بالاستناد إلى مبادىء السببية والحتمية المادية .

وقد اعترف كانط وأتباعه الانتقاديون بعجز المنطق والمحاكمة العقليه من العلوم عن حل المشاكل الفلسفية الكبرى مثل خلود الروح وحرية الإرادة ووجود الله تبارك وتعالى.

كما أن نظرية سبنسر التطورية قد أخفقت في الكشف عن منشأ الحياة وسر وجودها ونموها ، ومن النفاذ إلى الحقيقة الكامنة وراء الاشياء فلم نجد بداً من القول بأنه لا سبيل إلى معرفة المجهول إلا عن طريق العقيدة الدينية .

وقد ذهب برجسون إلى أن العقل بطبيعته أداة تحليل وتركيب وأن وظيفته الأساسية هي السيطرة على المادة واستخدامها وصنع الآله ، وبذلك كان له فضل في تقدم الحضارة ولكن هذا العقل مقتصر على كشف الظاهر دون الباطن .

كما تأكد أن العلم لا يمكن أن يكون محايداً ، ويتساءل البعض هل كان دارون محايداً عندما استغل بعض الوقائع العلمية لمقولة إن الإنسان والقرد من أصل واحد ، وهل كان فرويد محايداً عندما استغل بعض الظواهر النفسية ليصل من خلالها إلى ضرورة إطلاق النزعات الجنسية وهل كان ماركس محايداً حين ادعى أن المادة أصل الوجود وأن العامل الاقتصادي وحده هو مفتاح التاريخ ومحرك أحداث الحياة .

ثالثاً : تناقض الفلسفة المادية :

يقرر المفكرون الغربيون أن الفلسفة المادية تقوم على نظريات ثلاث :

أولاً : نظرية هيجل في فلسفة التاريخ التي تقوم على استعراض ما تعرض له كل عصر من عصور التاريخ الإنساني من النقائص والعيوب ومواطن الضعف والتزعزع .

وقد ترك ماكان فيه من المحاسن إلى العصر الحضاري الذي جاء بعده ومؤدى ذلك أن الحضارة التي تعيش الآن هي خلاصة ما كان في العصور الماضية من عناصر الخير والصلاح وليس في العصور السابقة ما يستحق أن يلتفت إليه أو يهتدي به إذ إن أجزاء الماضي التي لم تنضم إلى الحاضر إنما هي أجزاء مرفوضة نبذها الإنسان بعد أن اختبرها ولم يجد فيها عناءه .

(وهذه الفلسفة تعني في صراحة ووضوح إلغاء الدين وإنكاره وتجاوزه والاعتراف بعدم نفعه وبأنه كان من التراث القديم الذي انتهى أمره) .

ثانياً : نظرية التطور (دارون) التي كان من آثارها الفلسفية أن الأصل في التصور الإنساني للكون أنه مضمار للصراع والنزاع وأن من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح

والمصارعة وفي ضوء هذه النظرية أنه لايستحق البقاء إلى من أثبت قوته وكل من يفنى في هذا النظام القاسي فإنه إنما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفناء وأن القوي هو على الحق إذا أخذ مكان الضعيف بعد أن أزاحه وقضى عليه .

وهذه الفلسفة تعني [روما سادة وما حولها عبيد] وأن الاستعمار من حقه السيطرة على الأمم الضعيفة واستعبادها وانتهاب ثرواتها .

ثالثاً : نظرية التفسير المادي للتاريخ لماركس ، وهذه أتمت حلقات الفلسفة المادية في النظر إلى الحياة وهي التي تجعل الإنسان ما زال محارباً منذ بدأ أمره لأغراضه الشخصية ومصالحه الفردية وأنه ما انقسم إلى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات إلا لأجل ما كان في نفسه من أثرة وحب لذاته ، وما نشب ما نشب بين الطبقات والشعوب من الحروب والمنازعات إلا بسبب هذه الأثرة الذاتية وإلى هذه المصارعة الطبقية يرجع الفضل فيما رزقه الإنسان من تقدم وارتقاء .

وهكذا تعني الفلسفة المادية : أن جميع ما في الكون مؤلف من المادة وأنه لا وجود إلا للمادة ، وأن المادة أزلية لا تفنى وأن كل ما في الوجود من أشياء إنما تكون بمحض الصدفة .

إن كل ما نسميه عقلاً أو نفساً أو روحاً أو فكراً إنما هو شكل من أشكال المادة وأن تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين طبيعية لا تختلف وهي في غير حاجة إلى الإيمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسيره وأن الإنسان سيد نفسه ومالك مصيره فهو وحده المسئول عن أن يشرع لنفسه في السياسه والاقتصاد والاجتماع وسائر نواحي حياته .

ومن هنا فلا إله ولا ملائكة والأديان كلها باطلة ولا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جزاء .

هذا هو التصور الذي قدمته الفلسفة المادية وهو تصور يقوم على إنكار حقيقة الوجود والإنسان والكون على النحو الذي جاءت به الأديان وأرسل الله تعالى به أنبيائه وما يؤمن به أهل الإسلام وقد ورث الفكر الغربي هذا التصور من ميراث الفكر اليوناني القديم بعد أن وقع الخلاف بين العلماء والكنيسة عندما كشفت المقررات العلمية أن ما جاء في الكتب المقدسة ليس متفقاً مع مقررات العلم .

٢- إنكار وجود الروح - ولا تقتصر عناصر الفلسفة المادية على (لا وجود غير المادة والمادة لا تفنى) وإنما تنكر وجود الروح وإنكار ما وراء المادة جملة وإنكار أن في العالم عنصرين (هما المادة والروح) وقولهم إن الروح مادية وتعليل العقل مادياً .

ويرى الماديون أن العقل تطور بيولوجي أوجدته الضروريات وليس هو موهبة للإنسان تسلمها من عالم خارج عالم الأرض .

٣- كذلك يؤمن الماديون بسيطرة القوانين واضطرادها واستمرارها ويرى الماديون أن كل حدث في الكون فهو قابل للتفسير والتعليل حسب قوانين العلم وأن العالم (أي الكون) على اتساعه محكوم بقوانين منظمة جارية على طبيعة واحدة ، وأن لكل حدث سبب مادي ناتج عنه ، وهم بذلك ينكرون قدرة الله تبارك وتعالى في خرق القوانين .

٤- إنكار الغائية ، كما ينكرون أن الكون خلق لغاية مقصودة هي خير البشرية كما أن كل ما يقع في هذا الكون لا يقع بصوره عشوائية وإنما يجري وفق تلك الغاية فليس من حادث يحدث من دون غرض يخدمه سواء أكان غرضاً واضحاً أم خفياً وأن كل ما في عالم الإنسان أو الكون إنما يجري وفق تقدير مسبق من لدن حكيم خبير (والغائية تعني الحكمة التي إرتآها الخالق وأجرى حوادث الكون بمقتضاها فقد أوجد الكون لغاية وخلق الإنسان لغاية وركب هذه القوانين الدقيقة في طبيعة الأشياء لغاية وكل ما في حياتنا يجري لغاية لا يستطيع أن يتحرف عنها .

هذا مع تقدير مساحة الحرية الممنوحه للإنسان في سلوكه وفي تحديد مسئوليته عن أعماله .

أما الفلاسفة الماديون فينكرون الغائية ويرون أن الكون آلة كبيرة جاءت عن طريق المصادفة وستبقى دائمة العمل من دون هدف تسعى إليه ، والإسلام يقتضي الاعتقاد بوجود قوة خارج هذا الكون تدبره بقدرتها الفائقة وتحفظ مصير الكون والإنسان وتقدر لهما مصيرهما في هذه الحياة ، أما المادية والماديون فينكرون هذه القوة ويعتبرون الاعتقاد بها من رواسب العصر الخرافي في تاريخ البشرية .

٥- إنكار رسالة السماء : ولا تؤمن الفلسفة المادية بالدين المنزل ، وهي ترى أنه نظام من وضع البشر لأنها لا تؤمن بوجود الخالق ولا الملائكة ولا تؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة ، وترى الموت تغيراً يطرأ على المادى فيحولها من حالة إلى حالة أخرى ، وهناك من اعتقد بوجود مادي لله (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) ، وهو اعتقاد المجسمة الذين يعتقدون بجسم محسوس لله جل شأنه .

والمفهوم الإسلامي الصحيح في مواجهة هذه المفاهيم المغلوطة هو أن الله تبارك وتعالى قوة لا تدركها حواس البشر وإنما اهتدى إليها الناس بالعقل وبتصديق الأنبياء والمرسلين .

٦- الإيمان بالحتمية : وتؤمن الفلسفة المادية بالحتمية ، والحتمية هي القول بحدوث حادث من كل عمل أو فعل لأن المادية مبنية على علم الفيزياء (وهو العلم القائل بوجود سبب لكل حادثة) والمادية تعامل الإنسان والمادة الجامدة على حد سواء فتنتج عن تطبيقها قوانين الفيزياء في المجتمع أن آمنت بالحتمية ، وهي بهذا تنكر قدرة الله تبارك وتعالى غير المحدودة في إيقاف القوانين أوتغيير أفعالها .

ويعتقد الماديون أنه لا وجود لحياة الإنسان بعد الموت وينكرون الروح والخالق وكل ما يتشعب من العقيدة الدينية كالثواب والعقاب والوحي .

أما الإسلام فيقرر حرية الإرادة للإنسان بحيث يستطيع أن يختار وأن يفعل ما تمليه عليه إرادته الخاصة بحرية وقد حدد الفكر الإسلامي العلاقة والتفاعل بين ما قدره الله وما يختاره الإنسان على أساس أن ما هو مقدر سلفاً يتجلى في طبائع الأشياء (أي قوانين الطبيعة وفي الشرائع والمعاملات وقوانين التاريخ والمجتمع وفي فطرة الإنسان "الغرائز") ويتفاعل مع هذه العوامل وللإسلام إرادة صغرى داخل إرادة الله تبارك وتعالى الكبرى وهو مسئول في حدود إراداته وحريتها والمساحة التي يتحرك فيها أما ما يفهم من الفكر الغربي فهو استعباد للإنسان يتمثل في قوانين الطبيعة والتاريخ ولا يقره الإسلام .

وتلتقي الحتمية مع الجبرية في أن كلاهما ينفي إرادة الإنسان وقد اختلت الجبرية والقدرية فغالى هؤلاء في نسبة الفعل إلى الله تبارك وتعالى بينما غالى الجبريون في إثبات القدر وكلاهما يختلف مع مفهوم الإسلام الذي يعطي الإنسان إرادته الفردية ومسئوليته الأخلاقية في دائرة قدرته الخاصة .

٧- **طابع القسوة** : وقد قامت مفاهيم الفلسفة المادية على مضادة المسيحيه في الرحمة والسماحة فاستعلت فيها طابع القسوة وجفاف ينابيع السخاء البشري وقد استمدت ذلك من الفلسفة الهلينية التي كانت ترى قتل الضعيف وإزاحته لأن الدنيا للأقوياء فقط ومن هنا نشأت نظرية الاستعمار والتسلط على أساس أن الأقوياء هم الذي يستعمرون ويستغلون الضعفاء وكان " نيتشة " في مقدمة الدعاة إلى إبادة الضعفاء وقتل العجزة أو موتهم وقد استمدت هذه النظرية من فكرة البقاء للأصلح التي قال بها دارون .

وقد تبين من بعض الباحثين أن رأي دارون في تنازع البقاء والبقاء للأصلح خطأ وأن التعاون في الطبيعة أكبر أثراً من التنازع .

وقد امتد طابع القسوة وجفاف ينابيع السخاء البشري إلى السياسة فدعا إليه "ميكافيلي" وحدد موقف الحاكم وقسوته وظلمه لفرض سلطانه واستبقاء حكمه .

٨- طابع الإباحة : كما أخذت الفلسفة المادية مفاهيم الإباحة والكشف والجنس العاري وعبادة جمال الأجساد من الفلسفة اليونانية الوثنية واستغلت هذه المفاهيم من خلال نظرية فرويد وظهر عدد من الكتاب الذين يروجون للشذوذ والفساد والبغاء .

من أمثال " هافلوك أليس " و" أوسكار وايلد " وغيرهم ممن فتحوا باب الإباحة الجنسية على مصاريعها ورتب اليهود إذاعة فكر فرويد وماركس ونظرية التطور وحيوانية الإنسان ، وإنكار الضوابط الأخلاقية والدعوة النسبية بإنكار قيم الدين بهدف تدمير العالم وإسقاطه في بؤرة الفكر الإباحي وخلق تمرد الأبناء على الآباء والمرأة على الرجل والتجرد من القيم الأخلاقية والدينية .

٩- عجز المسيحية : ويرجع ذلك كله إلى عجز المسيحية في الغرب من تقديم النظام الاجتماعي القادر على بناء مجتمع سليم فقد انتقلت المسيحية المنزلة إلى الغرب فاختلطت بالأديان الوثنية وسيطرت عليها الفلسفة الهلينية وعلم الأصنام وارتضت العبودية الرومانية للإنسان وقبلت الدفاع عن الرق والاسترقاق وغلبت على أوروبا نظرية (الرهبانية) فضلاً عن تناقض الكتب المقدسة في مصادرها وتواريخها مما كشفت عنه الأبحاث العلمية الحديثة عن خطأ تقديرات في حساب الزمن والكون وخلق الإنسان فضلاً عن الخلاف والتناقض بين العهدين القديم والجديد .

ولم تتمكن أوروبا من النهوض إلا بعد أن تحررت تماماً من قيود تعاليم المسيحية الصارمة والإنفصال عن الدين .

وكان أول انفصام بين أوروبا والمسيحية قائم على الفصل بين الأخلاق والدين ، وقامت القيم على المحسوسات والرغبات الكامنة وأنكرت الدين والغيب .

وكان أخطر ما تطورت إليه الأمور استعلاء دعوة الممارسة الحرة التي لا تخضع لمبدأ أو قانون بل تصدر عن الإرادة الشخصية مجردة ، من خلال نيتشه في دعوته إلى القوة والسيطرة والوجودية العدمية على لسان سارتر وقالوا أن تعارض الممارسات الشخصية لا يؤذيها ولا يقلل من قيمتها وأن أدى إلى المجابهة والتعدي على الغير وإلى تمادي النفس في استهوائها لنفسها وهبوطها إلى العدم ، وهكذا تدهورت الأخلاق في الغرب تدهوراً خطيراً منذ أن عمت النظرية وتبناها العالم وغير العالم وأخذ الفرد يؤمن أن كل ما يرغبه مبرر وبما أن رغبتي المال والجنس هي أقوى الرغبات الإنسانية فقد انحدرت الحياة في الغرب إلى المستوى الذي نشهده اليوم والذي أثر في نظرية التربية ووجدت العصبية القومية حجتها لتبرير استكبارها على شعوب الدنيا واستعمارها للضعيف منها .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت فكرة أن كل ما وراء قوى الطبيعة خرافة وأسطورة ، ولابد من التخلص من كل عنصر ماورائي مطلق ، إذ يكمن الشر الاستبداد في الماورائية والأخلاق بالذات .

وقدمت العلوم الإسلامية لعلماء الغرب حقائق كشفت عن قصور وتناقض الكتاب المقدس وأهمها دوران الأرض ورفض آباء الكنيسة مناقشة مفاهيم الكنيسة عن الكون المأخوذة من نظريات بطليموس والتي حطمها العلم الحديث ومن جملة ما رفض آباء الكنيسة مناقشته :

(مركزية الأرض - مركزية الشمس - دوران الأرض والكواكب حول الشمس لا العكس) وقد أبطل العلم نظرة رجال الدين إلى أجرام السماء من أنها كائنات حية وقيل أنها موطن الملائكة وقيل أن النجوم كائنات روحية وأن السماء قبة صلبة تحيط بالأرض والأجسام السماوية مصابيح معلقة في السماء .... إلخ) .

رابعاً: كيف كشف الإسلام الحقائق ونقض زيف الفكر الغربي ؟

واجه الإسلام هذا الإعصار المسموم الخطير الذي اجتاح الفكر الإسلامي منذ أكثر من قرنين من الزمان حينما بدأت خطا الاستشراق الغربي في الغزوة الجديدة التي حملت لواء إخضاع المسلمين ، فقد جاءت في مرحلة ضعف شديد فاستطاع النفوذ الأجنبي تثبت دعائم وترجمة كتب وإقامة أعلام ورفع أسماء .

ولكن الإسلام بالرغم من ضعف القائمين عليه وضعف مقدراتهم ، فقد استطاعوا أن يصمدوا للمعركة تماماً وأن يكشفوا عن جوهر الإسلام وحقيقته وفي نفس الوقت أن يردوا هذا الركام الأسود المعلم .

وكان أعظم ما قدم الإسلام مجدداً منهج المعرفة الإسلامي في مواجهة نظرية المعرفة الغربية .

وهي نظرية التكامل الجامع بين القيم الروحية والمادية فالإنسان جسم وروح وعقل وقلب ونظرية المعرفة جامعة بين العلم والدين ، وقد أثبت الإسلام صلاحية الإسلام لكل العصور والمجتمعات لأنه يقوم على تكامل المعرفة بالعقل والقلب ، والغيب والشهادة ، فقد دعا الإسلام إلى البرهان والدليل ونهى عن تحكيم الهوى والعصبية في البحث عن الحقيقة ، وأعطى العقل الإنساني مهمته وحدوده وقدرته وجعله خاضعاً للوحي .

ودعا الإسلام إلى عدم الانخداع بالأوهام وسؤال أهل الذكر وعدم القول بغير دليل ونها عن التقليد .

وأمر بعدم كتمان العلم ودعا إلى إذاعته وبثه في الناس وأطلق حرية البحث وجعل السلطان للحجة والبرهان ودعا إلى التحرر من التبعية والتقليد .

وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وفرض على الأمة أن ترتب أقواماً لتعليم الناس وحث على العناية بتنمية العقل الإنساني .

وفضل العلم على العبادة ، وجعل العلم هو كل العلم (علم الدنيا وعلم الدين) وأعلن أنه لا تعارض بين أن يكون الإنسان حر الفكر وأن يكون متديناً .

والعلم في الإسلام يزكو بالإنفاق وقد أخذ الميثاق على من يعلم أن يبين ما يعلم للناس وحث على الاجتهاد وقرر أن للمخطىء أجران إذا اصاب وأجر إذا أخطأ ودعا إلى عدم الانخداع بالأوهام وقبول الظن ودعا إلى استعمال العقل وسؤال أهل الذكر .

والإسلام هو الذي دفع المسلمين إلى الخروج من دائرة المنهج اليوناني القياسي وهو الذي هداهم إلى إنشاء المنهج التجريبي بالنظر إلى الكون والتأمل في الكائنات ومعرفة أسرار الوجود .

٢- وهكذا يقوم منهج المعرفة في الإسلام على اختلاف واسع وعميق مع نظرية المعرفة الغربية التي تقوم على أن الإنسان مفطور على معرفة الكون والحياة من ذات نفسه دون أية مساعدة خارجية (وقد تقبل هذه النظرية المشآون المسلمون وفي مقدمتهم ابن سينا وجاء ابن طفيل فحاول أن يثبت ذلك في قصة حي بن يقظان الذي استطاع أن يصل بالملاحظة والتفكير إلى أن يدرك بنفسه أرفع حقائق الطبيعة وماوراء الطبيعة) وهذه النظرية لا يقبلها الإسلام .

وقرر الإسلام أن الإنسان غير مؤهل لتحصيل المعرفة على النحو الذي يعتقده هؤلاء الفلاسفة ولكن عن طريق مصدر أعلى هو الوحي .

فالعقل البشري هو أداة الإدراك الوحيدة في الإنسان وأن الحواس وسائله إلى المعرفة وأن العقل البشري يفقد من قدرته على إدراك الحقيقة وتحصيل العلم اليقيني بقدر ما يرتكب من المعاصي والآثام (والسرف والترف من أشد المعاصي تدميراً لقدرة العقل على تحصيل العلم اليقيني) .

والمسلمون يؤمنون بأن الله تبارك وتعالى خلق الكائنات لتعرفه وتسبح بحمده والغاية التي اختارها الله تبارك وتعالى هي عمارة الأرض بعد معرفته جل شأنه والإذعان له .

ومعرفة عالم الغيب والإيمان به ، ومعرفة عالم الشهادة بمعرفة فطرة النفس البشرية وقدراتها ومعرفة الأرض وطبيعتها ووسائل استعمارها .

ومصدر المعرفة هو العلم الإلهي فقد بعث الله تبارك وتعالى الرسل بالمعارف التي تثري حياة الإنسان وترده عن المفاسد والمهالك .

ولا ريب أن هذا المفهوم الأصيل للمعرفة قد زيف مفهوم الفلسفة الإغريقية وقدم المنهج التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية والذي انتقل بعد ذلك إلى أوروبا ، حتى اعترف بيكون بأن المعرفة هي التي قدمها العرب لعلومهم فكان المنهج التجريبي هو مصدر الحضارة الغربية وإقامة المنهج العلمي .

ومن حقائق منهج المعرفة الإسلامي أن دورة الحضارة تخضع لسنة من سنن الله تبارك وتعالى العاملة في ملكه ومن ثم فلا توجد قوه على ظهر الأرض تستطيع منعها حين تبدأ حركة الدورة التالية ، ودور الغرب يتمثل في الإضافة ، أما الأساس فقد وضعه الإسلام وهو إيمان بمفهوم التوحيد الخالص (لرد الأمور إلى مصدرها) وأخلاقية العلم والحياة .

٣- ومن خلال عدد من الدراسات الحديثة نرى كيف انهدمت الاسس النظرية التي كانت تدعي أن الدين والشريعة لا يصلحان لكل الأزمة وكان القرآن الكريم قد أشار إلى أمرين هامين :

الأول : يجب على الإنسان أن يؤمن بالغيب وبالحقائق التي قدمها منهج الغيب وأنه لن يتمكن من معرفة الحقيقة لو أصر على الرؤية المباشرة **﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾** .

الثاني : يجب أن يعترف الإنسان بأنه لا يستطيع أن يكتشف قانون الحياة بنفسه فمثل هذه المحاولة ستكون مخالفة للواقع **﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾** .

وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الأسلوب العلمي الوحيد للإنسان هو الذي أشار إليه القرآن الكريم ولا أسلوب آخر سواه من الناحية العلمية .

وقد ادعى الغرب أنه قادر على المشاهدة المباشرة لكل الأشياء الموجودة وزعم أن الأشياء التي لا ترى غير موجودة (لا وجود للأشياء التي لا تخضع للمشاهدة) .

وقد استطاعت الأجهزة رؤية الأجرام ولكنها عجزت عن رؤية الحقائق التي قدمها الدين الحق ، وقد قضى على هذا المنهج الفكري بعد أن ظهرت حقائق تبطل النظريات القديمة .

وفشل التفسير القائل بأن الضوء يتكون من جسيمات وتأكد أن هناك حقائق كونية لا يمكن تفسيرها بالمصطلحات المعروفة ، منها تحطيم الذره فقد أثبت أن الأفكار العلمية التي كانت رائجة من قبل من النظريات البدائية وأصبح ثابتاً أن الأشياء التي لم نتمكن من مشاهدتها أكثر كثيراً من الأشياء التي شاهدناها حتى الآن .

ونظرية الثقب الأسود تؤكد أننا لا نشاهد من الأجسام الكثيفة ما عدا ٣٪ أما الأجزاء ٩٧٪ الباقية فلن نستطيع مشاهدتها أبداً .

قال إنشتين : قد تعطلت دائرة التجربة في المعامل على الحقائق الكونية الأبدية واتسعت دائرة التأمل وبهذا اعترف العلم الحديث أنه لابد من الإيمان : أي الإيمان بحقائق الكون بمشاهدة ظواهرة .

إن التغيير الذي طرأ على (نظرية المعرفة) ليس بتغيير عادي بل إن هذا التغيير قد فتح باب الحق الذي ظل معلقاً طيلة المائتي سنة الماضية ، إن الكون الذي اكتشفه العلم كان كوناً ذا معنى مدهش : قال نيوتن إن الآلهة تعمل خلف النظام الكوني ولا تفسير لمجموعة حقائق الكون من حركة وحياة وجمال وعظمة وحكمةوخواص عجيبة إلا بالاعتراف بأنها من إبداع الله الحي القادر .

وبعد اعتماد الاستنباط كأسلوب صحيح للاستدلال أصبح العلم الحديث كله علم كلام للقرآن الكريم فاكتشافات العلم الحديث تثبت علمياً العقائد القرآنية .

إن التحدي الذي يواجه الإسلام اليوم هو في مواجهة الإلحاد وهو يشبه التحدي الذي واجهه عند بدء الرسالة في مواجهة الشرك الذي كان يحظى بقبول الرأي العام في ذلك العصر ثم جاء الإسلام ليظهره على الدين كله فغير مجرى التاريخ .

يقول أرنولد تونيبي : إن العقبة الكبرى في سبيل تسخير طاقات الطبيعة كانت عقيدة الشرك الذي ساد العقل البشري لزمن طويل والذي حول طاقات البشر إلى آلهة ، كان المشركون يقدسون ويعبدون هذه الطاقات بدلاً من تسخيرها ، إن طاقات الطبيعة كانت موجودة دائماً على سطح الأرض ولكن لم يمكن تسخيرها إلا في الفترة الأخيرة .

وعقيدة التوحيد هي التي جعلت الإنسان ينظر إلى هذه الطاقات بأنها مخلوقات مثله ومن ثم بدأ يفكر في تسخيرها .

ولقد واجه الإسلام الشرك في العصر القديم .

ويواجه الإسلام اليوم الإلحاد في العصر الحديث .

لقد ثبت نهائياً أن الإنسان لا يستطيع اكتشاف قوانين حياته بنفسه ، كما اتضح الآن أن الوسائل المتاحة للإنسان لا تعطينا إلا تفاصيل جزئية عن الحقائق ، والجانب الأهم في هذا هو أن الأشياء التي نجهلها هي أكبر بكثير من التي نطلع عليها .

وقد ثبت أن للإنسان علاقة بالكون كله ، ولذلك لابد من معرفة الكون كله لمعرفة الإنسان .

ولقد أخفقت كل الفلسفات في اكتشاف (قانون الفطرة) إن قانون الحياة البشرية أيضاً أبدي مثل قوانين الطبيعة والأحياء ولكن المكان المقرر لمعرفة هذا القانون هو الوحي الإلهي وليس العلوم الإنسانية التي عرفنا عنها أنها لا تعطينا سوى معلومات جزئية من الحقائق .

ومن هنا تبين أن أكبر خلاف وأعمق خلاف بيننا وبين الفكر الغربي هـو التكـامل بـين الروح والمادة في الإسلام والتجزئه والوقوف عند المحسوس في الفكر الغربي .

وتتكشف الآن الحقائق يوماً بعد يوم من أن الإنســان جسـم وروح وعقـل وقلـب وأن وراء هذا الكون الظاهر عالماً غيبياً وصانعاً قديـراً ولـن يسـتقيم أمـر هـذه البشـرية إلا إذا عادت إلى خالقها .

ويقدر الإســــلام التقدم العلمي ويحث عليـه ويعتـبره عبـادة ولكنـه يديـره علـى نحـو مختلف عن النحو الذي يمضي عليه الغرب وتقوم الطبيعة الإسلامية على قاعدة (التوازن – التكامل) .

وبالرغم من أن كثـيراً مـن فلاسـفة الغـرب أشـاروا إلى ضـرورة تكـامل المحسوسـات والروحيات فإن علماء الفلسفة المادية يحاولون محاولة مستميتة وخاطئة وفاشلة تحت اسـم الإنسـانيات لـرد الأزمـات والمشـكلات والأدوار جميعـاً إلى الأسـباب الماديـة والعوامـل الاقتصادية والمؤثـرات البيئيـة وحدهـا ناسـين أو متجـاهلين العوامـل الحقيقيـة والأسـباب الأصيلة.

وخطأ بعض المثقفين المسلمين اليوم هو في الاندفاع وراء هذا المنهـج المـادي منخدعـين بالحسابات الرياضية والجداول الإحصائية ظناً منهم أن المنهج العلمي قاصر علـى الجـانب المادي وحده مهملـين أثـر النفـوس وتهذيبهـا والقلـوب وتطهيرهـا وكبحهـا عـن جمـاح الشهوات .

٤– قضية العقل : ولقد كانت قضية العقل هي كبرى قضايا منهج المعرفـة الإسـلامي ولا شك أن إعلاء الفكـر الغربـي للعقـل ووصفـه بالقداسـه ، وإعطائـه الفرصـة الكاملـة للحكم على الأشياء هو أمر لا يقره الإسلام الذي يعطي للعقل مكانه الحقيقي ومسـئوليته الاساسية في أنه مناط المسئولية الفردية ولكن على أساس أن يتحرك العقل في إطار الوحي الإلهي المنزل ، لا أن ينفرد بنفسه فالعقل مصباح نوره الوحي ، والعقل لم يمنـع الإنسـان

من الخطيئة وليس بعاصم من الانحراف ولابد له من رسالة وحي ولما عجز العقل عن العصمة أرسل الله تبارك وتعالى الرسل لمساعدة العقل البشري في حراسة الإنسان عن الخطأ والانحراف .

ويقرر الدكتور حسن الشرقاوي أن العقل الإنساني الذي كان محدوداً بما يستمده بواسطة المدركات من خبرات ومعلومات إلا أنه عاجز عن البداية والنهاية عن معرفة كنة الأشياء أو حقائق الواقع أو الماهيات ومن ثم فإنه لا يستطيع مثلاً أن يشرع للإنسان مبدأ جديداً أو قانوناً مستحدثاً ما أتى الله تبارك به من سلطان فإن فعل فإنما يجانبه الصواب ويقع في الضلال .

ومن هنا فإن كلمة (حرية العقل) إن تركت بغير حكم الله فإنها تحمل في ظاهرها معنى الرحمة وفي باطنها كل العذاب ﴿ **يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه** ﴾ فحرية العقل إنما تكمن على الحقيقة في العبودية لله تبارك وتعالى وذلك بالعلم والعمل والأخلاق له جميعاً .

والعقل الحر يجب أن يلتزم بأمر الله ولا يتبع الهوى وهو ليس حراً في تغيير المبادىء العليا والقيم الكبرى التي اصطلح الناس عليها فإذا فعل فهو جانح عن الحق متبع للهوى ظالم لنفسه مسرف في أمره .

وللعقل في النظرة الإسلامية حدوداً يجب عليه ألا يتعداها فإن فعل كان ظالماً لنفسه واستحق أن يصبح من الجاهلين ، إن من مجانية الصواب القول بأن العقل الإنساني حر في تغيير المبادىء التي اصطلح عليها أمر الجماعة والمفاهيم والقيم التي تعبر عن ضمير الأمة وثقافتها وطموحاتها .

فليس العقل الإنساني بقادر أن يصطلح قيماً كبرى ومبادىء عليا بديلة كما تستكشف الأدوات المستحدثة وهناك فرق بين استبدال الملابس والأدوات وبين استبدال المبادىء ، فالعقل الإنساني ليس حراً في أن يغير مبادئه كما يغير ملابسه ولا يمكن أن يقال إن القيم

الكبرى العليا مثل المساواة والإيثار والإخاء والأخلاق والصدق والتواضع هي مبادىء بالية يمكن تغييرها حتى يتسنى للعقل أن يكون حراً كما أنه لا يمكن لعاقل أن يزعم لنفسه القدرة على تغيير المبادىء العليا بدعوى أن الظروف الاجتماعية قد تغيرت الآن وأن البيئة المحلية أو الإقليمية قد أخذت طابعاً جديداً يستحيل معه تطبيق هذه القيم أو المبادىء التي أصبحت في تصوره بالية .

إن انطلاق العقل في حرية ذاتية دون أن يضع أحكامه في ميزان الشريعة عبث وانحراف عن رسالة الإنسان في هذه الحياة ، فالعقل الإنساني موهبة فريدة من نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان وعليه أن يستخدمه في مجاله وحدوده دون أن يتعدى ذلك .

٥- **مفاهيم زائفة** : إن كتب الفلسفة المقررة على مدارسنا وجامعاتنا تحاول أن تفرض المفهوم الغربي للحياة والعقيدة على نحو يختلف تماماً مع مفهومنا الإسلامي ، فضلاً عن أنه ينقل إلينا مصطلحات أوروبا العلمية التي تمس الإسلام في صميمه وتعصف بإيمان الشباب المسلم ومن أخطر هذه المقررات نظرية (الاتجاهات الثلاثة) : التي تقول إن الفكر الإنساني ينحصر في اتجاهات ثلاث هي : (التفكير العلمي) و (التفكير الفلسفي) و (التفكير الديني) ، وترى هذه النظرية أن التفكير الديني هو الخاضع للأهواء والميول وهذا يرمي إلى زعزعة الحقائق الدينية .

ومن شأن هذا التصور أن يودي إلى أن يعتقد الشباب المسلم أن التفكير الديني مبني على الخرافة ، فلا يرد الأسباب إلى مسبباتها ، ولا يتقيد بمنطق النظر والاستدلال .

والواقع أن هذه النظرية وضعت في الغرب في مواجهة تعنت الكنيسة وتعصب تعاليم البابوية ، وإنها لا تصلح للتطبيق في جو الإسلام ومفاهيمه ، ذلك أن الإسلام كان ولا يزال منذ نزوله : دين البرهان والدليل والنظر الصائب والتجربة ، ولذلك فإن هذه

النظرية حين تعرض يجب أن ترد إلى أصلها وهو أفق الفكر الغربي المادي في صراعه مع الفكر اللاهوتي .

كذلك فإن وصف (الفكر الديني) في النظرية الغربية بأنه مفاهيم العصور البدائية بمعتقداتها من سحر وخرافات وأساطير ليس صحيحاً ، ذلك لأن الفكر الديني في الحقيقة هو ثمرة دعوات الأنبياء والرسل ، أما هذا الفكر الوثني فهو فكر الخارجين على النبوات والداعين إلى فكر طفولة البشرية التي جاءت الأديان للقضاء عليه وكشف زيفه .

ونحن المسلمون نؤمن بأن البشرية بدأت موحدة ورافقت مسيرتها رسالات الأنبياء جيلاً بعد جيل ، ولذلك فإن هذا الحصاد المسموم من الفكر البشري لم يقبله الدين بل حمل عليه وكشف زيفه ، وقد أخرج (الدين الحق المنزل) : الناس جيلاً بعد جيل من الظلمات إلى النور ، سواء فيما يتعلق بعبادة الأصنام أو بتأليه البشر أو بالخرافات التي دعت إلى إقامة مهرجانات الخمر والفسوق من أجل باخوس وغيره .

ومفهومنا الإسلامي في مرافقة النبوة بدعوة الحق للبشرية منذ أول أمرها يجعلنا نكذب دعوى الفكر الغربي من أن هناك عصر أسطوري خرافي يشمل حقبة محددة ، سبقت الأديان الثلاثة ودعوى البعض من أن التوحيد بدأ باليهودية أيضاً قول مضلل غير صحيح.

ولكن ما نؤمن به أن البشرية كانت بعد عصر النبوات ترتد إلى الوثنية وتعود إلى تجميع الأساطير والخرافات حتى يأتي رسول جديد من عند الله تبارك وتعالى يجدد دعوة التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد وقد استمر هذا حتى أصبحت البشرية مؤهلة للرسالة العالمية الخاتمة في رسالة الإسلام .

أما الفلسفات فقد كانت ذريعة بعض العقول على تصور الجوانب الغيبية والخفية ومحاولة وضع تصور لها ، وقد جاء الإسلام بمنهج كامل للميتافيزيقا بحيث حرر المسلم تماماً من الخضوع لهذه المفاهيم ولكن الغربيين في خصومتهم وجهادهم وحربهم للكنيسة والمسيحية عمدوا إلى وضع هذا التصور ولم يقفوا عنده بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فدعو

إلى دين البشرية (الهومنيزم) وحملوا لواء الدعوة إلى وحدة الأديـان مـن خـلال البهائيـة والقاديانية من منطلق الفكر الماسوني وهم في كـل محـاولاتهم للتصـورات الفلسـفية هـذه والنظريات التي طرحوها سواء منهم الغربيون أم الماركسيون لم يكونوا على إلمام صحيـح وعلم كبير بالإسلام ولو عرفوه لوفروا على أنفسهم كثيراً مما أجهدوا أنفسهم في تصـوره ، ولو كانوا صادقين في فهـم الإسـلام لما وصفـوه بـاطلاً بأنـه مـأخوذ عـن اليهوديـة أو المسيحية ، أو أنه يصلح لتطبيق النظريات التي وضعوها للمسـيحية الغربيـة علـى الإسـلام فقد كانت هناك فوارق عميقة بين مفهوم اللاهوت في الغـرب ومفهـوم الإسـلام الجـامع بين الدين والاجتماع ، بين علاقتين : مع الله تبارك وتعالى والعلاقة مع النـاس ولوجـدوا أن الإسلام قد وضع منذ أربعة عشر قرناً الحـل الأوفـى لكـل القضايـا سـواء التـي تتعلـق بالميتافيزيقا أو بالمجتمعات والحضارات ولو أخلصوا النية لوجدوا فيها خـيراً ممـا يحـاولون رسمه من فكر بشري لا يستطيع أن يواجه متغيرات المجتمعات والبيئات والعصور .





الفصل الثالث

العلوم الاجتماعية والإنسانية



يختلف مفهوم العلوم الاجتماعية الإنسانية بين الإسلام والفكر الغربي من عدة نواحي:

الأول : من ناحية النظرة إلى الإنسان :

فالإنسان في مفهوم الإسـلام مكـون مـن " قبضـة الطـين ونفحـة الـروح " فـلا يصلـح لدراسته وفهمه إلا منهج جامع متكامل بين الروح والمادة ، أما في الغرب فإن النظـرة إلى الإنسان نظرة مادية خالصة تجرده مـن المسئولية الفرديـة وتجعـل المسئولية هـي مسئولية المجتمع وتجرده من الالتزام الأخلاقي فهي تقوم على (نسـبية) الأخـلاق وتنكـر البعـث والجزاء .

الثاني : من ناحية النظرة إلى خالق الكون :

فالإنسان في مفهوم الإسلام مستخلف في الأرض لإقامة منهج الله تبارك وتعـالى وهـو يفهم علاقته بربه تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً متقبلاً لكل أمر مؤمن بكل كتاب أنزل وكل رسول أرسل كما يؤمن بالغيب والنبوة والملائكة .

الثالث : من ناحية النظرة إلى الأخلاق والمسئولية الفردية :

يقر الإنسان المسلم بأنه ملتزم التزاماً أخلاقياً ومسئول مسئولية فردية مباشـرة عـن كـل عمله ، ويقر بالجزاء الأخروي والبعث والجزاء .

ونحن في هذاالموقف نختلف عن المسيحية الغربية لأنها انفصلت عـن اليهوديـة فلـم تكـن لهـا شـريعة خاصـة ، ومـن ثـم عجـزت عـن أن يكـون لهـا منهـج حيـاة فتخطفتهـا الأيديولوجيات الرأسمالية والماركسية .

أما نحن المسلمون فلنا منهاج احتماعي كامل طبقه المسلمون الف عام من حدود الصين إلى نهر اللوار فأسعد البشرية وقدم لها عناصر الأمن والأمان .

ومن هنا فقد اختلفت مفاهيمنا كمسلمين عن مفاهيم الغرب في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بما يتواءم مع المنهج الأصيل للأمة .

وقد قامت العلوم الاجتماعية كلها في الغرب على أساس المادة ، فعلم النفس مادي خالص لا يضع في حسابه العواطف والوجدان ، والعلوم الاجتماعية لا تقدر تميز الإنسان عن المادة فهي تحاول أن تطبق القوانين المجردة .

وقد انقسمت مدارس العلوم الاجتماعية في الغرب إلى فئتين :

١- فئة اعتنقت الماركسية ومنهاجها الاشتراكي

٢- وفئة اعتنقت الليبرالية ، والاقتصاد الحر .

وكلاهما ينطلق من النظرة الغربية للمادة وقوانينها الذاتية البحثية التي تحكم الكون وتنظمه تلقائياً دون وجود منظم لها وهو مفهوم لا يقره الإسلام الذي تقوم المفاهيم فيه على أساس وجود الخالق المبدع ، خالق القوانين الكونية وحيث يقع الارتباط العميق بين الواقع الروحي وبين السعي إلى اكتشاف الوسائط المادية ويقرر الإسلم تأكيد ارتباط العلم بالخالق ﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذ استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ " سورة الزخرف " .

فنحن نرفض وجهة العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية التي تقوم على أساس القوانين الرياضية الصارمة والتي ترفض قدرة الله تبارك وتعالى في طلاقة التصرف فهو صانع النواميس والقادر على إيقافها واختراقها .

ومن هنا يتأكد خطأ إخضاع العلوم الاجتماعية والإنسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلوم المادية ، ومن هنا فإن العلوم الاجتماعية الغربية تعد ناقصة ومن هنا فنحن لا نقبلها كمسلمين ويتطلب الأمر إعادة النظر فيها .

ونحن نأخذ من الغرب العلوم التجريبية ولكن بشروطنا ولا نأخذ العلوم الإنسانية لاختلاف وجهات النظر .

أولاً : معارضتها الواضح الصريح مع مفهوم التوحيد الخالص والوحي والنبوة والإيمان بالغيب والبعث والجزاء .

ثانياً : مضادتها للفطرة لأنها تنظر إلى الإنسان بالخطأ من حيث هو حيوان والقول بأنه مادة وخاضع للشهوات .

ولقد علت صيحات كثيرة في الغرب اليوم تدعو إلى إعادة النظر في فلسفة العلوم الإنسانية عموماً بعدما برهنت على فشلها بل إفلاسها لأنها قامت منذ انطلاقها على أساس واهية وأضافت الإنسان إلى ميدان الاختبار لجوهره وحقيقته وأنها ماضية في طريق مسدود مما جعلها عاجزة عن تشكيل صورة واضحة متكاملة للإنسان والعمل على إصلاحه وتوجيه طاقاته .

فعلينا العمل على بيان درجة انحراف مفاهيم العلوم الإنسانية الحديثة عن الغاية الحقيقية للإنسان ومعنى وجوده على الأرض وبيان مدى بعد هذه النتائج عن روح الإسلام ونظرته الكلية إلى الكون والحياة والإنسان : هذه النظرة القائمة على وحدة العلوم والمعارف والتي أسست حضارة متكاملة راقية دون أن تصاب بهذه الازدواجيه الغربية (الفصل بين علوم الشرع وعلوم الطبيعة) .

إن كثيراً مما يسمى حقائق موضوعية في مجال العلوم الإنسانية ليس أكثر من وجهات نظر خاصة أملتها أيديولوجيات الهيمنة وعقدة التفوق وإن استطاعت أن تعرض نفسها باسم البحث العلمي المنزه والفكر الإنساني الحر .

وقد جاء هذا نتيجة لغرور الغرب ، فقد اطمئن على النتائج الباهرة التي حققها العلم في مجال الطبيعة مما شجعه على خوض ميدان أكثر إثارة ألا وهو الإنسان نفسه غير أنه لم يستطع أن يقدم في هذا المجال سوى وجهات نظر مهزوزة سميت نظريات في مجالات حساسة كالتاريخ والاجتماع والاقتصاد وغيرها ما تزال تؤثر بقوة في مسار البحث العلمي ، لقد فصل الفكر الغربي بين العلوم والقيم الجوهرية تحت اسم مبدأ الواقعية فأدى ذلك إلى التدهور الأخلاقي الحتمي للمجتمع فهناك الفصل بين القيم ، والفصل بين النظرية والتطبيق ، والفصل بين العلوم والأخلاق والفصل بين العلم وبين الالتزام الفردي (نظرية الجماعية) .

وكل هذا يختلف مع أبسط مقررات مفاهيم الإسلام ومن هنا لابد من إضفاء الصفة الإسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد أو بالجماعة وبالإنسان أو الطبيعة ، بالدين أو العلم ، فكلها يجب أن تعيد تنظيم نفسهاتحت لواء مبدأ التوحيد الخالص (الله الخالق مسبب الأسباب وهدف وغاية كل شيء في الوجود) وأن توجه المعرفة للإلتزام بأمره والألتزام بالنمط الإلهي الذي أوحى به حتى تجلب للبشر الأمن والسلامة .

واليوم تبدو أكثر من أي وقت مضى حاجة المجتمع الإسلامي إلى صياغة التصور الموحد الذي يعيد إلى الشباب المسلم هويته الأصلية ولا يفصله في الوقت نفسه عن العصر الذي نعيش بين معطياته .

وحينئذ تسقط النظرية العلمانية التي لا نستطيع إنكار أن لها في العالم الإسلامي على امتداده الغلبة المؤقته في نظم التعليم والتربية والمعرفة والثقافة .

وتأصيل المعرفة لا يعني تمكين (اللغة العربية) من استيعاب العلوم والمعارف فحسب بل يعني تأصيل الأسلمة حتى تشمل العقول والمناهج كما تسقط رايات التبعية وتنهي عبادة التعذيب وتقيم إعداد المسلم الواعي لدوره وحضارته وتاريخه .

ويعني التـأصيل (أي العـودة إلى الأصالـة) الوصـول إلى مفهـوم مسـتمد مـن مصـادر الإسلام الأصيلة وفهم سلف الأمة الصالح وذلك بعد فشل كل التجارب التي عانت منها الأمة وإخفاق تلك الحلول الخاطئة .

ويتطلب هـذا توضيـح القيـم الإسـلامية الأساسـية (الربانيـة – اسـتخلاف الإنسـان – التكامل – التوازن) .

فالرؤية الإسلامية ذات طبيعة جامعة شاملة ، ولم يعد أمـر الجمـع بـين المعـاصرة وبـين الارتباط بالجذور من الأمور المعقده فقـد نجحـت دول كثيرة في حـل هـذه المعادلـة بـأن وضعوا الصيغة الملائمة للمحافظة على الشخصية الذاتية وحمايتهـا مـن الذوبـان ، حـدث هذا في اليابان والصين والاتحاد السوفيتي ، فقـد نجـح اليابـان في التفـوق علـى الغـرب في المجالات الحيوية والتكنولوجية فقد أدرك هؤلاء أن الحضارة ليست امتـلاك الآلات وإنما امتلاك الإنسان لشخصية ذاتية فاعلة مع المحافظة على الوجـود الحـي للشـخصية القوميـة وتخليصها من الشوائب .

وقد حسمت قضية ترجمة علوم الطب والعلوم التجريبية في بـلاد كثـيرة فاليابـان تمتلـك تكنولوجيا خاصة بها حتـى أصبحـت المنافسـة الأولى للصناعـة الشـرقية والغربيـة علـى السواء ، فأسلمة المعرفة هي الحل الحضاري لأزمة المسـلمين الكبرى في العصـر الحديـث وهي أزمة اختراق العقـل المسـلم والتصـور الإسـلامي وتحريفهمـا واللغـة مدخـل حيـوي لامتلاك العلوم ، ويعني التأصيل (الأسلمة) حتى تشمل كل المناهج بحيث تنتهي عمليـة التغريب وتسقط التبعية .

ولا ريب أن الذاتية الإسلامية تحول بين اجتماع الإسلام مع الماركسية في إهاب واحـد كما يطمح البعض (إسلام ماركسـي) كمـا لا يمكـن أن يجتمـع الإسـلام مـع العلمانيـة الليبرالية في نمـط واحـد ولا أن تجتمـع الديمقراطيـة الغربيـة مـع الإسـلام ولا القوميـة مـع الإسلام فالإسلام هو السيد .



ويرى الدكتور أبو بكر أحمد باقادر إننا في حاجة إلى نظريات اجتماعية تنبع أسسها من قيمنا وديننا وتقاليدنا الإسلامية فالإسلام يجمع بين القول والعمل والنية .

والحاجة ملحة لأن يكون لدى دارسي العلوم الاجتماعية خلفية إسلامية ممتازة تساعدهم على القيام بأبحاثهم الاجتماعية وتأصيل مدرسة اجتماعية مستقلة فعلى الباحث الاجتماعي أن يكون مسلماً بالتصور الإسلامي : والعلم بالعقيدة وبالمفاهيم الإسلامية لله (تبارك وتعالى) وللوجود والكون والإنسان والمجتمع ، وببعض المهارات الأساسية في علوم اللغة وأصول الفقه ومصطلح الحديث واللغة بحيث يتسنى له إمكانية القدرة على استنباط النماذج المعيارية إننا لن نرفض التراث العالمي جملة ولكننا أيضاً لن نقبله جملة أيضاً وإنما سوف نتفاعل معه كأصحاب موقف نظري على أساس من معايير أو مقاييس تساعدنا على أن نقوم وننقد ونتوغل ونختار من هذا التراث الذي يمثل التراث الإنساني .

والباحث المسلم ينبغي أن لا يكون محصوراً بين الماركسية والليبرالية فالإسلام في نظرته الشاملة لجميع الجوانب الفردية والجماعية يشكل نسقاً فكرياً يمكن أن نعتبره منهجاً ربانياً جامعاً فوق كل الإيديولوجيات .



ويحدد أحد الباحثين قواعد أسلمة العلوم الاجتماعية :

أولاً : ضرورة إعادة تحديد مفهوم العلمية والتفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

ثانياً : ضرورة اعتبار الوحي ضمن المصادر المعرفية لعلم الاجتماع .

وبذلك يمكن تجاوز السلبيات التي وقعت فيها النظريات الاجتماعية التي اعتمدت على أفكار بشرية محضة في دراسة قضايا يتجاوز قدرات العقل البشري نفسه مما أوقعها في كثير من التناقضات .

وما يمكن أن يوفره الوحي في مجال المعرفة الاجتماعية :

١- أهمية الوحي في توثيق المصادر لمعرفة علم الاجتماع .

٢- أهمية الوحي في تصحيح أخطاء ميتافيزيقا علم الاجتماع .

٣- أهمية الوحي في صياغة القوانين الاجتماعية .

ثالثاً : ضرورة التزام المذهبية الإسلامية القائمة على التوحيد : هذا الضابط الذي يشكل الأساس الاعتقادي والإطار النظري الذي يحدد ويوجه البحث الاجتماعي ، وهو يقابل الإطار النظري والأيديولوجي والعقيدي لكل من النظريتين الاجتماعيتين السائدتين : الرأسمالية والماركسية .

- إبراز عقيدة التوحيد كإطار عقائدي ووعاء مذهبي .
- التركيز على الجانب التطبيقي .

رابعاً : ضرورة التحرر من النزعات الذاتية والتوجيهات الإيديولوجية .

خامساً : ضرورة التزام النظرة المعيارية .

وقد فصل علماء الاجتماع بين البحث الاجتماعي وبين مجال القيم أو بين ما يسمونه بأحكام القيمة وأحكام الواقع .

سادساً : ضرورة تحديد الثابت والمتغير

ويأتي هذا الضابط ليرد الخلط الذي تقع فيه المناهج الوضعية بين ما هو ثابت وما هو متغير ، ويفرق بين مستويين مختلفين :

١- مستوى القيم والعقائد والنظم المحددة التي تأخذ صورة نهائية .

٢- ومستوى الواقع والظواهر التي تخضع لهذه العملية تبعاً لتغير الظروف البيئية.

(محمد أمزيان)

حاشية : الظاهرة الخطيرة التي تحتاج إلى عناية ، هـي أن العلـوم الاجتماعيـة في الغـرب منحازة ، فالعلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليهود هي علوم منحـازة ، ذلـك أن كلا العلمين يخدم (الأيديولوجية) وترى الماركسيون يهاجمون العلوم الاجتماعيـة وعلـم النفس الرأسمالي والعكس يحدث أيضاً .

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم علـى (تصـور مستقل) بـل هـو في خدمـة هـدف وكذلك منهج العلوم التجريبية نفســه فهـو في الـدول الرأسـمالية يخـدم هـدف الصـراع الطبقي .

وقد مضى الوقت الذي كان يطلق فيه على نظريات الفلسفة أنها علم وعلى مـا يتعلـق بالعلوم الإنسانية على أنه علم .

وقد ثبت أن علم (الأنثروبولوجيا) أي علم الإنسان قد وضعه الخبراء للانتفـاع بـه في السيطرة الاستعمارية وقد بدا بغضهم تحت شعار التنمية دوراً جديداً في استغلال شـعوب العالم الإسلامي في ظل الاستعمار الجديد وينفذ هذا الدور تحت شعار التقدمية ويتبنى مـا يسمى بقضايا الإنسان المقهور .

● ● ●

الفصل الرابع

الفرق الضالة والفلسفات الباطنية



إن أخطر ما يلفت النظر من محاولات التغريب في احتواء الشباب المسلم ظاهرة إحياء الفلسفات الباطنية الوثنية من جديد بأسلوب مختلف كأن ينسب إلى هذه الفلسفات الباطنية صفة العدل والحرية من خلال تصور ماركسي أو اشتراكي ينسب إلى هذه الفرق صورة البطولة الكاذبة المضللة .

ونرى من أجل ذلك عشرات الأبحاث والدراسات الجامعية التي تريد أن تصور الزنج والقرامطة والروافض على أنها دعوات تربوية ولا يتوقف الأمر عند هذه الدعوات وحدها بل يمتد إلى إحياء فرق جديدة : كالبهائية والقاديانية ووليدتها الأحمدية ودعوى العلمانية والإباحية والوجودية .

وكذلك إحياء الماضي الفرعوني والإغريقي والجاهلي والغربي وتمجيده وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية وإحياء تراث عشروت وزيوس وباخوس وذلك بهدف :

أولاً : هدم التصورات الإسلامية وإخراجها من مفاهيمها الأصيلة .

ثانياً : التشكيك في هذه المقولات الإسلامية ومحاولة إخضاعها للمفهوم الماسوني الوثني القديم والحديث الذي يختلف عن مفهوم التوحدي الإسلامي .

ثالثاً : الزييف والتلفيق المتعمد لهذه البطولات والمواقف وإخضاعها إلى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية .

وقد كان من الضروري العمل على كشف هذه المخططات الوافدة التي تعمل للقضاء على الشخصية الإسلامية لنشر الإلحاد والإنحلال الخلقي ومن ذلك دعوة تحديد النسل والاختلاط بين الجنسين ودعوة العامية واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية .

وأغلب هذه الفرق تقول بالحلول وتؤول القرآن وقد كانوا خير عون للمستعمرين فقد استغلوا في القديم والحديث الجماعة الإسلامية يكيدون لها ويفتكون بها ، وقد أمدها الاستعمار بالقوة والحماية حتى رفعت رأسها وعززت مراكزها داخل البلاد ، ورأس

أحد قادتها (أغاخان) جميع مسلمي الهند وتكلم بأسمهم وترى روح الاستعمار واضحة في البهائية والبابية والقاديانية .

ويتحدث المستشرقون عن الفرق السياسية في الإسلام وعن المنطق والكلام والتصوف الفلسفي والقرامطة والباطنية والزنج وإخوان الصفا ولا يتحدثون مطلقاً عن الباحة الواسعة الحافلة بالفكرة الأصيلة : باحة أهل السنة والجماعة لأن هذه الفرق جميعاً تعتمد الفلسفة اليونانية وتتصل بها بسبب أو بآخر ، وتتسم هذه الفرق بخاصية (التأويل الباطني) والقول بأن القرآن له ظاهر وباطن .

وقد عن التغريب والغزو الثقافي على إحياء الشعوبية القديمة (ويطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا الوجود العربي الحاضن لنظام الإسلام بهدف هدم الإسلام نفسه).

وقد كان من أبرز الشعوبيين الذي أباحوا لأنفسهم التلاعب بالآثار الأدبية في القرن الثاني أشهرهم : خلف الأحمر وحماد الراوية والمفضل الضبي ، وقد تنادي مثقفوا البصرة بعدم الثقة برواية حماد وإعادة النظر في مرويات خلف وكانت مدرسة البصرة قد نشأت على القياس في النحو اللغة بزعامة أبو عمر بن العلاء ، بينما اعتمدت مدرسة الكوفة على الاستعمال ونحت الشواذ بقيادة الكسائي .

ونشأ الأصمعي في جو استشراء الشعوبية التي كشفت عن وجهها وتمادت في نشاطها المحموم والمشحون بالكراهية لكل ما هو عربي وإسلامي وعملوا سراً وعلانية على إفساد تراث العرب الثقافي والديني بما اختلقوا من أراء ودرسوا من معتقدات وأحدثوا من شبهات وأفسدوا اللغة عمداً تارة وجهلاً تارة أخرى .

وقد انبرى الأصمعي لبعضهم في المسجد حيث تعقد حلقات الدرس وحيث يجتمع طلاب العلم ، وفي مجالس الولاة والرؤساء وفي الندوات العامة والمناقشات اللغوية والمجالات وترصد سقطات أولئك الذي تزعموا مجالس الثقافة العربية من أولئك

الشعوبيين أمثال : أبي عبيدة معمر بن المثني وابن الأعرابي وأبي نواس واضرابهم ، هكذاكانت تدار الحملة على الإسلام عن طريق لغته وبيانه .

قال الإمام ابن الجوزي : الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكارهم البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين صحيح ، ولكنهم يقولون ان لذلك سر غير ظاهر ، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسّن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمان أسماء : (الباطنية - الإسماعيلية - السبعية - البابكية - المحمرة - القرامطة - الخرمية - التعليمية) .

وقد خرج من الحركة الباطنية التي قادها حسن الصباح منذ تسعة قرون (جماعة الحشاشين) التي خرج منها فئتين شهيرتين هما الدروز والنصيرية حيث سكن الدروز جبل العرب وسكن النصيريون الجبال التس سميت باسمهم وهي المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط .

ومنها القرامطة التي بحثها عدد كبير من المؤرخين وكان الطبري (٣١١هـ) أول من بحث الحركة الباطنية في الإسلام ثم جاء غريب بن سعد القرطبي فوضع ذيلاً للطبري عن قرامطة البحرين وربط بين الحركتين الإسماعيلية والقرمطية المنسوبة إلى حمدان بن الأشعث قرمط (سواد الكوفة) وانتشرت الدعوة في اليمن والمغرب وفارس وخراسات وبلاد النهرين .

وكشف المؤرخون عن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ٢٩٦هـ وصلة القرامطة بالفاطميين كما كشفوا العلاقة بين القرامطة والزنج .

وفي كل مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي كانت تظهر دعوات منحرفة بعيدة عن (التوحيد الخالص) ووسطية الإسلام ومفهومه المتكامل الجامع ، وكان علماء المسلمين ساهرين على كشف هذه الدعوات المنحرفة ، ودحض فكر المنحرفين ورد كيدهم إلى

نحورهم وفي هـذا العصر الـذي نعيش فيه ، وفي ظل أضواء الصحوة الإسلامية نجد محاولات جديدة تعمل على إحياء مؤامرات قديمة تحت أسماء جديدة ترمي إلى إثارة الشبهات وهدم مفهوم الإسلام الجامع : (**مفهوم أهل السنة والجماعة**)

وتتمثل هذه المؤامرات في خطين مختلفين :

١ - خط يختفي تحت اسم العقلانية ويرمي إلى إحياء مفهوم الاعتزال وخط آخر يختفي وراء اسم الفكر الفلسفي بهدف إحياء مفاهيم الوثنية والغنوصية والفكر المجوسي القديم ويلفت النظر اليوم تقارب كتابات الماركسيين والعلمانيين فيما يشبه الاجماع على حمل لواء المؤامرة والادعاء بأن الإسلام دين عبادي ، فهم يفصلون بينه وبين العلم والمجتمع على النحو الذي تقرره مفاهيم اللاهوت الغربي ، وليس هناك أي دليل على الرغبة في فهم حقيقة الإسلام وعلاقته بالعلم والمجتمع ، بل هناك إصرار شديد على هذا المفهوم العلماني ، وهم في سبيل ذلك لهم دراسات ومحاولات لإخضاع المقررات الفلسفية القديمة في خدمة هذا الهدف على النحو الذي كتب به (حسين مروه) الماركسي في كتابه (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) وما قام به (محمد عابد الجابري) عضو الحزب الشيوعي المغربي (قديماً) في دراسته عن الثقافة العربية ، أنها محاولة مشتركة لإخضاع بعض النصوص العربية القديمة (سواء أكانت نصوصاً أدبية أو تاريخية) لتخدم فكرة إخضاع الإسلام لمفهوم اللاهوت ، وتدهش حين ترى أن بعض الماركسيين قد تخلوا ظاهرياً عن العمل الحركي الظاهر ، للقيام بهذا الدور الجديد على هذا النحو ، وهذا ما قام به حسين مروه وتابعه فيه محمد عابد الجابري الذي يعبر الأجواء العربية الآن من مصر إلى الإمارات إلى هنا وهناك ليطرح هذه المفاهيم من خلال دعوى (مدعاة) أنه يدرس التراث العربي القديم بروح علمية جديدة معلياً شأن الفكر الباطني الذي يسميه (المعرفي) .

وأنهم من خلال هذا التيار يحاولون الدفاع عن الزنادقة القدامي ويعملون للحصول على نصوص يبرأون بها ساحتهم على النحو الذي قاموا به في شأن تبرئة جهم بن صفوان وغيلان الدمشقي والسهروردي والحلاج وغيرهم ، ومن ناحية أخرى فهم يحاولون تقديم (الفكر المعتزلي) على أنه الفكر العقلاني الذي يدّعون تدهور الحضارة الإسلامية بعد سقوطه ، وهم يعملون على إحياء هذه النزعات الباطنية وما اتصلت به من مؤامرات كالزنج والقرامطة في نفس الوقت وذلك لحجب الفكر الإسلامي الاصيل القائم على مذهب أهل السنة والجماعة .

وبذلك فنحن نجد أنفسنا على هذا النحو قريبين جداً من دعوى الحداثة التي أقامها (علي أحمد سعيد) [أدونيس] على قاعدة هدم الأصالة الإسلامية : الفكرة والأصالة اللغوية العربية وإحياء كل نزعات الشك الباطني والإلحادي التي حفلت به تيارات الفكر الفلسفي بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والمجوسية .

وبذلك يلتقي التياران الملحدان ، من يعمل منهم في مجال الشعر والفن ومن يعمل في مجال الفلسفة والتاريخ ويقف وراء هذا التيار الآن كثير من الأسماء المعروفة في أقطارها والتي يتحدث عنها بعض الماركسيين ويشيدون بها من أمثال محمد أركون وعبد الله العروي وإطلاق اسم رجال التنوير عليهم ، وكلمة التنوير والاستنارة وما يشتق منها يرجع أساساً إلى ذلك التيار الذي صنعته اليهودية الماسونية في قلب أوروبا ومهدت به لقيام الثورة الفرنسية فالمنورون هم دعاة الإلحاد والمحاربون للأديان والمنكرون لوجود الله تبارك وتعالى.

يجري هذا كله بتخطيط دقيق يجمع بين المعسكرات المتناقضة في سبيل مواجهة الصحوة الإسلامية وتدمير معاقلها ومناوشتها من كل جانب حتى لا تجد وقتاً للعمل أو البناء وكل هذا يجري حتى يغلق الطريق تماماً أمام تطلعات الأوروبيين إلى الإسلام كنقذ للبشرية من أزمتها .

وهكذا نجد أن الاستشراق يخلي مكانه لتنظيم اشد خطورة من أصحاب الأقلام العربية التي يكتب بها إيماناً بأنه يكون أكبر تأثيراً وألصق بالمجتمعات .

وفكرة إحياء التراث الوثني والباطني والصوفي الفلسفي في نفس الوقت مع التيار المعتزلي ليس فكرة جديدة فقد أعدت لها العدة منذ وقت بعيد ولكن الجديد فيها أنه قد جنّد لها بعض الماركسيين الذين انسحبوا خدعة من الواجهة الشيوعية ليأخذوا سمت العلماء والباحثين على النحو الذي يقوم به أدونيس وأركون والجابري والذي ركز قواعده حسين مروه بدعوة أنهم لا دخل لهم في التيارات السياسية ولكنهم (علماء) متخصصون يرمون إلى إعلان شأن ما يسمونه المعرفة (العرفان) وهي ليست إلا ذلك السم القاتل الذي خلطه أصحاب الأهواء على النحو الذي عرفته رسائل إخوان الصفا وفكر القرامطة وماني ومزدك (المانوية والمزدكية) ويرتبط هذا اليوم بمؤسستين كبيرتين لهما دور واضح ونشاط واسع في قلب أفريقيا وفي الغرب هما (البهائية والقاديانية) .

ولا ضير أن يكون هناك التقاء وتعاون بين الماركسيين والعلمانيين ، فإن الجسور قد أقيمت بين كل القوى المضادة لمحاربة الإسلام لتعمل في طريق واحد وفي هدف واحد وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم يقاتلونكم كافة .

وما دامت الصحف مفتوحة لكتاباتهم والجوائز الكبرى مرصودة لأعمالهم وقوى سياسية عالمية تساند هذه الأقلام في حملتها على إسلام وقرآنه ورسوله وتاريخه فإنهم يبيعون هذه الأقلام تحت سمت من الاستعلاء باسم العلماء والخبراء من خلال كلمات خادعة هي العقلانية والمنهجية وقلوبهم تتلظى من وراء ذلك حقداً على الهزائم التي لحقت بدعاواهم وتنظيماتهم حين اكتشف الإسلام نفسه من جديد وحين آمن بأنه ليس لأمته منطلق إلا من خلال منهجه وحده ، وكفى خداعاً تلك السنوات الطويلة وما حمله الرواد وعمداء الأدب وأساتذة الجيل من دعوات مضللة ثبت فشلها وتحطم كيانها فلم يعد في الإمكان العودة إليها .



لقد عرف الغرب أن الحصن الحصين في حياة الأمة الإسلامية : وجودها وقيامها وبقاؤها واستمرارها هو الإسلام بمفهومه الجامع : منهج حياة ونظام مجتمع ، القائم على التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبه وبمفهوم رسالة الإنسان في الأرض لبناء المجتمع الرباني ومسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وإيمانه بالبعث والجزاء وعقيدته الجامعية التي تؤمن بالله (تبارك وتعالى) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

هذا هو المعنى الذي عرفوا أنه مصدر الصمود والتماسك والقوه والاستمرار والذي عمدوا إليه بمختلف الوسائل إلى تدميره وتحطيمه وإزالته ، فكانت تلك المؤامرات التي قام بها الاستشراق والتبشير والتغريب لإحياء الشعوبية القديمة والفكر الفلسفي القديم : الوثني الإلحادي ، شرقية الغنوصي وغربية الاغريقى فى سبيل إثارة الشهوات والمحرمات ودفع البشرية إلى الإباحية والجريمة والجنس حتى تصبح هذه الأجيال المسلمة مدمرة محطمة ضعيفة عن مواجهة القوى الكبرى ، غير قادرة على حماية نفسها وحماية وجودها وكيانها وحماية تلك الأمانة التي وكلها الحق تبارك وتعالى إليها .

ولما كان الحفاظ على الذاتية الإسلامية والهوية الإسلامية هو أكبر التحديات التي واجهها المسلمون على مدى تاريخهم كله ، فقد كان من الضروري أن يجري ضرب هذه الذاتية حتى تفقد جذورها فتسقط وتهوى ، ضربوها بالعنصرية وبالفرعونية والفينيقية ، وضربوها بالإقليمية وإعلاء التاريخ السابق للإسلام ، وضربوها بتزيين أن العروبة أقدم من الإسلام وأن الإسلام فرع منها ونسوا أن الإسلام هو دين الله تبارك وتعالى منذ خلق السموات والأرض وأنه دين آدم ونوح وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء ، كان حنيفاً مسلما ، وأن الإسلام جاء مكملاً لهذه الحلقه ومصححاً لها بعد أن انحرفت بها اليهودية والمسيحية .

ونجد الآن كلاماً كثيراً عما يسمونه (الدورة الإنسانية) وعودة الإنسان إلى الحياة الدنيا مرة أخرى ، وهي ذات الفكرة القديمة (التناسخ) التي عرفتها الهندوكية يحاولون

تجديدها تحت اســم جديد ، ونسـوا أن القـرآن الكريـم كـان قاطعاً في هـذا الأمـر وأن الرجعة لم تقع لأحد ولن تقع أبداً ﴿ **قال رب ارجعون قال كلا** ﴾ .

ولا ريب أن هناك محاولات إغراء الذين لـم يكتمـل مفهومهـم الجـامع للإسـلام حيـث يخدعونه بما يسمونه الرجعة وأن الروح تحل في جسم آخر بعد المـوت ، وأصحـاب هـذه الدعوة ينكرون الحشر وينكرون التوحيد الخالص .

وهناك التأويل الباطني في تفسير القرآن وقد توالت الحركات الباطنية التـي عمـدت إلى تحريف تاريخ الإسلام هادفة إلى إظهار عقائدها وأهدافها الحقيقيـة مسـربلة بمبـدأ التـأويل الباطني للقرآن متجاهلة الضوابط النقلية والعقلية والأصولية التـي أجمـع عليهـا المفسـرون والأصوليون في تفسير الآيات القرآنية وكانوا وإما يحذرون من إسباغ المعاني الباطنية على النص القرآني وقد وضع أساس الباطنية جماعة من اليهود والمجوس والمزدكية وشرذمة من الوثنيين الملحدين وطائفة من ملاحدة الفلسفة المتقدمين .

وهناك محاولة تجديد هذا الفكر بإعادة طبع آثـارهم ومنهـا كتـب الحـلاج وابـن عربـي ورسائل إخوان الصفا وكلها ترمي إلى إذاعة مفاهيم مضللـة مخالفـة تمـام المخالفـة لمفهـوم التوحيد الخالص ، مثل وحدة الوجود والحلول والاتحاد وقد خدعت رسائل إخوان الصفا بعض الذي لا يعرفون أبعاد المؤامرة الباطنية القديمة التي قضى عليها علماء المسلمين والتي ابتعثها من جديد شياطين الاستشراق وأتباعهم من أمثال طه حسين وغيره .

ولا ريب أن (إخوان الصفا) وهـم صفوة الفكر القرمطي في دور الستر كانوا موزعين على البلاد الإسلامية قال عنهم الباحثون : إنهم جماعة إخوة قرمطية تأسسـت في البصـرة لنشر المبادىء الباطنية والعمل على تطبيقها بطرق غاية في اللطـف ، وقـال المسـعودي إن مقر جماعة إخوان الصفا هو مقر الحكومة القرمطية أينما وجدت وأنهم قد خدعوا النـاس باتخاذهم (آل البيت) غطاء وستراً .

ويرى البعض أن الفرق (البكتاشية والمولودية والبابية والبهائية) هي فروع من القرمطية متأثرة بتلك الوسائل وقد أحيا المستشرقون هذه الرسائل ودعوا أتباعهم من المفسرين إلى اتخاذها مراجع ومصادر لأبحاثهم ولقد حاولت قوى الاستشراق أن تعيد إحياء هذا الفكر الوثني بأساليب كثيرة منها ما قام به ماسينيون من دراسة لآثار الحلاج استمرت أربعين سنة جمع فيها مجلداً ضخماً عن آثاره ، ومنها إحياء رسائل إخوان الصفا ، وتجنيد كتاب التغريب لتزكيتها والدفاع عنها ومنها اسلوب آخر أشد كفراً وإثماً وهو إعادة تصوير هذه الشخصيات في مسرحيات شعرية حديثة على النحو الذي قام به صلاح عبد الصبور في مسرحية (مأساة الحلاج).

وتعد مسرحية صلاح عبد الصبور عن الحلاج خلاصة ما كتبه ماسينيون وهي إعادة لنشر الصلب لإحياء شخصية السيد المسيح الذي رسمته أكاذيب بولس وغيره مصلوباً في شخصية الحلاج افتداء للبشرية باحتمال آثامها .

وقد قرأ صلاح عبد الصبور دواوين المارقين من شعراء وحدة الوجود والحلول أمثال الحلاج والسبلي وابن عربي وظهرت آثار قراءاته في دواوينه الآخيره التي تضمنت كلمات لم يعرفها الشر العربي في تاريخه كله وهي كلمات النصرانية ومصطلحاتها مما حدا بلويس عوض أن يكرمه ويمنحه إمارة الشعر تكريماً له على هذا التحول الخطير .

ولم تكن فكرة الصلب التي أعلنها صلاح عبد الصبور في مسرحية الحلاج حديثة فهي دائمة الظهور في شعره فضلاً عن بروز البحث اللغوي المتأثر بأسلوب التوراة في شعرة والتضمين للألفاظ والجمل والرد المتأثر بالإنجيل وقد سمى أحد دواوينة (أقول لكم) إشارة إلى قول المعلم إلى حواريه على حد تعبير الأستاذ عز الدين المدني . وقد تابع هذا الشاعر السوري (ابن خليل مردم) في مسرحياته الشعرية عن هؤلاء الشعراء المارقين عن الإسلام ويتصل بهذا ما يحاوله بعض الكتاب باحياء فرق البابية والخرمية والزنج والقرامطة ووصفهم بأنهم طلاب عدل وأصحاب ثورة ، كل هذا إنما يومي إلى ذلك

الجهد الضخم المبذول لإحياء هذا التاريخ الشعوبي الفاسد ومن ذلك حديثهم عن (المأمون) الذي كان يفسح في مجالسه للمجادلات التي تعطي خصوم الإسلام حرية الرأي في السخرية من الإسلام وإعلاء النصرانية تحت اسم حرية الرأي أو حرية الفكر ، ثم ما كان من موقفه الخطير في فتنة (خلق القرآن) وتسلط بعض خصوم الإسلام عليه وهذه المحنة التي استطار شرارها في بغداد وانتشرت أخبارها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ووقف منها الإمام أحمد بن حنبل موقف الصمود في كلمته الخالدة (**القرآن كلام الله غير مخلوق**) .

وهكذا نجد أن الشعوبيين ودعاة التغريب يعيدون إثارة هذه القضايا بعد أن حكم فيها الزمن حكماً لا رجعة فيه وينشرون هذه الصفحات مرة أخرى ، ونجد هيئات التبشير والاستشراق تتعاون مع الهيئات الرسمية على إحياء هذا التراث المسموم رغبة في صرف الناس عن الحق وعن الصراط المستقيم ودون أن يكشف الناس حقائق هذه الأعمال أو موقفها من الحركة الفكرية الإسلامية ومن ذلك ما يرددونه عن (إخناتون) أنه كان موحداً وهو تعبير خادع مضلل فإن إخناتون إنما وحد عبادة الأصنام وجمعها في عبادة الشمس ، وإن أنكر الأوثان الأخرى التي كان يعبدها قومه ، ولقد نقل الناس من عبادة أتون إلى عبادة أمون ولكن القضية كلها كانت تقول بألوهية الشمس فكيف يقال عن هذا أنه " **توحيد** " (بمفهوم الإسلام) .

وهكذا يجري تدمير الذاتية الإسلامية بوسائل كثيرة أخطرها ما جرى الاستشراق على إدخاله من مفاهيم خطيرة لتزييف الحقائق الإسلامية الأصيلة .

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس

الفلسفات الباطنية

١- الباطنية

٢- البهائية والقاديانية

أولاً : الفلسفات الباطنية

على أثر ظهور الإسلام وانتصاره المباغت والساحق على الوثنية والمادية جميعاً استيقظت الدوائر الاستعمارية وجندت مؤسساتها لمجابهة خطر الإسلام فشنت حمل ماكرة خبيثة لترجمة أمهات الكتب في المذاهب والفرق الإسلامية ، وتقررت حلقات دراسة مركزه عن الإسلام في جامعات أمريكا وأوروبا وإسرائيل ووضعت خطط عريضة لإجراء مسح ميداني شامل للأحزاب والمنظمات والجمعيات الإسلامية الواعية في عالم العالم وصدرت أوامر لتحركات عسكرية مشبوهة لتطويق المناطق الإسلامية الساخنة تحت ستار تأمين تدفق البترول .

هذا الأسلوب الخبيث هو الكمين الاستراتيجي والمعول الهدام الذي يدخره اليوم أعداء الإسلام لاختطاف تطلعاتنا واغتيال طموحاتنا المستقبلية ودفن حصيلة تضحياتنا المجيدة .

هذا الأسلوب يرمي إلى إثارة التعصب القومي والمذهبي وإشعال نار الطائفية حتى يتناحر المسلمون ويتنازعون فيما بينهم فيفشلوا وتذهب ريحهم ، ويستعمل هذا الأسلوب اليوم من بعض المحاور الحاقدة على الإسلام لإثارة الأحقاد المنسيه ونكأ الجروح القديمة المندملة ومن أجل إثارة الفتن والبلبلة بين المسلمين لتشتيت شملهم وتبديد جمعهم ليصبحوا طوائف وشيعاً وأحزاباً متنافرة مما يستدعي وضوح الرؤيا والاعتصام بحبل الله من أجل توحيد الكلمة فالإسلام هو الذي آخى بين جميع المسلمين لا يقهر ولا يغلب مادام المسلمون في وفاق ومحبه وإتحاد وتكاتف .

والإسلام قادر بوحدة كلمة المسلمين أن يجتاح كل النظم المنفسخة الفاسدة وأن ينقذ شعوب الأرض من مجاذر الظالمين ولكن إذا تفرقت كلمتهم أصبح الإسلام في خطر .

إن إتفاق أعداء الإسلام اليوم على مطاردة اليقظة الإسلامية ومحاربة الله تبارك وتعالى ورسوله والمؤمنين ليس خطراً على الإسلام والمسلمين بل على العكس من ذلك إنه دليل

على إفلاس الحضارة المادية وتفسخ المجتمعات الجاهليه وانهيار القوى الظالمة ، وهو يمثل ذعر القوى المناوئة للإسلام .

لقد استطاعت الفرق الضالة والفلسفات الباطنية غزو كثير من الديانات والملل والنحل في عقر دارها ولكنها وقفت حائرة أمام الإسلام فلم يستطع صرف أبنائه عنه رغم مختلف أساليب القهر والعسف فبقى في معاقلة كالطود الشامخ .

وقد تجددت اليوم هذه المحاولة في إطار الحرب المعلنة بكل أساليبها ووسائلها ، فجندت عدداً من الأسماء اللامعه لإحياء هذا التراث من خلال الوسائل الحديثة كالشعر والمسرح ، وذلك لضرب مفهوم التوحيد الخالص .

فعلينا العمل على تطويق هذه الأفكار المعادية للإسلام والحيلولة دون انتشارها والكشف عن خطر الحركة الباطنية على الأمة الإسلامية وعلى المسلم أن يفهم حقيقة الإسلام فلا تنطلي عليه خدعة الفلسفات المختلفة التي أفلست في الوصول إلى الحقيقة .

هذه المفاهيم المسمومة حتى لا يقع المسلم في براثنها .

فقد استغل الاستعمار دعاة هذه الفرق وأمدهم بالوسائل التي تمكنهم من نشر كلمتهم الضالة بين الناس ، وهي مفاهيم في مجموعها تعمل على هدم التصورات الإسلامية وإخراجها من مفاهيمها الأصيلة ومحاولة إحياء الماضي الوثني القديم وبعث الأساطير وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية في صور جديدة .

وأخطر ما تحمل هذه الدعوات : التشكيك في عقيدة ختم النبوة الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وبالأدلة العلمية والعملية .

وقد أكد القرآن في كثير من آياته على عالمية الرسالة وختم النبوة ولكن المدعين ما زالوا يثيرون الشبهات ويدعون النبوة ويدعون إلى إسقاط التكليف وإلى تحليل المحرمات وإسقاط فريضة الجهاد وفريضة الحج .

وقد قام الدليل العقلي الذي يرفض قبول أي دعوة وأي رسول وأي كتاب وأي وحـي لأن كلمة السماء الأخيرة قد تمت والدين قد كمل ، والنعمـة قـد تمـت (اليـوم أكملـت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

وكان أخطر ما في التصوف الفلسفي قولهم بالجبرية وإسقاط الفرائض المكتوبة وقد حاول دعاة الفرق الضالة تتبع الآيات المتشابهات لتأويلها ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـــابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ .

وكما جدّد الإسلام تراث النبوة كله في القرآن الكريـم وقدمـه مـن جديـد مـن خـلال دعوة محمد ﷺ ووجه أبصارنا إلى صفحات مشرقة من الجهاد والنضال والكفاح التي قام بها الأنبياء والرسل في سبيل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ، فهـو قـد كشـف أيضـاً عـن زيف الفكر البشري ودعـواه المختلفـة سـواء مـن نظريـات الفلسـفة الباطلـة أو تحريفـات الأديان أو تكذيب الرسل أو ظهور الفساد في البر والبحر وقدم لها جميعها وصفاً واضحاً صريحاً لمفاهيم الكفر والإلحاد والإباحة والتثنية والوثنية والتعدد في أسلوبه الرائع ومنهجـه المشرق الرباني .

وكـان علينـا أن نعمـل على نفـس الطريـق بعـد أن جـــدد التلموديـــون والشـــعوبيون والعلمانيون هذا التراث البشري الوثني مرة أخرى وقدموه للمسلمين من جديد في صورة نظريات ومنـاهج وأيديولوجيـات جديـدة – مـن خـلال سيطرتهم على منـاهج التعليـم والثقافة والصحافة – فنحن الآن نواجه مرحلة شبيهة بمرحلة العصر العباسـي إبـان ترجمـة الفلسفات وظهور الكلام والاعتزال والتصوف الفلسفي بل أعتقد أن هـذه المرحلـة التـي نعيشها أشد خطورة لأن المسلمين في المرحلة الأولى كانوا غايـة في اليقظـة إزاء مؤامـرات الفكر الإغريقي والوثني والغنوصي وكـانت إرادتهـم حـرة مطلقـة فقـد واجهوهـا بقـوة وكشفوا زيفها ودحضوا سمومها .

أما نحن فقد ظللنا وقتاً طويلاً تحت تأثير النفوذ الأجنبي وسيطرته تترجم إلى لغتنا فلسفات ضالة وقصصاً إباحية وتطرح في طريقها مذاهب وأيديولوجيات من الشرق والغرب ، من ركام فلسفات الليبرالية والماركسية والشيوعية والوجودية والفرويديه والإباحية ، وهي في جملتها ليست إلا الفلسفات القديمة : فلسفات الإغريق والمجوس والهنود مصوغة في أساليب جديدة .

وليس عجيب أن نرى رجلاً من الدكتور صبري جرجس المسيحي المصري الذي عاش أكثر من خمسين عاماً داعية علم النفس الفرويدي في مصر فإذا به فجأه يكتشف أن هذا العلم الذي سارت بـه الركبان شرقاً وغرباً والذي فرضته المعاهد والجامعات كعلم أساسـي لحقائق ثابتة – وليس كنظريات وفروض تخطيء وتصيب – هو منقول تماماً وبالكامل من التلمود ومن مكر يهود لتهديم البشرية وتدميرها وفجأة استفاق ضميره فكتب كتابه المعروف في هذا المجال الذي هز دوائر التعريب فأخذوا يهاجموه بعنف ، ومضى هو في هدوء يكشف لهم الحقائق ويبين بالأسانيد والأدلة العلمية أن كل ما ادعاة فرويد علماً لم يكن أكثر من عصارة مرحل أحقاده وأحقاد اليهودية العالمية على البشرية رغبة في تدميرها .

ثم عرف بعد ذلك أن كانت هناك علاقة بين ماركس من ناحية وبين هرتزل من ناحية ، وبين فرويد من ناحية ثالثة ، وأن هذه العلاقة عملت وأن لم تتعاصر في سبيل الهدف الذي رتبته التلمودية لتهديم البشرية وإذلالها وسحقها ، أحدهم من ناحية إعلاء المعده والآخر في إعلاء الجنس ليفتحا الطريق أمام هدف هرتزل المعروف .

هذا التراث البشري ترونه واضحاً في :

١– الفلكلور ، وما أسموه التراث الشعبي الحافل بالخرافات .

٢– في دعوة مدعاة أن الإنسانية بدأت وثنية ثم وحدت .

٣- إحياء الأساطير ، جلجامش وعشروت ... إلخ .

٤- السحر والروحية الحديثة (تحضير الأرواح) .

٥- فكرة السامية التي أريد لها أن تحجب حنيفية إبراهيم عليه السلام .

٦- فكرة الجنس وسيطرتها على السلوك الإنساني وضرب دعوات أخرى حاولت أن يجعل من الدافع الشخصي (أدلر ويونج) بديلاً عن الجنس .

٧- نظرية دارون وتحولاتها .

٨- نظرية ماركس واعتمادها على نظرية علمية سقطت .

وهناك ذلك التراث الباطني الفلسفي الذي قدمه (ابن سينا والفارابي والنصير الطوسي وغيرهم من أمثال العقول السبعة ونظرية الفيض وغيرها وقضايا التصوف الفلسفي من أمثال وحدة الوجود والاتحاد والحلول ، وما كتب في رسائل إخوان الصفا وغيرها ، وقد أقيمت على هذه الترهات مذاهب ودعوات باطلة ، أرادت أن تنال من عقيدة التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام ومن إسلام الوجه لله ومن النبوة والغيب والبحث والجزاء فلا تغرنك أشعار ابن الفارض ولا كتابات الحلاج وابن عربي فإنها تستقي من فلسفات اليونان والمجوس وتهدف إلى تزييف ذاتية الإسلام الخالصة القائمة على التوحيد الخالص.

ولنحذر من مسألة الحب الإلهي والعشق الإلهي فهي سموم مركزة ذات أسماء لامعة فما هكذا يدار الحديث بين الإنسان الضعيف وربه الكريم العظيم جل جلاله ومنذ أن فتح هذا الباب : باب انقطاع الخشية من جلال الله والخوف منه فقد تساقط إيمان الكثيرين ، إن عقيدتنا في مفهوم أهل السنة والجماعة هي الجمع بين الخوف والرجاء في الله تبارك وتعالى أما كلمة العشق فلم ترد مطلقاً في قرآن ولا سنة .

ما أشد حاجتنا إلى التحرر من الإرث اليهودي المسيحي ، واليوناني الروماني والمجوسي الفارسي ، والفرعوني الوثني .



ولقد جرت المحاولات لإيجاد ما يسمى الميثولوجيا العربية أو الإسلامية أي أن يوجد في الأدب العربي علم الأساطير على نمط ما حدث في الفكر اليهودي والمسيحي وقد تصدى لتقديم ذلك الدكتور طه حسين بكتابه (على هامش السيرة) وكشف ذلك الدكتور محمد حسين هيكل في عرض هذا الكتاب حيث قال : أن الخطر هو أن ندعو إلى ميثولوجية إسلامية فإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ، تشكك المستنيرين وتدفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه ﷺ وقد كانت هي غاية الأساطير التي وضعت في الأديان الأخرى ومن أجل هذا ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين في جميع العصور بتطهير العقائد من تلك الأوهام .

كما كتب محمود سليم الحوت كتاب (في طريق الميثولوجيا عند العرب) جمع فيه عدداً من المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام وتحدث عن آلهة العرب - وعبادة النجوم ، وعبادة الأحجار ، وأساطير الأولين والعلاقة بين الآلهة والأبطال.

وتحدث عن أساطير الغرب التي مرت بثلاث مراحل :

١- مرحلة الأساطير اليونانية .　　　٢- مرحلة المسيحية اليونانية .

٣- مرحلة المادية الإباحية المعاصره .

وكشف عن حقيقة أساسية وهي أن الأديان قد جاءت بالحقائق فنحاها الإنسان وواصل رحلة الأساطير .

وقال إن قصص الأصنام كلما تكشف عن زيف هذه العبادة ومنها ذلك الذي كان يأتي لضمه بالطعام فيضعه على رأسه فتمر الحيوانات فتأكله ثم تبول فوق رأسه وفي هذا أنشد أحدهم :

لقد خاب قوم أملوك لشدة　　　أرادوا نزولاً أن يكون تحارب
فلا أنت تغني في أمور كثيرة　　　ولا أنت دفاع إذا حل نائب
أرب يبول الثعلبان برأسه　　　لقد ذل معه بالت عليه الثعالب

٢- الباطنية : قاعدة الأساس :

وتعد الباطنية كبرى حركات التحريف في تاريخ الإسلام أرادت أن تظهر عقائدها وأهدافها الحقيقية مسربلة بمبدأ التأويل الباطني للقرآن الكريم متجاهلة الضوابط النقلية والعقلية والأصولية التي أجمع عليها المفسرون والأصوليون الثقات في تفسير الآيات القرآنية فإن في هذا الغاؤه والقضاء عليه وعلى كل ما ورد فيه من عقائد وأحكام وسلوك.

وقد وضع أساس الباطنية جماعة من اليهود والمجوس والمزدكية وشرذمة من الوثنيين الملحدين وطائفة من ملاحدة الفلاسفة المتقدمين .

قال الإمام ابن الجوزي : الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكارهم الغيب والبعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق وأن محمد رسول الله والدين صحيح ولكنهم يقولون أن لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء :

الباطنية - الاسماعيلية - السبعية - البابكية - المحمرة - القرامطة - الخرمية - التعليمية.

وقد ظلت الزندقة العقائدية نائمة تحت رماد القرون حتى جاء العصر الحديث لتكشف لنا دعاوي شتى .

وهذه الفرق جميعها تخالف مفهوم الإسلام الصحيح وأفكارهم مزيج مختلط من الإسلام والنصرانية واليهودية والهندوكية والفلسفة اليونانية وأخطرها :

١- عصمة الإمام عن الكبائر والصغائر .

٢- طرح الفرائض الدينية فالصلاة هي الاتجاه القلبي للإمام والصوم هو عدم إفشاء أسرار الدعوة والحج هو زيارة الإمام .

٣- القول بقدم العالم .

٤- للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن ولا يعلم باطنه الأئمة ولا معنى للتمسك بحرفية القرآن ويجب فهمه على طريقة التأويل والمجاز .

٥- الأنبياء سواس العامة أما الخاصة فأنبياؤهم الفلاسفة .

٦- الشعائر الدينية للعامة أما الخاصة فلا يلزمهم العمل بها .

٧- الجنة نعيم الدنيا والعذاب اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام وغيرها

٨- إباحة المحرمات والمحارم (إباحة شرب الخمر) وإباحة البنات والأخوات وجميع الملذات .

وكانت ظاهرة الغلو هي أهم الأسس التي ارتكز عليها التأويل :

حيث دخلت الإسلام لأول مرة مفاهيم لم يعرفها القرآن الكريم ولا السنة المطهرة : كالحلول والتناسخ والبداء والتشبيه والتأويل والاشراق وهذا هو خطر المصادر المسمومة التي لجأ إليها الباطنية وهي الفلسفة اليونانية ، والفكر المجوسي الغنوصي ، الفكر الهندي وهي فلسفات تحوي عدداً كبيراً من المسلميات الباطنية والإباحية مما يسمى علم الأصنام وفكر طفولة البشرية .

وقد اختلط ذلك بالمجالين الخطيرين : مجال العرفان ومجال البرهان كما يسمونه الآن فالعرفان هو الفكر الباطني والبرهان هو المنطلق الأرسطي اليوناني وما تفرع منه من الاعتزال وفتنة خلق القرآن أما الأصل الأصيل للفكر الإسلامي وهو القرآن والسنة فقد استبعد تماماً وأطلق عليه اسم البيان ، وعلى هذه الوجهة تقوم الدعوة الخطيرة التي نحاول أن تسيطر على الشباب المسلم والتي يحمل لوائها عديد من المراكسة والإباحيين والمضللين تحت اسم (الحداثة والنبيويه ، و العلمانيه والتنوير ويقودها أودنيس وعابد الجابري وعاطف العراقي و غيرهم .

ووضعت فيها مؤلفات وعقـدت نـدوات تحـت لـواء الفلسـفة كلهـا ترمـي إلى إزاحـة "السنة" التـي تمثـل الفكـر الإسـلامي القرآنـي الأصيـل وتجاهلهـا والانتقـاص مـن قدرهـا ووصفها بأســماء : التراث ، السلفية ، القديم ، المأثورات .

استهانة واحتقاراً ، ثم هناك إعلاء لشأن الجدل والمنطق الأرسطي الذي هدمـه الإسـلام وإعادة لإحيائه وإعلائه ، بكـل مـا يتصـل بـه علـم الكـلام والمنطـق وفتنـة خلـق القـرآن وتقديس العقـل ثـم إعـلاء للعرفـان الـذي هـو الفكـر البـاطني المتصـل بـالفكر الفارسـي المجوسي القديم وبالفكر الغنوصي وما يتصل بـه مـن وحـدة الوجـود والحلـول والاتحـاد والاشراق والنرفانا والتناسخ وكـل هـذه السـموم التـي جـاء الإسـلام لهدمهـا وتدميرهـا كالعقول العشرة والفيض وغيره ؛ يأتي هذا كله ليطمس مفهوم الإسلام (الذي يسـمونه البيان) في تقديم المنهج العلمي التجريبي ومنهج المعرفة وعلم أصـول الفقـه وعلـوم اللغـة العربية حيث تجتمع تحت لواء الفكر الإسلامي الأصيل منظومة كاملة غير مفرقة وخاصـة بعد أن كشف الإسلام عن فساد منطق أرسطو واستعلاء منطق القرآن الذي قدمه الإمـام ابن تيمية والخطوات التي قطعها الإسلام في مجال الرياضيات والطبيعيات ومـا أعلـن عـن عزلة (الفارابي والكندي وابن سينا) ووصفهم بأنهم المشـاءون المسـلمون خـارج دائـرة الأصالة الإسلامية .

نجد أن الكلام يعود مرة أخرى لإعلاء هؤلاء وإعلاء من ورائهم ؛ لقد حـاولت القـوى الفلسفية المادية (من جماعة الفكـر الهلينـي) إقامـة بنـاء إسـلامي مسـتمد مـن فكرهـا فعجزت ، كما حاولت القوى الباطنية (من جماعة ابـن عربـي والحـلاج وابـن سـبعين) إقامة بناء إسلامي مستمد من فكرها فعجزت ولـم تسـتطع هـذه القـوى احتـواء الفكـر الإسـلامي سـواء في مجـال الفكـر الفارسـي القديـم أو الهنـدي القديـم وصحيـح علمـاء المسلمون الموقف تماماً وكشفوا عن هذا الزيف كله ، وأعلنوا عـودة المسـلمين إلى المنـابع الأصيلة من كتاب الله وسنة رسوله سواء في مفاهيم الكـلام أو التصـوف أو الفلسـفة أو

غيرها مما حاولت الإسرائيليات التأثيرية في مجال التفسير أو النحو أو اللغة أو غيره وانتهت هذه المعركة تماماً وعاد الفكر الإسلامي بأصالته الكاملة إلى الطريق الصحيح مستلهماً المفهوم الأصيل الذي قدمه القرآن ورسمته السنة النبوية الشريفة ، فلماذا إذن هذه المحاولات المسمومة المستميتة في سبيل إعادة كتابة هذا التاريخ بنية مبيته للمغالطة والتزييف ولماذا يكتب تاريخ العقل الإسلامي (لا العربي كما يسمونه) على طريقة الفكر الماركسي والجدلية المنطقية ونرى فيه خليط من اباحيات أوجست كونت وهيجل وماركس .

ولماذا هذا الإصرار على إحياء التصوف الباطني والإشراقي والفلسفي وتراثه القديم في فارس وكتابات ابن عربي والحلاج وابن سبعين مع رسائل إخوان الصفا وهرمس والأفلاطونية الجديدة .

ولماذا هذا التفصيل الواسع في عرض هذه الصفحات السوداء التي صححها علماء المسلمين وكشفوا زيفها والقوا فها عشرات الكتب في مقدمتها :

تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبه

مقالات الإسلاميين : الأشعري

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (البغدادي أبو منصور)

الفصل في الملل والنحل : ابن حزم

الملل والنحل : الشهرستاني

هؤلاء جميعاً وغيرهم (الغزالي وابن تيميه وفخر الدين الرازي) بينوا للمسلمين خاصة وللناس أجمعين فساد هذه الفرق والطوائف وما كان يتخذ الإسلام ثوباً وذريعة لمحاربته والكيد له ولأتباعه .



ويقر مؤلف كتاب " الإسلام في مواجهة التحديات " :

أن أخطر الفرق التي خرجت عن الإسلام خروجاً ظاهراً هي فرقة الروافض التي أظهرت بدعتها منذ زمن علي (رضي الله عنه) وهم الذين ادعو بأن علياً هو الإله فأحرق قوماً منهم ونفي ابن سبأ إلى المدائن وهي فرقة خارجة تعمل لتحطيم الإسلام والإجهاز عليه وكان من آثار هذه الفرقة ظهور دعوة الباطنية في أيام المأمون على يد حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح .

يقول عبد القاهر البغدادي المؤرخ في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام : اعلموا أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من ضرر الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان .

إن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره ، خوفاً من سيوف المسلمين فوضعوا أسساً من قبلها منهم صار الباطن إلى تفصيل أرباب المجوس وتأولوا آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وعلى مواقفه أسسهم .

ولقد سلكوا مسلك الاحتيال في تأويل الأصول ولم يكتفوا بذلك وإنما تجاوزوا هذا إلى فروع الشريعة لطمس معالمها والإجهاز عليها .

ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك عملوا - أيضاً - لتأويل أحكام الشريعة إلى وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس ، الذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة إنهم قد أباحوا لأتباعهم قطاع البنات والأخوات وأباحوا شرب الخمر وجميع الملذات .

لقد ذهب أكثر المتكلمين إلى أن غرض الباطنية الدعـوة إلى ديـن المجوسـية بالتـأويلات التي يتأولون عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم ميمون بن ديصان كان مجوسياً من سبي الأهواز ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس إلى دين ابنه.

ومن المتكلمين من نسب الباطنية إلى الصابئين المعيمين في حران ودليلهم علـى ذلـك أن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحـرانية .

وهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العـالم وينكـرون الرسـل والشـرائع كلهـا ويميلـون إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع .

والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر الإلهـي ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فأتوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعـوة النبوة والإمامة .

٣- المؤامرة على الوحي (مؤامرة خلق القرآن) :

أول من أخرج الجيل القرآني من الأصالـة عبـد اللـه بـن سـبأ اليهـودي ، الـذي أدخـل اليهوديات والاسرائيليات إلى الإسلام وبث سمومها في اتباعه فظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم ، يقول الأستاذ أحمد تسوكي : كان معبد يقول بالقدر علمـه إياه رجل نصراني من أهل العراق يدعى بولس ، ونفث في صدره سمومه فكان أول مـن قال بالقدر في الملة المحمدية ، وقدم مدينة الرسول فأفسد منها أناساً فاشـتغل أهـل زمانـه بتحرير الناس منه فروي أن عمر رضي الله عنه حين بلغه شأنه أعلن الـبراءة منـه ، وروي أن الحسن كان يقول : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضـل وروي أن مسـلم بـن يسـار كـان يجلس إلى سارية في المسجد يقول : إن معبداً يقول النصارى وما زال كذلك حتى أخــذه عبد الملك بن مروان عام ٨٠ فقلته وصلبه بدمشق . (نقلاً عن مقالات الإسلاميين لأبـي الحسن الأشعري) .

وانتقلت آراء معبد إلى غيلان بن مسلم الدمشقي فخاض في القدر وكانت نهاية أمره أن أخذه هشام بن عبد الملك بن مروان فقطع يديه ورجليه .

ونمت هذه الأفكار في البيئة الإسلامية حتى استقرت في الإطار المعتزلي الذي كان أبو الهذيل العلاف (٨٤٩هـ) شيخ المعتزلة أستاذ الخليفة العباس (المأمون) الذي يدرس له ويعلمه الأديان والأقوال المختلفة في الملل والنحل والعقائد المخالفة للإسلام .

والمأمون هو صاحب محنة " خلق القرآن " شجعه على إعلانها المحدث المعتزلي (أحمد بن داوْد) وفكرة خلق القرآن فكرة يهودية أصلاً ونسباً ، أخذها الجعد بن درهم عن أبان بن كعان التميمي الذي ادعى النبوة فقتله خالد القشري ، وأخذها أبان بن طالوت (شارون) بالعبرية ابن أعصم اليهودي ونادى بالفكرة أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد المعتزلي بشر المريسي وهو من أصل يهودي أيضاً فقد كان أبوه يهودياً يحترف الصباغة في الكوفة .

ويروي ابن الأثير في تاريخه : أن أول من نشر فكرة خلق القرآن بين المسلمين هو (لبيد بن الأعصم) الذي كان يقول بخلق التوراة ثم أخذ الفكرة عنه ابن أخيه طالوت بن الأعصم .

قال ابن قتيبه في (عيون الأخبار) : إن أول من قال بالفكرة المغيرة بن سعد العجلي ، وهومن أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي وحين أعلن المأمون عن فكرة خلق القرآن وتحزب لها وربط بينها وبين القول بالتوحيد ، حتى قال : لا يوجد لمن لم يقل بأن القرآن مخلوق (نظر رسالة المأمون في خلق القرآن من كتاب عصر المأمون ج٢ تأليف دكتور أحمد فريد رفاعي سنة ١٩٢٦) .

وخلاصة هذه السطور أن المؤامرة على نقص الوحي الإلهي إلى خاتم المرسلين والأنبياء محمد ﷺ بدأت أول ما بدأت على أيدي اليهود ، وأن هؤلاء اليهودي لم يجدوا من

وسيلة يحاولون بها هدم الملة الإسلامية سوى ما توحيه إليهم به شياطين عقولهم المتهافتة من أفكار واهية ومزاعم باطلة .

على أن علاقة اليهود بالعقل الإغرايقي ليست مجهولة كما قد يعتقد وقد أرادوا أن يكرروا ويعيدوا للاعتقاد الإسلامي - وهو في أوجه وذروة توهجه اعتماداً على القرآن والسنة - نفس ما فعلت اليهودية حين اصطدمت تعاليمها التوراتية المزيفة مع العقل الإغريقي الذي بدا للأحبار اليهود أكثر حكمة ورزانه وتوافقاً .

ولكي تدعم اليهودية حكمتها التوراتية حاولت - خاصة على يد (ارستوبوليس) التوفيق بين ما لليهود وما للإغريق وحسب ما يذكر الدكتور محمد البهي في كتابه (الجانب الإلهي في الفكر الإسلامي) فإن العزة الوطنية اليهودية في توفيقه غلبت عليه فكان نمطه في التوفيق ، إما التزييف بالنسبة إلى الإغريق أو رد فلسفة الإغريق إلى التعاليم الموسوية بمحاولة استنباط آراء الفلاسفة ، وحتى آراء الشعراء اليونانيين من التوراة ، وهكذا بناء على نمطه في التوفيق يجب أن يكون فيثاغورس وسقراط وأفلاطون قد أخذوا جميعاً من التعاليم الموسوية ، ثم يضيف قائلاً : ويروى أن ارستوبوليس هذا أول من وفق بين دين سماوي وبين الفلسفة الإغريقية ، وربما كان أيضاً أول من زيف في نسبة الكتب الفلسفية وربما كان أخيراً أول من رد التعاليم الفلسفية إلى مصدر ديني سماوي .

فالمؤامرة إذن كانت (مؤامرة يهودي - هلينية) مزدوجة أو مشتركة وربما كان المأمون واعياً بها وبخلفياتها وأبعادها وربما لم يحط بها علماً فاليد اليهودية الخفيه كانت تعمل عملها في مجال التآمر المكشوف أو المستور على الوحي الإسلامي بالذات لكي تنتهي هذه اليد الآثمة الملعونة إلى بسط الهيمنة على المسلمين بنقض اعتقادهم وتزييفه وتشويهه ، وبهدم أركانه الأساسية ودعائمه الأولى هدماً لا يستثني العمل فيه بمعول من المعاول وفي مقدمتها : معول العقل الذي هو طبيعة في الإنسان وركيزة في الوجدان وهو

دليل الأدلة إلى الحقيقة ومرشد النفس إلى المنهج وهاديها إلى السبيل السوي وحاديها على الصراط المستقيم ن أ . هـ .

٤- القرامطة :

ومن قلب الدعوة الباطنية ظهرت فرق الزنج والقرامطة .

وكانت أرضيتها متمثلة في كتابات ابن المقفع وإخوان الصفا أما ابن المقفع فقد ترجم الفكر الفارسي الوثني وفي مقدمة ما كتبه لتضليل المسلمين باب برزويه من كتاب كليلة ودمنة حيث سخر من الوحي والنبوة والقيم الإسلامية الأساسية .

ثم جاءت رسائل إخوان الصفا لترسم الصوره الكاملة التي ترمي إلى الدعوة لنشر مبادىء الباطنية (الإسماعيلية إذ ذاك) والعمل على تطبيقها بطرق غاية في اللطف .

قال المسعودي : إن مقر جماعة إخوان الصفا هو مقر الحكومة القرمطية أينما وجدت وهم يحملون منهج الغلاة من الدعاة تحت ستار الدعوة لآل البيت .

ويرى البعض أن الفرق البكتاشية والمولوية والبابية والبهائية هي فروع من القرمطية متأثرة بتلك الرسائل .

كتب بابك الخرمي إلى مازياد :

لو اتبعتني لاستطعنا أن نقضي على الإسلام ونرجع إلى ديننا القديم .

ويرى البعض : أن جماعة إخوان الصفا هي المدماك الذي ارتكزت عليه المعتقدات الباطنية.

وقد أوجدوا فلسفة مختلطة : جمعوها من الفلسفات القديمة الفارسية واليونانية وخلطوها بظواهر من الإسلام .

وقد جددوا فكر المجوس الثنوية (ونبوة زرادشت) فظهرت منهم الخرمية والمزدكية والبابلية واستمرت الحرب معهم عشرون سنة وكل هذه الفرق لا يقرون بصانع ولا معاد

ولا نبوة ولا حلال ولاحرام وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والدرزيه والحاكميه وسائر العبيدين الذين يسمون أنفسهم باطنية .

❁ ❁ ❁

ولقد كانت ثورة الزنج مقدمة لحركة القرامطة .

فقد ادعى (علي بن محمد) النسب العلوي ، لاستغلال ما للشيعة من تأييد وعطف بين الجماهير وادعى أنه المهدي ليصيب وتراً حساساً في نفوس الناس ، وقد أحرق البصرة مع جماعته واعملوا السيف في أهلها واستباحوها ثلاثة أيام ودخلوا (الآبله) فحرقوها وتركوها للريح تعصف بها ، كما اقتحموا (واسط) فنهبوها وأخرجوا أهلها هائمين على وجوههم واحتلوا خلال عشر سنوات منطقة شاسعة من الأهواز وواسط وقد عجزوا خلال ذلك من أن يقيموا مجتمعاً عادلاً كما كانوا يدعون .

وجاء القرامطة على أثرهم بقيادة (حمدان بن الأعث - قرمط) فعاثوا في الأرض فساداً واقتلعوا الحجر الأسود وهددوا الحجيج وقد ثبت أن كلا الحركتين كانت طلائع للباطنية في محاولتهم هدم الدوله الإسلامية في بغداد .

وكانت هزيمتها وفشلها إعلاناً لهزيمة ذلك الفكر الذي حملته رسائل إخوان الصفا وغيرها والتي حاولت أن تهدم به مفهوم أهل السنة والجماعة .

فقد عملوا على الهدم والتدمير وعجزوا عن البناء والتشييد ، ثم جاءت الماركسية والعلمانيون اليوم ليعيدوا إحياء هذه الفرق في دعوة عريضة بأنهم دعاة عدل وحرية وأنهم طلائع الاشتراكية الثورية وفي تبجح غريب بأن هذه الدعوات في الاشتراكية سبقت أوروبا والغرب مع أن هذه الحركات كانت مطارده مرزولة لم يرضى عنها أحد ولو كانت تحمل أي طابع من طوابع العدل أو الحرية لاستطاعت أن تحقق وجودها ولكنها عملت على القتل والتدمير والانتقام وليس هذا طابع الدعوة الإسلامية .

ولقد توالت هذه الفرق وهذه المفاهيم في العصر الحديث وتركزت أساساً في الماسونية التي أنشأها اليهود لهدم الأديان وللسيطرة على العالم ومنها تولدت : الروتاري والليونز وسائر الفرق الأخرى .

واستطاع النفوذ الأجنبي أن ينشىء في قلب الأمة الإسلامية فرقتين ضالتين : إحداهما في الهند والأخرى في إيران هما : القاديانية - والبهائية .

كما أقام النظام الرأسمالي الليبرالي في الغرب ومن قبله إنشق النظام الشيوعي أو الاشتراكي ، وفي الغرب ظهرت الوجوديه وفرق كثيرة على أساس الفلسفة المادية ، كما ظهرت مفاهيم البوذية واليوجا وغيرها في مناطق آسيا .

وأصبح العالم كله يعج بالفرق الضالة في محاولة لاحتواء المسلمين وللتركيز على بقاء المادية والوثنية .

ثانياً : البهائية والقاديانية

أخرج النفوذ الأجنبي نحلتان خطيرتان : البهائية في إيران والقاديانية في الهند في محاولة لأن يقيم كل منهما نفسه على أنه دين جديد فضلاً عن أن غلام أحمد القادياني قدم نفسه على أنه نبي .

أما في إيران فقد بدأت المؤامرة بالبهائية التي تنبأ صاحبها بظهور نبي من بعده هو البهاء.

أعلنت البهائية أن جميع الديانات جاءت مقدمة لظهوره وأنها ناقصة ولا يكملها إلا دينه وأنه هو المتصف بصفات الله وهو مصدر أفعال الله وأن اسم الله الأعظم هو اسم له وأنه هو المعني برب العالمين وكما نسخ الإسلام الأديان التي سبقته تنسخ البهائية الإسلام وقد قام الباب وأتباعه بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية في الغرابة بهدف جعلها موافقة لدعوته الخبيثة وأن له السلطة في تغيير أحكام الشرائع الإلهية وأتى بعادات مبتدعة.

وقد تبين لعلماء المسلمين بشهادة النصوص الثانية عن عقيدة البهائيين تهديمها للإسلام ولا سيما قيامها على أساس الوثنية البشرية في دعوة ألوهية البهاء وسلطته في تغيير الشريعة الإسلامية وقد قررت المجامع الإسلامية (وفي مقدمتها المجمع الفقهي والأزهر الشريف) بإجماع الآراء خروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام واعتبارهما حرباً عليه وكفر أتباعهما كفراً واضحاً سافراً لا تأويل فيه كما حذرت هذه المجامع المسلمين في جميع بقاع الأرض من خطرهما وخاصة بعد أن ثبت مؤازرة الدول الاستعمارية لهما لتمزيق جامعه الإسلام والمسلمين .

ومن دعاوي البهائية :

١- الحلول - بمعنى أن الله ظهر في شخص الباب .

٢- قدم العالم .

٣- عدم الاعتراف بيوم القيامة .

٤- إنكار معجزات الأنبياء وذلك مع قولهم بإمكان النبوة .

٥- إدعاء الوحي ووضع كتب تعارض القرآن زاعمين أنها من وحي من الله .

٦- إنكار ختم النبوة بمحمد ﷺ .

٧- قولهم بظهور المهدي المنتظر ووصفه بالمعصوم .

٨- إسرافهم في تأويل آيات القرآن .

٩- تقديسهم للعدد ١٩ لأنه حاصل من جمع كلمة واحد أو كلمة وجود فالسنة عندهم ١٩ شهراً وكل شهر ١٩ يوماً والصوم ١٩ يوماً .

١٠- إبطال الحج إلى الكعبة المشرفة .

(هذا والمعروف أن فرقة الإسماعيلية تقدس رقم ١٩ وعندها أن السنة ١٩ شهراً وكانت الصهيونية قد تواطأت مع عبد البهاء أن تعطيه ديناً وتنبأت بأن الحروف عندها (لعبة الحروف) أن يبعث نبي جديد في القرن التاسع عشر هو البهاء يمسخ الإسلام فاعطته هذا الدين ودست عليه فاسمي بالكتاب الأقدس والعدد ١٩ المرتبط بالقرن التاسع عشر.

وقد بدأ البهائيون نشاطهم من أكثر من خمسة وسبعين عاماً بدعوتهم إلى توحيد الأديان ، وقد إتسع نفوذها في الخمسينات حتى أن بعض الولايات الأمريكية اعترفت بالبهائية كأحد الأديان الرئيسية في العالم حيث أن أمريكا تمنح الحرية للأديان التي تفصل بين الدين والحياة الاجتماعية وبين الدين والسياسة .

والمعروف أن الصهيونية تختص الدعوة البهائية وتروج لها في فلسطين المحتلة وتجعل من عكا مركزاً لها ومقاماً للبهاء وأتباعه وقبلة في صلواتهم ومزاراً لحجهم .

وقد اتخذت البهائية صوراً وأشكالاص لتكيف نفسها مع الأديان الأخرى فهي تتزي بزي الإسلام مع المسلمين وترتدي مسوح الرهبان مع المسيحيين وتوافق اليهود في دعاويهم الكاذبة وتتخذ من عقيدة (وحدة الأديان) قنطرة لتصل إلى أهدافها الإلحادية

حتى لا يبقى على الأرض من يقول لا إله إلا الله ولقد ادعى البهاء أنه نبي وأن موسى بالنسبة له كهارون من موسى ثم ادعى أن عيسى له بمثابة يحيى من عيسى ثم أخيراً رفع نفسه فزعم أنه إله وأنه رب .

ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي :

ما من دعوة قامت لهدم الدين وإلغاء قوانين الأخلاق والآداب إلا وكانت الإباحية الجنسية أقوى وسائلها وأمضى أسلحتها في إغواء الشباب واصطيادهم خاصة في المجتمع الفارسي الذي كان موطناً خصيباً للدعوات الإباحية منذ أقدم عصور الحضارة وهذا الانسلاخ الذي استخدمته كافة الحركات الهدامة ، أجادت الحركة البابية استخدامه بمهارة عن طريق امرأة رائعة الجمال طاغية الأنوثه لها قدرة عجيبة على التأثير في الرجال (قرة العين) هجرت أسرتها واشتغلت بالأفكار الباطنية ثم تركت موطنها قزوين ورحلت إلى كربلاء في انتظار ظهور (الموعود) حسب الخطة التي رسمت فلما أعلن البابيون ظهور الميرزا علي محمد الشيرازي أمنت به وقامت على نشر تعاليمه فهاجمت نظام الأسرة في الإسلام وانتقدت تعدد الزواج والطلاق وقالت (لكل امرأة تسعة رجال).

ويقول الدكتور محسن عبد الحميد :

وكان لابد للبابيين وهم يقومون بأكبر عملية هدم بإيران المسلمة في العصر الحديث أن يلجأوا إلى الإباحية الجنسية في التمكين لدعوتهم أولاً وتطبيق خطة المستعمرين في مقاومة الإسلام من الناحية البهيمية ثانياً فالمستعمرين عرفوا أنهم لم يقروا على مجابة الإسلام بالمنطق وأسساليب الفكر المختلفة بقدر مقاومتهم له من هذه الناحية الحساسة التي تتصل بغريزة طاغية إذا ما أطلقت وتحررت من ضوابط الشريعة الإلهية فإنها ستدمر كل شيء أمامها فقامت قرة العين بهذا الدور الخطير في إفساد العواطف وإلغاء العقول ودعوة البابيين بقوة وجرأة إلى الإباحية الجنسية تحت ستار تخليص المرأة الإيرانية من أوضاعها

الفاسدة التي كانت تعيش فيها وهي التي أعلنت في مؤتمر (بدشت) المشهور أن الشريعة الإسلامية نسخت .

واختفت البابية بعد إعدام الشيرازي : ثم ظهرت من جديد بقيادة جديدة في مكان جديد في شخص البهاء ، الذي هو أعظم الباب وفي عكا أخذ بهاء يعلن مذهبه في الشرك معارضاً القرآن الكريم وألف كتاب (الأقدس) وزعم أن كل ما اشتمل عليه موحى به ، وأنه قديم يقدم الذات العلية واعتبر أن ما يدعوا إليه (ديانة جديدة) .

❁ ❁ ❁

وبالجمله فإن الدعوة البهائية ، هي واحدة من نتاج الماسونية لحساب الصهيونية ولضرب المسيحيه والإسلام ولتجميع سائر الأديان تحت عباتها وفي حضانة الصهيونية أنشأت محافلها العديدة في أمريكا وروسيا وانجلترا .

وهي ما تزال حتى اليوم تصارع الإسلام ولكنها لم تعد قادرة على كسب أي مكانة لها بعد أن تكشف فساد وجهتها ، وزيف دعواها .

❁ ❁ ❁

وقد سارت القاديانية التي ظهرت في الهند على نفس النمط في مراحل الداعي (غلام أحمد القادياني) مصلحاً ثم نبياً ثم إلهاً .

وقد أراد الاستعمار البريطاني بها إخضاع المسلمين إلى مفهوم جديد يهدم به مفهوم الإسلام وخاصة في قضية من كبرى قضاياه وهي فريضة الجهاد فكانت دعوى القادياني تركز على هدم هذا المفهوم كأنما قد جاءت من أجله هو وحده .

قال الدكتور عبد المجيد وافي :

١- اتخذوا مسجد الضرار في أنحاء أوروبا وأمريكا تحت شعار الإسلام ليبثوا في الناس سموم فكرهم .

٢- إنكار ختم النبوة والرسالات بمحمد ﷺ .

٣- إنكار فريضة الجهاد (بل إنها تعد المجاهد بالسيف مارقاً) .

٤- تحريف الكلم عن مواضعه وتفسير آيات القرآن على غير وجهها تأييداً لدعواهم .

٥- إضافة مناسك زيارة قاديان ومسجد الغلام إلى زيارة البيت الحرام ومناسك الحج وبطلان المناسك إذا لم يحج الناس إلى قاديان .

٦- تحالفهم مع اليهودية والبهائية في حرب الدعاة المسلمين المخلصين على مستوى العالم الإسلامي .

٧- احتلوا كثيراً من كراسي الدراسات الإسلامية في الجامعات الأوروبية وبذلك تصبح آرائهم مراجع ومصادر للدعوة إلى الإسلام .

❁ ❁ ❁

ومن أخطر دعاواهم : بعد إلغاء فريضة الجهاد ، القول بأن النبي محمد ﷺ ليس خاتم المرسلين ، والاعتقاد بالتناسخ والقول بأن لهم كعبة أخرى في قاديان .

ولما إنتاش دعوتهم الضالة السهام وهلك القايديـاني أعملوا الرأي بالمكر والخديعة لإنشاء مذهب الأحمدية ، وقد تخففوا فيه قليلاً من دعاوي الألوية والنبوة وتراجعوا إلى دعوى الإصلاح .

وبالرغم من أن القاديانية انقسمت إلى فرقتين فرقة تقول بنبوته وفرقة تقول بولايته فإن للفرقتين مآرب سياسية خطيرة وليست من فرق المسلمين وقد وسع لها النفوذ الأجنبي الميدان في الهند وفي أفريقيا .

وكذب لورنس براون في كتابه (طوالع الإسلام) حتى ادعى أن القاديانية والبهائية حركتان من حركات التجديد في الإسلام وانخدع بمقولته أحد كبار الكتاب فوضعوهما في صف دعوة التوحيد التي قادها الإمام محمد بن عبد الوهاب .

والمعروف أن الشعب الباكستاني قد ثار على القاديانية عام ١٩٧٤ وقررت حكومة الباكستان أن القاديانية أقلية غير إسلامية وتم تعديل الدستور الباكستاني لينص على ذلك.

ولما واجههم الباكستانيون واستطاعوا الحد من تأثيرهم ساعدهم النفوذ الأجنبي للانتشار خارج الباكستان وخاصة في أفريقيا وأوروبا حيث استطاعت القاديانية أن تخدع أعداداً كثيرة ، بل إن في أفريقيا اليوم (ستة مجلات) أسبوعية وشهرية تصدر في عدة دول أفريقية تدعو للقاديانية والاعتراف بأن ميزرا غلام أحمد القاديان نبي ورسول .

وفي أوروبا تساعدهم مؤسسات التنصير واليهود في الترويج لأفكارهم وتسهل لهم الحصول على المراكز الرسمية .

ويعد مركز القاديانية في حيفا بفلسطين المحتلة وكراً للتجسس في البلاد العربية من خلال القاديانيين الذين يعملون في الدول العربية وقد بنى القاديانيون في غانا (٢٢مركزاً) و١٦٥ مسجداً كما بنوا في نيجريا ٢٢ مسجداً وفي سيراليون ٤٤ مسجداً وفي كينيا ٤ مساجد وتنزانيا أحد عشر مسجداً وفي أوغندا ٩ مساجد وفي أندونيسيا ٧٠ مسجدا خلاف المراكز الثقافية وكلها من مساجد الضرار .

❁ ❁ ❁

وما يزال خطر القاديانية ماثلاً في العالم الإسلامي وممتداً وفي حاجة إلى مقاومة ووعي كبير .

❁ ❁ ❁

الفصل السادس

صراع المناهج الوافدة ووجوه الخلاف بينها وبين الإسلام

أولاً : العلمانية

ثانياً : التطور ونظرية دارون

ثالثاً : الفرويدية

رابعاً : الوجودية

حاول النفوذ الغربي منذ وقت طويل :

١- إخراج المسلمين من منهجهم الإسلامي الرباني القرآن بالتشكيك وإثارة الشبهات والتحريف والتأويل .

٢- وإدخال المسلمين في المناهج الوافدة واحتواء المسلمين داخلها وذلك عن طريق طرح مناهج غربية (صادرة عن الفلسفة المادية والفكر الوثني والإباحي) لتحل محل النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية وأخطر ما أحيط بالأمة الإسلامية :

مناهج العلمانية وما تفرع منها من النظام الرأسمالي والليبرالي والداروينية والفرويدية والوجودية .

ثم جاءت الموجه الثانية تحمل اسم الشيوعية والاشتراكية ، ثم جاءت العلمانية والرأسمالية مع الاستعمار الغربي الذي سيطر على الأمة الإسلامية وعمل على حجب شريعتها الإسلامية ونظامها الاقتصادي والقانوني والتعليمي والاجتماعي وطرح مفاهيم النظام الغربي القائم على الفصل بين الدين والدولة وبين الأخلاق والمجتمع .

واستشرت مفاهيم الداروينية التي تقول بالتطور المطلق وبإعلاء القوى وقتل الضعيف .

ثم سيطرت الصهيونية في فترة الاحتلال الغربي على رأس جسر في فلسطين وكانت تتمثل في مناهج ثقافية واجتماعية قبل أن يرجف النفوذ الشيوعي على البلاد الإسلامية .

ومن ثم دخلت الأمة الإسلامية في صراع ضخم من خلال القوى الثلاث : الاستعمار الذي تحول إلى نفوذ اقتصادي وثقافي واجتماعي من خلال مناهج التعليم والثقافة والصحافة - والماركسية والصهيونية وكل منها ترمي إلى هدم مقوم من مقومات النظام الإسلامي .

ولقد واجهت حركة اليقظة الإسلامية هذا الخطر ودخلت في صراع مع هذه المناهج الوافدة من خلال الاستشراق والتبشير في سبيل العمل على تغريب الإسلام والأمة الإسلامية وإزالة طابعها المميز وروحها القرآنية وكيانها الإسلامي الأصيل .

وكانت معركة ضخمة دافعت فيها الثقافة الإسلامية عن وجودها بكل ما تملك من قوة وكشفت زيف المناهج الوافدة وفسادها وعجزها عن العطاء .

فقد عمد النفوذ الغربي على الحملة على الدولة الإسلامية وعلى الخلافة الإسلامية وعلى الشريعة الإسلامية من أجل هدم وحدة الأمة الإسلامية وإعلاء شأن الوطنية والقومية والشعوبية ، وإحلال القوانين الوضعية بديلاً للشريعة الإسلامية التي جمدها النفوذ الأجنبي المسيطر والعمل على إقناع المسلمين بالباطل أنهم لم يقدموا شيئاً ذا بال - إلا ترجمة الفلسفة اليونانية ، وإنكار دورهم الحاسم الخطير في نباء المنهج العلمي والتجريبي الذي استمد مفاهيمه من القرآن الكريم والقائم على عنصري الملاحظة الموضوعية للحوادث والأشياء والتجريب وأن هذا المنهج الإسلامي القرآني هو المصدر الذي أخرج أوروبا والغرب من الخرافة والأساطير ومن ثم اعتمد العالم كله الملاحظة الموضوعية والتجريب سبيلاً إلى اكتساب المعلومات واكتشاف القوانين الوضعية .

ويرجع الخلاف العميق بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي إلى إيمان الغرب بـ :

١- التطور المطلق .

٢- النسبية .

٣- فصل الدين عن الدولة .

٤- إنكار ثبات الأخلاق .

٥- الفصل بين المنهج والتطبيق .

٦- إقامة القاعدة الأساسية للمعرفة على المصدر الوحيد المحسوس وأن العقل هو الأداة الوحيدة .

وبذلك تكون المعرفة ناقصة لأنها تتجاهل عالم الغيب وتنكر تكامل الروح والمادة ، وتنكر أن مصدر المعرفة هو العلم الذي أنزل الله به رسله وكتبه .

ويمكن تلخيص وجوه الاختلاف بين الإسلام والفكر الغربي بشقيه في النقاط التالية :

أولاً : الانشطارية والنظرة الجـــزئية المنفصلة والإيمان بالتخصص الـذي تتجاهل تماماً باقي التصورات وحيث يســـتقل كل تصور بنفسه على أنه هو التصور الوحيد . (علماء النفس ، علماء الاجتماع) ، بينما يعطي الإسلام مفهوم التكامل الجامع بين القيم .

ثانياً : القاعدة المادية الأساسية القائمـة على المصـدر الواحـد وهـو المحسـوس والـذي تتحرك في دائرة العقل وحده .

ثالثاً : النظرة إلى الإنسان على أنه خاضع لغريزتي البطن والفرج ، وعدم تصور جوانبـه المعنوية والروحية وقدرته على تقديم نفسه فداء لفكرة عليا (كالجهاد في سبيل الله مثـلاً) وأنه لا يمثل الفردية بل هو داخل ضمن إطار التصور الجماعي وليست له مسئولية فردية .

رابعاً : النسبية في الأخلاق واعتبار تغير العصـور والبيئـات ممـا يقضـي بتغير الأخـلاق والعادات والتقاليد .

خامساً : التطور الدائم الذي يؤمن بأن كل عصر هو خير من العصر السابق له .

سادساً : أن الأديان كانت مرحلة من مراحل المجتمعـات وقـد انتهـت بعـد ان أصبـح العلم الآن هو الذي يرسم للبشرية طريقها .

سابعاً : أن التاريخ هو تـاريخ أوروبـا وأن الحضـارة هـي حضـارة الغـرب وأن الجنـس الأبيض وهو صانع الحضارة وأنه لا يغلب وأن الشعوب الملونه وما تملـك في خدمـة هـذا الجنس وقد واجه الإسلام هذه المفاهيم المغلوطة جميعاً وكشف زيفها وأكد فساد الوجهة في هـذه النظريـات التـي اعتنقهـا الغـرب كأنهـا مسـلمات ومفـاهيم حـــقيقيه وقـد بـدأ الانحـــراف منذ أن فصل الفكر الغربي بين المـادة والـروح ، ثـم بـين النظريـة والتطبيـق ومنذ أطلق العنان لتصوره المادي وابتعد عن الدين المنزل بالهداية والتوجيه .

أولاً : حيث فصل ديكارت الأشياء المادية عن الأشياء الروحية فأصبحت مظاهر العقل بعد هذا التفريق هما لايمكن تفسيره وهذا بناء الجسم وطريقة قيامه لوظائفه المختلفة في نظرهم أشد ثبوتاً من الفكرة والنشوة والحزن والجمال ، هذا الخطأ حوّل الحضارة إلى الطريق التي أفضت إلى انتصار العلم وانحطاط الإنسان وأن منقذي العالم يجب أن يتوافروا على دراسة الإنسان من ناحيته الكمية والنوعية معاً حيث يجعل الإسلام منهجه جامعاً بين الوسائل والغايات .

ثانياً : التطور وذهابه إلى أبعد الغايات في إطلاقه دون تقدير للثوابت وهي النظرية التي بدأت بمفهوم دارون ثم انطلقت لتصبح نظرية اجتماعية عامة ، ترى أن الحاضر أكثر من الماضي تقدماً وأن التغيير يسير إلى الأمام دائماً وهي نظرية كذبها الواقع وكذبها التاريخ إذ إن كل تطور ليس تقدماً في الحقيقة .

وقد قام مفهوم الإسلام على الجمع بين الثوابت والمتغيرات والربط بين المنهج والتطبيق والتكامل بين الوسائل والغايات .

كما قرر الإسلام أن هناك ثوابت أساسية وعناصر متغيرة تتحرك في دائرة المقررات الأصلية فالثابت هو الحدود والضوابط التي قررها الإسلام حين حرم الربا والزنا وفرض العبادات والزكاة والمسئولية الفردية .

ومن هنا فإن الإسلام يضع ميزاناً كفيلاً بضبط الحركة في نقطتين :

الأول : أن لا يجمد ما من شأنه التغيير والتطور والحركة فإن هذا يصيب الحياة بالعقم ، وقد حدث هذا الجمود في عصور التأخر لوقف الاجتهاد في الفقه والابداع في العلم والأصالة في الأدب والابتكاري في الصناعة .

ثانياً : أن لا يخضع للتطور والتغير ما من شأنه الثبات والدوام والاستقرار ، ومن الخطأ إخضاع الدين للحياة العصرية والصحيح أن تخضع الحياة العصرية للدين .

وهكذا يجمع الإسلام بين الثبات والمرونه فالإسلام يقـر الموقـف الوسـط بـين المحافظـة والتجدد والتغير الحقيقي هو التغير إلى الأحسن والتغير يجـب أن يتغـير إلى أعمـاق النفـس فيغيرها .

(أن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) ، ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يقرر استحالة التركيب بين الإسلام والعناصر الأخرى ، وأن كـل محاولـة تشـكيل خليـط مـن الإسلام والقومية أو الإسلام والماركسية ، أو الإسلام والليبرالية هي محاولة باطلة وفاسـدة ومستحيلة ذلك لأن الإسلام يستحيل على الـتركيب والخلـط وأن كـل المحـاولات التـي تسمى (توفيقية) هي محاولات باطلة إذا كانت ترمي إلى إدخال عناصر تتفق مع التوحيد الخالص وأن الإسلام كالجسم الحي يرفض العنصر الغريب .

ويقرر الإسلام الترابط بين القيم (بين النظرية والتطبيق) من حيـث هـو يقـرر تكـامل المنهج ، ومن الخطأ طرح الإسلام كمجـرد مبـادىء مجـردة فالإسـلام منهـج لبنـاء الفـرد المسلم أساساً فبناء المجتمع المسلم فالانتصار على النفس مقدمة للانتصار في كل المعارك .

فدعوة الإسلام إلى التغيير تتم في إطار الثبات كما يتم التنوع في إطار الوحده .

وهذا مع (تكامل القيم والربط بين المنهج والتطبيق) هو مـا يختلـف فيـه الإسـلام عـن الفكر الغربي فقد ربط الإسلام بين المادي والمعنوي من ناحية والإلهي والبشري من ناحية أخرى كما ربط بين الدنيا والآخرة .

وفي الإسلام لا تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملي للنـاس حيـث دعـا الإسـلام إلى الجمع بين الثوابت والمتغيرات والترابط بين العقيدة والأخلاق .

فكل قيمة في الإسلام لها جانبان :مادي ومعنوي .

والمعرفة تتم بالعقل والوجدان ، بالعقل نميز وبالوجدان تستشف الحقائق العليا ، والعقل يهتدي بنور الوحي الكريم .

والنظرة الإسلامية تقوم على اقتناع العقل وتصديق القلب ، فالإسلام عقل وقلب وتفكير وعاطفة وإلغاء أحدهما خروج على الفطرة ومضاد لطبيعة الأشياء .

ويجمع الإنسان بين الحس والفهم : الحس عن طريق المؤثرات الخارجية والفهم عن طريق العقل .

والقلب والعقل في تقدير علماء المسلمين شيء واحد وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن العقل لدى الإنسان مركزة القلب وليس الدماغ وقد ورد فعل (يعقل) أثنين وثلاثين مرة في القرآن في الوقت الذي لم يرد فيه لفظ العقل ولا مرة واحدة ويقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ﴿ **لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ .

❁ ❁ ❁

علينا أن نفهم القانون الأساسي للحركة والتطور وهو قانون ترابط بين عنصر الثبات وعنصر الحركة ، بين القيم الموروثة والقيم المكتسبة ، بين الثبات والتغير .

ولذلك فإن علينا أن نحدّ من ارتفاع صيحة التغيير المندفعة التي تحاول القضاء على الجوهر الثابت أو اتهام هذا الثبات بالجمود والمحافظة ولابد من الحرص على الجوهر القائم الدائم.

بالعقل نميز وبالوجدان نهتدي ونستشف المعاني الغالبة وبهذا التكامل بين العقل والوجدان نحول دون انحراف الفطرة الإنسانية .

كذلك فإن علينا أن نحقق الموائمة بين روح الأمة وروح العصر بدون إذابة الشخصية أو تضييعها .

وعلينا إيجاد صيغة التغيير الملائمة لشخصيتنا وعصرنا دون أن نفقد الثوابت من العقيدة والأخلاق .

أولاً : العلمانية :

من أخطر الدعوات التي طرحت في أفق الفكر الإسلامي في العصر الحديث : قضية العلمانية التي لم تكن في الأساس قضية إسلامية وإنما هي قضية غربية خالصة تتعلق بالمسيحية والكنيسة والخلاف الذي وقع بين العلماء ورجال اللاهوت .

يقول الدكتور فؤاد عبد السلام : أنها ظهرت في الغرب كنتيجة حتمية للصراع المرير بين الكنيسة والدولة ، أي بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية وانتصار الأخيرة في النهاية وقد ظهرت العلمانية كرد فعل عنيف لعهود محاكم التفتيش والاضطهاد الديني من جانب الكنيسة ومطاردة الهراطقة وهم كل من يخالف رأي الكنيسة والتسلط على رقاب العباد بصكوك الغفران وعقوبة الحرمان الفردي والحرمان الجماعي .

وقد ارتبط بالعلمانية وأصبح من أساسيات الفكر العلماني أمران خطيران :

الأول : حرية الاعتقاد ، أي حق الفرد في اعتناق مايشاء من عقائد وأفكار .

والثاني : الفصل بين الدين والسياسة .

ولقد كان الفصل بين الدين والسياسة تحت عباءة الفكرالعلماني إنما يعني الفصل المطلق والتام ، بمعنى أن رجل السياسة والنظام الحاكم في الدولة العلمانية له أن يصدر ما يشاء من القرارات في جميع الشئون التشريعية والعقائدية دون شرط ودون أدنى اعتبار لما اتفقت عليه جميع الأديان في مسألة الحلال والحرام .

وإنما القيد الوحيد على قرارات السلطة السياسية في ذلك هو موافقة أغلبية الشعب .

ولقد ترتب على ذلك أن أصبح من حق المواطن اليوم في أكبر بلاد الغرب المسيحي ممارسة الزنا بالتراضي بين البالغين أو شرب الخمر دون التعرض لأي أذى أو عقوبة وكذلك لعب الميسر والقمار والتعامل بالربا والتردد على نوادي العراة وأصبح البغاء مهنة تحميها الدولة وتكسب من وراءها وألغيت عقوبة الإعدام في بعض البلدان وأصبح من الحقوق المصرح بها : حق الاجهاض وحق ممارسة الشذوذ الجنسي .

وخلاصة القول أن المسلم الذي يدرك البديهيات في أمر دينه لا يمكن أن يكون علمانياً أو يطالب بنظام علماني لأن العلمانية تعني اللادينية بمعنى تحرر الفكر والإرادة الشعبية من كل قيود كنسية أودينية .

❁ ❁ ❁

ويرى كثيرون أن العلمانية هي الطاعون الأكبر الذي رمي به العالم الإسلامي في فترة وعيه الجديد مما أضعف فاعلية الوعي وأوجد لـه متناقضات حيث صب في أفق العالم الإسلامي أدواء التمدن الغربي من معاقرة الخمر والمواد الإباحية بمختلف أشكالها .

وتوضع العلمانية في مواجهة مفهوم الإسلام السياسي : أن الإسلام دين ودولة ، وكان القوميون والوطنيون قد قبلوا بالعلمانية والأفكار الغربية رغم أنهم سياسياً كانوا يحاربون الغرب بل اعتبرمصطفى كمال أتاتورك بطلاً قومياً أسطورياً وهو الذي ألغى الحروف العربية والخلافة وألغى مفهوم الإسلام السياسي وكل محاولات دعاة العلمانية ترمي إلى تدعيم مقولة أن الإسلام ليس دين ودولة .

ولقد كان لقبول أفكار دارون وفرويد وماركس ، وقبول التيارات القومية والوطنية عاملاً في إزاحة الفكرة الإسلامية واستبدالها بمفاهيم غربية تماماً وقد ثبت أن القومية والوطنية أضعف من أن تقاوم الغزو الغربي سواء كان عسكرياً أم فكرياً.

ويعد أتاتورك أول من طبق العلمانية في أرض الإسلام حين بدل النظم الإسلامية التي كانت سائدة إذ ذاك فنادى بأن تركيا دولة علمانية وألغى المنهج الديني في التعليم وتابع مواريث الإسلام الخلقية بالمحو والإذالة (الحجاب – الآذان بالعربية – الاختلاط بين الجنسين) وأقام نوادي الليونز والروتاري .

وقد جرى ذلك بدعوة أن التقدم مرتبط بالمبدأ العلماني ، مع أن هناك فارقاً بين العلمانية والعلم ، فالعلمانية تدعو إلى الإلحاد والعلم يدعو إلى الإيمان وإنما يرجع التقدم الحضاري في تركيا إلى مساعدة الغرب لها مساعدة غير مشروطة لاستمرارها في التمرد على عقيدة الإسلام .

❁ ❁ ❁

ويرجع الباحثون قضية العلمانية إلى عصر التنوير الذي بدأت فيه الدعوة إلى الإلحاد ومكافحة العقيدة الدينية (أي باعتبارها تفسيرا للكون لم نثبت علميته) .

وقد ظهر الفلاسفة العلمانيون (قادة التنوير) الذين تأثروا بالمحفل الماسوني وبدأت الدعوة إلى التخلص من نظام الكنيسة من أجل ممارسة الدولة لنظامها .

ديدرو ، هوبز ، ثم روسو ، واتجهوا إلى التخلص من قيود الدين وإبعاده عن المناهج في محاولة للقول بأن الدين متعلق بالفرد نفسه وليس بالمدرسة وأن الدين في المدارس ضد طبيعة الأطفال والطفل يجب أن يمكن من هواياته الفطرية ولايقحم في متاهات الدين .

واتسع نطاق الفلسفة المادية في الدعوة إلى العلمانية (نيتشه - فيرباخ - هيجل - كارل ماركس) حيث حيث قال إن المادية هي بداية ونهاية العالم وأن أتباع الدين شقاء وسلب لفكر الإنسان وأن فكرة الدين خدعة قام بها الرأسماليون لخداع الطبقة الكادحة في الأرض وأن الأخلاق هي المنفعة .

وبذلك تواصلت الحملة على الدين من جناحي الليبرالية والشيوعية معاً فالدين أمر شخصي ، والدولة لا علاقة لها بالدين ، وهدم الدين مقدمة ضرورية نحو عالم أفضل يكون فيه الإنسان سيد نفسه وعملت العلمانية في كلا المنهجين الرأسمالية في الغرب والاشتراكية في الشرق وقالوا إن الكنيسة تمنح بركة الاستبداد عن طريق الحق الإلهي ولذلك يرون الدين اختراعاً ابتدعه الطغاة حتى يقول (دولباخ) في كتاب (المسيحية من غير ستار) إن الدين هو فن إسكار الناس بالحماسة لمنعهم من الاهتمام بالمصائب التي أنزلها بهم أولئك الذي يحكمونهم .

أما المفهوم الماركسي للعلمانية فيتمثل في كونه قمة الإلحاد التام حيث الكفاح ضد معتنقي الأديان أساساً .

يقول ماركس : إن الفلسفة حين تتبنى شعار (برومثيوس) أنا ضد كل الآلهة تعمم هذا الشعار على كل أرباب السماء والأرض الذين ينكرون على الوعي البشري أن يكون الإله الأعلى به فهي تأبى أن يكون لها منافس .

فالماركسية تعتبر الأديان انعكاساً لشقاء فعلي واحتجاجاً على هذا الشقاء في نفس الوقت.

ومن ذلك مقولة (الدين أفيون الشعوب) وأن الدين في كل زمان ومكان يصرف الإنسان عن العمل والكفاح .

وهذا كله يتناقض مع الواقع التاريخي ومع الاحتياح الشديد للاشتراكية في العالم اليوم وسقوطها .

وقد طرحت الدعوة إلى العلمانية في محيط الأمة الإسلامية لمواجهة الإسلام أساساً فأتباع هذا النظام يحاولون إقناع الناس أن التخلص من الأديان دعوة إلى العدالة الاجتماعية وتذويب الفوارق ولقد دأبت الماسونية (صاحبة الأبوة الأساسية للعلمانية) أن تدخلها في مختلف المذاهب المطروحة على الساحة ولم تقف عند الرأسمالية والماركسية بل امتدت إلى الفرويدية والوجودية والقاديانية والبهائية بمفهوم الهدف الأساسي وهو هدم الأديان .

وهي أيضاً تؤمن بتقليل البشر وضد التكاثر العددي في الأمة الإسلامية ، فهي تخاف إخصاب نسل المسلمين وتراه يهدد أوروبا ولا ريب أن اعتناق العلمانية محو لكل الأديان السماوية ماعدا اليهودية واليهود لهم عقيدتان : عقيدة خفية لا تظهر على الجمهور وعقيدة ظاهرة على الناس من أجل أن لا يبقى على الأرض من الأديان إلا دين اليهود .

ولقد استطاعت الأصالة الإسلامية أن تصحح موقف المؤرخين من العلمانية حيث أعلن المستشار طارق البشري ما يسميه سقوط المنهج العلماني في تفسير تاريخ مصر .



ويقرر الأستاذ فتحي رضوان أن (العلمانية) تعبير غربي سببه تطور خاص بأوروبا الغربية أدت إليه حروب الإصلاح الديني بعد انقسام الكنيسة إلى شعبتين : شعبة قديمة هي الكاثوليكية وشعبة طارئة محددة ومنفصلة هي البروتستانتيه التي قامت بزعامة مارتن لوثر الذي وجه إلى البابا ليو العاشر خطاباً يحتج على انحرافات الكنيسة فلما لم يجد آذاناً صاغية وجه خطاباً ثانياً قال فيه إن الكنيسة الرومانية بعد أن كانت أقدس الأقداس أصبحت أقذر أوكار اللصوص وأشد المواخير احتراءاً وافتضاحاً ومملكة الألم والموت والجحيم ، وكان ذلك عام ١٥٧١ .

ولكن صرخة الاحتجاج التي انبعثت من صدر الكاهن أو القسيس الألماني والتي تردد صداها في العالم المسيحي قسمت الكنيسة إلى معسكرين واستمرت بينهما المعارك والحروب وفي ظل هذا الانقسام استباحت الكنيسة الكاثوليكية مطاردة الخارجين عليها وبسطت نفوذها على المدارس والمعاهد والمطابع والصحف والكتب وعانى من ذلك كله الرأي الحر واختنقت الأفكار وكبلت الأقلام وعقلت الألسنة وأصبح الإنسان معرضاً لأن يفتش في قلبه وفي عقله عن أفكاره التي يطويها فيها ويخفيها عن الناس ، هذا كله دعا المفكرين الأحرار إلى التمرد على السلطة ورفض تلك الرقابة وأن يكون للكنيسة حدوداً تقف عندها .

فالمدارس والجامعات يجب أن تبعد تماماً عن سلطة الكنيسة كما يجب علىالدولة أن تكف عن ممارسة أي نشاط ديني وحملة هذا الاتجاه هو العلمانيون فالعلمانية هي رد فعل للإرهاب الديني ولتدخل الكنيسة في شئون الفكر والبحث العلمي وتربية الأطفال والشبان وتنشئتهم .

ولما كان الإسلام لم يعرف في حياته منذ بعث محمد ﷺ (٥٧٠ ميلادية) بدين الإسلام حتى اليوم كهنوتاً ولا باباوية ولا سلطلة دينية تصدع عقول الناس وتشكل أفكارهم وتبحث في قلوبهم وعقولهم عن طريق آرائهم وتصوراتهم فقد استحال أن

تنشأ في بلاد الإسلام علمانية ولكن المبشرين وبعض المسلمين الذين تعلموا في أوروبا اعتبروا العلمانية سبيل التقدم وضمان الحضارة في بلاد المسلمين ، كما أنها كذلك في بلاد المسيحيين فقد بشروا بهذه العلمانية في بلادنا بعرض آخر هو أن يفرضوا حصاراً على الإسلام لينشأ الطفل المسلم بعيداً عن روح الإسلام ورعايته ولقد حقق الإسلام ما سعت إليه علمانية أوروبا بأحسن السبل ووصل إلى أفضل الغايات فالوالي بحكم دينه عليه أن يوفر لغير المسلمين من مسيحيين ويهود من أصحاب الأديان السماوية أن يعبدوا ربهم بالطريق الذي يختارونه بلا قهر ولا قسر في المعابد التي يقيمونها بملء حريتهم وأن يقرعوا أجراسهم ويطبعوا كتبهم ومؤلفاتهم ويشرحون فيها عقائدهم ويربون أولادهم وينشئونهم على الحرية على الوجه الذي يطلب لهم ومن ثم فإن علمانية الغسلام إن جاز لنا أن نقول ذلك تحقق الحرية لجميع أصحاب الأديان .

ولم يذكر المؤخون عن أن ولاة المسلمين حرموا بحثاً في العلم ولا رأياً في الدين ولا طريقة في التماس المعرفة فلم تقم للمسلمين في دولتهم القديمة أو الحديثة حاجة إلى هذه العلمانية أو الدعوة إليها أو التحدث عنها وقد نص دستور ١٩٢٣ صراحة على ما يتحدى العلمانية وينكرها تماماً ، إذ نص على أن الإسلام هو دين الدولة في حين أن الدولة العلمانية لا دين لها ولا مذهب .



وهكذا نرى أن الإسلام في عصر يقظته كان قادراً بالرغم من كل القيود التي كبلته أن يرفض العلمانية وأن يكشف زيفها وأن يبين أنها قضية ليست عربية ولا إسلامية وليس في الإسلام من القصور أو المخالفة أو التعارض ما يحوج إلى مثل هذا التصور الذي قام به العلماء في وجه المسيحية والكنيسة من الوثبات والرهبانية والتماس منهج الإسلام في العلم التجريبي وفي فهم حقائق الأشياء .

❁ ❁ ❁

حاشية : مصطلح العلمانية من المصطلحات التي أثارت كثيراً من الجدل وهو ترجمة لمصطلح Seealarism بمعنى النسب إلى العالم (بفتح اللام) والعالمية أيضاً ويدل وجود النون في المصطلح على خصوصية المعنى كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقد استخدمت النون في كلمات العقلانية والنفسانية لتدل على معنى خاص مذهبي لا يدل على النسب بدون النون إلى العقل والنفس .

والبعض ينسبها إلى العلم وقد أوقعهم هذا في خطأ كبير حتى ظنوا أن ما يعنيه مصطلح العلمانية هو استخدام العلم في صنع الحياة وإذن فالإسلام علماني والعلمانية إسلامية ولا فرق بينها وهذا هو الخلط وهو أخطر مظاهر التزييف في معاني المصطلحات ذلك أن العلمانية مصطلح لم يوجد إلا في ظروف الصراع بين الكنيسة والدوله حول السلطة فرأى المفكرون آنذاك أن الحل يكمن في إبعاد الكنيسة عن السلطة وأطلقوا على الوضع الناتج عن هذا وصف العلمانية .

فالعلمانية في كل أحوالها مفهوم سياسي - لا حضاري - يهدف إلى إما فصل الدين عن الحياة وإما القضاء التام عليه وكلا المفهومين مرفوض من وجهة نظرنا نحن الإسلاميين.

ونحن نملك من الشجاعة ما يؤهلنا إلى إعلان رفضه لأننا نريد العمل بشرع الله وإقامة نظامه في الأرض ونحن لا نجد في غايتنا هذه ما كان يجده الأوروبيون من تناقض بين مراد الدولة وأهواء الكنيسة فإن المسيحية لم تكن ولن تكون مركز سلطة أو أداة صراع عليها ولم يحدث أن تناقضت أو تنافت غاية الدولة مع غاية الإسلام لأن الإسلام هو إرادة الله تبارك وتعالى لا إرادة العلماء .

ومن هنا يأتي خطأ المناداة بالزواج من الإسلام والماركسية وهو تصور يريد التأليف بين الإيمان والإلحاد في صيغة تجمع الشتات بمعنى الكلمة ، وهذا القول يحقق لأعداء الإسلام هدفاً طالما حرصوا عليه وهو ترويج المفاهيم المختلطة ودفن المفاهيم الصحيحة وقد أغنى

الإسلام المسلمين بمصطلح الإســـلام ومضمونه عن الكلمات المشـبوهة فنحن مســلمون سياسياً ، مسلمون اقتصادياً ، مسلمون تشريعياً ، مسلمون ثقافياً .

والإسلام حين يرفض العلمانية التي تنادي بفصل الدين عـن الدولـة فإنـه يرفـض بـالمثل الدولة الثيوقراطية التي تنادي بسيطرة رجال الدين على الدولة .

❁ ❁ ❁

وبالجملة فإن العلمانية ظهرت في أوروبا نتيجة عدة عوامل أهمها موقف رجال الديـن من النهضة ومعارضتهم للكشوف العلميـة ومنهـا هـدف اليهـود بالقضـاء علـى سـلطان المسيحيه في المجتمع الغربي وبذلك يتاح لهم السيطرة السياسية والنفـوذ العسـكري ومـن هنـا يبـدو ذلـك البغـض الشـديد للديـن في فلسـفات عديـد مـن الفلاسـفة أمثـال نيتشـه وماركس وفرويد .

ولقد وقف الغرب بالعلمانية ضد أشياء كثيرة عزلها عن المجتمـع وأهمهـا الـترابط بـين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وبين الدين والأخلاق وبين الدين والقومية .

أما نحن في مجال الإسلام فالأمر يختلـف تمامـاً ، فالإسـلام ليـس دينـاً بمفهـوم اللاهـوت ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع وعلاقة ذات طرفين بين الله تبـارك وتعـالى والنـاس وبـين الناس بعضهم البعض والإسلام هو الذي صنع الدولة فـلا خـلاف معـه وهـو الـذي بنـى المجتمع وأنشأ التوجيـه والأخـلاق جـزء منه ومـن هنـا لا نجـد للعلمانيـة في مجتمعنـا مـا يؤيدها.

لقد كانت المسيحية مجموعة من الوصايا لأنها تابعـة للديـن الموسـوي ، فلمـا انفصلـت أرادت أن تنشىء نظام مجتمع ، فأنشأت مفهوماً بشـرياً ضـاق عـن الإحاطـه بنظـام اللـه تبارك وتعالى الجامع .

ومن هذه النقطة بدأت كل أزمات الحضارة والفكر الغربي .

ثانياً : التطور : نظرية دارون :

كانت فكرة التطور هي أولى السموم التي طرحتها رياح التغريب في أفق الإسلام للقضاء على مفهوم التوحيد الخالص القائم على استقلالية خلق الإنسان على النحو الذي قدمه القرآن الكريم والسنة المطهرة وبذلك نشأت تلك الثنائية الخطيرة حين قررت هذه المفاهيم على طلاب معاهدنا ومدارسنا لا على أنها نظريات قابلة للصواب والخطأ وأنها فروض تقدم بها العلماء تتغير مع إتساع دائرة العلم بل على أنها علوم حقيقية يجب الإيمان بها إيماناً كاملاً .

وكان أخطر ما في نظرية التطور الداروينية البيولوجية أن بعض القوى نقلتها إلى محيط الاجتماع كنظرية أساسية لا تعترف بالثوابت وتقرر أن كل الأديان والقيم والأخلاق والعادات تتطور وتتغير ولا تثبت على حال وكان هذا هو أخطر ما قدمته الداروينية ومن بعدها مقررات هربرت سبنسر وغيره .

ومع أن دارون أعلن بأن نظريته غير كاملة وأن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها مما يثير الشبهات حول ما قدمته من تصورات ، فإن قوى كثيرة أرادت أن تنتفع بالنظرية وأن تستخدمها في مجالات كثيرة أهمها في تصوير الإنسان بأنه حيوان وفي دعوى أن الإنسان الضعيف يجب أن يستعبد ويكون في مقام العبيد للسادة المسيطرين الذين يملكون القوة .

ذلك أن الداروينية في تفسير بعض أعداء الإنسانية زعمت أن قانون الحياة والإحياء هو صراع الاضداد على البقاء وأن البقاء في هذا الصراع ومن ثم الارتقاء هو للأقوى لأن الأقوى هو الأصلح ومن هنا أعطت هذه الفكرة للحضارة الغربية في عصر المد الاستعماري التبريري المشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم أو الحضارات والداروينية لم تظل كلمة واحدة عن القوة ولم تزعم أن الأقوى هو الأصلح وإنما قالت أن الأقدر على التكيف مع البيئة والظروف الطبيعية هو الاصلح ، وأن مفهوم البقاء

للأصلح لم يرد على لسان (دارون) نفسه وإنما كان الذي أشاعه هربرت سبنسر الذي تحمس لآراء دارون وحولها من نظرية في علم الأحياء إلى مذهب شامل يسري على تطور المجتمعات والنظم الأخلاقية والتعليمية لا على التطور البيولوجي للكائنات الحية فحسب ومن أشهر الداروينيين هكسلي وجماعته الذي يؤكدون ضرورة التمييز بين ما يحدث في الطبيعة وبين ما يحدث في الميدان الاجتماعي والأخلاقي ويرون أن للميدان الأخير قوانينه الخاصة التي لا تخضع لمبدأ الصراع من أجل البقاء .

ومما حاوله الذين التقطوا نظرية دارون لغايات تتعلق بتدمير الجوييم (غير اليهود) القول بأن كل شيء يبدأ ناقصاً شائهاً يثير السخرية والاحتقار ثم يتطور بلا قداسة لدين ولا وطن ولا قانون وهو تصور يهدف إلى الانتقاص من شأن الدين المنزل .

٢- أما قضية الداروينية الكبرى فهي القول بأن الإنسان والقرد من أصل واحد وهي مقولة أكدت كل الدلائل العلمية والحفريات كذبها وفسادها وفي عشرات من المؤتمرات التي عقدت خلال العقدين الأخيرين تأكد سقوط نظرية دارون عن النشوء والارتقاء والتي كانت تقول بأن أصل الحياة جاء من كتلة هلامية خرجت من البحر وأثبتت الأبحاث بالأدلة العلمية خطأ هذه النظرية والتي ظلت مسيطرة على أفكار العالم أكثر من مائة سنة.

ولم يعد الآن من يقول بما قامت عليه نظرية التطور القائمة على قانون الانتخاب الطبيعي القائل بأن الحياة نشأت بمحض الاتفاق والمصادفة البحتة .

ذلك أن ادعاء المصادفة في نشأة الحياة قول يبرأ منه العلم وتنفيه حقائق الكون فإن النظر في سمائه وأرضه وحيواناته وطيره وبحره وبره وزرعه كفيل بدحض هذا الافتراء (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) .

وإذا كان الإنسان مكون من عناصر مادية فحسب وليس فيه روح من أمر الله تبارك وتعالى فكيف فشلوا في تحضير الخلية الحسية رغم معرفتهم بتكوينها العنصري والكيميائي (محمد أحمد المسير) .

٣- وما تزال نظرية دارون حتى الآن وبعد مائة عام ويزيد نظرية علمية الفرق بينها وبين الحقيقة العلمية أنها لم تتأكد صحتها عن طريق التجربة في المعامل وهو ما يتمثل في المشاهدة بعد التشريح ورؤية مكوناتها بالعين المجردة .

فالنظرية العلمية كما يقول دكتور يوسف عز الدين عيسى : أمر غير مؤكد ، مبني على فروض تكون صحيحة وقد تكون خاطئة ونظرية دارون لم تزد عن مجرد نظرية ولم تصل إلى مرتبة الحقيقة العلمية وقد ظهرت أبحاث كثيرة تكشف فساد نظرية دارون في الغرب ولكنها لا تظهر في بلادنا أو تحجب وبعد مرور مائة عام على نظرية دارون تدفق طوفان من المجادلات .

قال أرثر سليزنجر : إن نظرية دارون هي أحد ثلاثة أشياء تهدد الدين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، نشر هذا في عام ١٩٣٢ عندما كان سلامة موسى يلح إحلاحاً شديداً على نشر النظرية في مصر وفي عام ١٩٥٧ وبمناسبة مرور مائة عام على النظرية تدفق طوفان من المحاولات منها الداروينية المسيحية ، والتطور والرجل الذي اكتشفه .

وكانت الكتابات في محاولة لاستيعاب النظرية لصالح النظرية المادية (هكسلي وهربرت سبنسر) ثم جاءت استجابات معارضة تكشف عن فساد النظرية وقد اعتقد دريبير أن المسيحية والعلم لا يمكن أن يتفقا ولا يمكن بقاؤهما جنباً إلى جنب ولابد أن يتقهقر أحدهما ليفسح الطريق للآخر .

وكان إعلان الكنيسة الرومانية عدم رضائها عن العلم الحديث ومهاجمته قال دريبير أن الكنيسة الرومانية ينبغي لها أن تعرف حدود سلطانها (١٨٦٤) .

" وكان من تأثير دارون في اعتقادهم أنه دمر العقيدة المسيحية ، ذلك أن الخلق لم يكن حدث وفقاً للكتاب المقدس وإن الإنسان لم يخلق كما ورد في الكتاب المقدس ولكن انحدر من حيوانات سابقة فماذا يكون من شأن الوقوع في الخطيئة وما حاجتهم إلى الفداء (أي أن المسيح افتدى جميع المسيحيين بنفسه) وإذا كانت الأشياء تصنع نفسها وإذا كانت الكائنات الحية قد تكونت نتيجة صدفة بدون تخطيط وبلا هدف فما هي الحاجة (في رأيهم) لوجود قوة خالقة عاقلة مدبرة وملاحظة دفع عجلة الخلق .

لقد استخلص آخرون من الداروينية مثل هذه التساؤلات ولذلك فقد رفضوها واعتبروها نوعاً من الهذيان الذي لا يخضع لأي منطق ، هذا غير الذي حادوا عن المسيحية واعتنقوا الداروينية مروا خلال تجربة أليمة من عدم الاستقرار الفكري ، هؤلاء وحدهم هم الدين هجروا ما كانوا يعتبرونه شيئاً مقدساً وتحولوا منه إلى اتجاه مضاد وقد حدثت لهم هزة عنيفه .

وبعد مائة عام من ظهور كتاب " أصل الأنواع " " ١٨٧١ " كتب ويدنريش كتابه (قردة وعمالقة وإنسان) نافياً زعم سلفه ، ذاهباً إلى أن الإنسان أصله إنسان كما أكد القرآن منذ أربع عشر قرناً .

وكان شبلي شميل قد عاش في أوروبا (الثلث الأخير من القرن الـ١٩) يدرس نظرية التطور ، وأصدر كتاب في فلسفة النشوء والارتقاء (وهو من أشد الكتاب تطرفاً في النظرية وأثرها الاجتماعي) .

وكان جمال الدين الأفغاني قد هاجم النظرية المادية (الرد على الدهريين) كما كتب فريد وجدي في الرد على شبلي شميل عددا من الكتب وقد نقلت مفاهيم دارون إلى مادة الأحياء أو التاريخ الطبيعي في مدارسنا ولا تزال حتى الآن .

ولكن الأمر الذي كان له وقع الصاعقة على الداروينيين والتطوريين جميعاً هو الحفريات التي ظهرت في بقاع مختلفة من العالم وخاصة في أفريقياً وأثبتت فساد النظرية وهي كلها

تؤكد أن الإنسان منذ ملايين السنين كان يسير مستقيم الظهر ، فهو مستقل الخلقه منذ صنعه الله تبارك وتعالى بيده ونفخ فيه من روحه ، لم يختلط بأي نوع آخر من الخلق .

ومن العجيب أن يكتب بعض علماء الغرب يؤكدون ما جاء في الحديث النبوي فيقول "ويد تريش" في أحدث دراسة صدرت في لندن ١٩٨١م حيث أصدر حكما بالأعدام على نظرية دارون فهو يسقط حيثياتها من خلال الدراسات ذات الصبغه العلمية البحته كما يؤكد على أن أصل الإنسان عملاق وليس قرد أو غوريلا فأصل الإنسان كما يقول عالم في الأنثربولوجيا (عملاق) فالتفسير غير السوي لأصل الإنسان نفته الأديان السماوية وخاصة الإسلام ونظرية ويدتريش سبق بها القرآن الكريم منذ قرون بعيدة ليلفت النظر إلى مايورد في حكم التنزيل ، فالمؤلف نفسه أفرد الفصل الثالث من كتابه ليبرهن على أن أصل الإنسان إنسان وفي القرآن أن الله تبارك وتعالى أمر ملائكته للسجود لآدم الإنسان وليس ثمة دلالة أوقع وأكثر تعبيراً من قوله ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ .

وفي صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء) قول الرسول ﷺ ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : عليك ورحمة الله ، وزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)). أ.هـ

ويقول الدكتور مصطفى عبد الغني الذي أورد هذا في أهرام ١٩٨١/٥/٨ ، لقد آن الآوان لنعيد النظر فيما يقدمه لنا الغرب من نظريات وأن معايير البحث تشهد كل يوم تغيرات متلاحقه وسريعة مما لا يمكن معها التيقن من شيء أوالتثبت من نظرية .

٤- ويقول الدكتور موريس بوكاي في بحث ضاف عن القرآن وأصل الإنسان .

لقد استمد الغرب معلوماته في أصل الإنسان عن تعاليم الإنجيل بينما نجد في العالم الإسلامي أن القرآن الكريم لم يحو فقط ما جاء في الكتب السماوية بل أضاف إليها تعاليم خاصة بالإنسان نفسه لا تجدها في الكتب السماوية الأخرى .

وعندما بدأ التقدم العلمي اعتمد الإنسان على المعلومات التي ذكرت في التوراة والإنجيل ولكن بمجرد ما عرف الإنسان ما نسميه اليوم بالتفكير العلمي أو حتى مبادئه الأولية نجده بدأ في الشك ، ومن هنا نجد أن من عرفوا في ذلك العهد بالفلاسفة لم يترددوا في وضع نظريات قامت على أسس واهية ضعيفة .

ففي الغرب ظهر لأول مرة من يعارض ماجاء في الإنجيل من ثبات وعدم تطور الأنواع خلال العصور المختلفة ومن هؤلاء مونون في فرنسا ولامراك بنظريته عن التحول (أول القرن الـ ١٩) ولكن أهمها جميعاً كان دارون الذي ظهر في بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي ذكر في كتابه " أصل الأنواع " والذي يعد لطمة للإنجيل ، ويرجع هذا في رأيي إلى أن آراء أتباعه أكبر مما يرجع للكتاب نفسه .

فإن دارون نفسه لم يفلح في ذكر وشرح حالة تحول واحدة من نوع لنوع آخر وقد اعترف هو نفسه بذلك .

إن نظرية دارون التي تنقضها اليوم القواعد العلمية الثابتة كانت تأملات فلسفية أكثر منها علمية .

ففي كتابي (ما هو أصل الإنسان) رد العلم والكتب المقدسة يثبت النواقص والعيوب في نظريتة دارون وأتباعه بما كتبوه عن (نظرية التطور) ومنذ بدايتي لدراسة الطب عام١٩٣٧ وأنا أتابع عن قرب كل ما جاء عن التقدم العلمي في أصل الإنسان حيث أن المرء يحتاج كمية كبيرة من المعلومات عن موضوع يريد الحكم فيه والقليلون من يمتلكون هذا .

ومن أبرز المتخصصين في هذا المجال البروفيسر " ب جراس " من فرنسا ولدينا اليوم معلومات قيمة جدية تقوم على بيولوجيات الحميات وبيولوجيا الجزئيات ولكن للأسف نجد أن بعض العلماء يضعون نظرياتهم تسندها الأسانيد العلمية فقط ولكنها في الحقيقة تعكس فلسفاتهم الخاصة .

ومن الخطأ الربط بين دارون ونظريته ، وبين نظرية التطور عامة ، قد يقبل المرء التطور في المملكة الحيوانية ولكنا نرفض الجوانب الأخرى من نظرية دارون القديمة والحديثة ولكن يجب ألا نرفض كل ماجاء من علماء التطور فهناك حقائق لا يمكن لأي رجل متعلم رفضها ، فلقد تم تغيير في الشكل الإنساني على مر العصور ولكنها جميعاً لا تعارض مفهوم خلق الله (تبارك وتعالى) للإنسان كما جاء في الكتب السماوية الثلاثة بل العكس ، لقد ذكر القرآن هذا :

- لا توجد عشوائية في الحياة أو الصدفة .
- لا تطور في المملكة الحيوانية .
- عمر الأرض أربعة بلايين ونصف عام .
- عمر الإنسان بليون عام .

لا يمكن لأي حجة علمية جحد ما قاله الخالق عن الخلق .

علماء البيلوثيولوجي يقولون إنه ظهر منذ أكثر من خمسة ملايين عام مخلوقات حية .

إنسان جاوه اكتشف استعمال النار (ويقدر الزمن من ٥٠٠ ألف إلى ١٥٠ ألف عام مضى) .

إن التعديل الذي طرأ على الجنس البشري خلال العصور لم يعرف تحسناً في تكوين الأجناس بالمعنى الدقيق بل إن كل ما تعلمناه من دراسة التطور في المملكة الحيوانية يقترح أن إمكانية تفسيره بالتغاير الإحيائي العشوائي للجينات .

وبمراجعة كل الحقائق العلمية نجد ما يأتي :

أ) أن فكرة الله تبارك وتعالى الخالق هي التي تقدم لنا التفسير السليم الشافي الذي لا يتعارض مع المنطق كما جاء في الكتب السماوية الثلاثة وعلى العالم الموضوعي قبول هذه التعاليم ونحن نقبل من الإنجيل الجزء الخاص بالخلق فقط .

أما في القرآن فقد تأثرت كثيراً بما جاء في القرآن عن الإنسان وما جاء في القرآن عن أصل الإنسان قوله تبارك وتعالى .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ " سورة الأنبياء " .

﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ .

ومن لا يعلم اليوم أن أصل الحياة بدأ في البحر .

ب) ما أشار القرآن إليه عن التطوير العلمي للجنين مرحلة إعطاء الله تبارك وتعالى للإنسان شكله .

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾ " سورة الانفطار " .

﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ " سورة التين " .

وعندما أرجع إلى كلمة (أطوار) كما جاءت في سورة نوح أرى أنها تفصيل وشرح لما يعرفه دارسو علم الأجنة ومراحله المختلفه أي أطواره المختلفة .

وما جاء في سورة الدهر **﴿ نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ﴾** .

وسورة الأنعام **﴿ إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾** .

إن هاتين الصورتين لتؤكدان أن اختفاء بعض الجماعات وإحلال بعض آخر مكانها بمشيئة الله عز وجل .

وما أكثر الأدلة والبراهين على عظمة الله عز وجل وعلى إعجاز القرآن وسيادته في كل زمان ومكان .

وبالجملة فإن الله تبارك وتعالى أجاب في القرآن على أسئلة لم تظهر إلا بعد خمسة عشر قرناً . أ.هـ

٥- عالمان أمريكيان في مواجهة نظرية دارون :

هل ينقلان البشرية إلى عصور ما بعد دارون ؟

مضى ١٢٣ عاماً على نشر كتاب أصل الأنواع لدارون وبعد قرن كامل من الزمان يحاول عالمان أمريكيان التصدي لنظرية النشوء والارتقاء حيث في تقديرهم أنه لم يكن ما قاله دارون هو الكلمة الأخيرة في قضية التشوء والتطور والارتقاء .

وحيث يقدم (ستيف هولد وتيلز لدووج) نظرية علمية جديدة تحاول حل لغز التطور وأصل الأنواع ، وقد تعاونا في حل المشكلة الكبرى التي تواجه العلماء وهو عدم العثور على حفريات توضح الانتقال التدريجي بين الأجناس المختلفة وهو ما يسمى بالحلقة المفقودة في نظرية دارون بعد أن استمر التنقيب قرناً كاملاً ، وكان رأيهما أن يتوقف البحث عن الحفريات وأن تقبل البراهين الموجودة في سجل الحفريات كما هي : النظرية قائمة على التوازن الموصول بين كل الأجناس وأن كل جنس تطور بمفرده ثم توقف لملايين السنين عند حد معين من التطور .

وقد كان الشك في الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح وهما حجر الأساس في الفكر الداروني فالتطور في رأي دارون ومؤيديه ينبع من التنافس الضاري بين الأفراد من أجل الموارد المحدوده ، لتبقى في النهاية الأقوى والأكثر قدره على التكيف ، أما النظرية

الجديدة فتقول : بوجود أجناس جديدة يبدو أنها انفصلت جغرافياً عن الأجناس التي كانت موجودة بالفعل .

قال ستيفن ستانلي : إن تطور الإنسان لم يتم بالنمو التدريجي للمخ من جيل إلى آخر بل تم بصورة متقطعة ليس لها صفة الانتظام حلت فيها الأجناس ذات المخ الكبير محل صاحبة المخ الصغير ويفهم من هذا أن التطور البشري ليس بالضرورة ناتجاً من التنافس الضاري بين الأفراد من أجل اختيار المكان الأفضل للمعيشة أو من أجل الموارد المحدودة للرزق .

وقد نشر دارون كتابيه عن التطور في عصر أحرز العلم فيه انتصارات كبرة وسادت فيه الفلسفة المادية وكذلك الإنسان هبط فيه من مكانه المتفرد بوصفة قمة الخلق إلى مجرد حيوان مثل بقية الحيوانات وكان ذلك في عصر الانقلاب الصناعي وتكوين الشركات الرأسمالية والتسابق على المستعمرات ، أي أنه عصر الصراع على الاستعمار ، ففكرة الصراع من أجل البقاء كانت في الأفق قبل أن تحاول أن يطبقها دارون على الكائنات الحية بل إن الصراع على مصدر الغذاء عبر عنه مالتوس في كتابه عن السكان قبل أن يصدر عن دارون هناك صراع في عالم الاقتصاد وصراع في عالم السياسة وصراع بين البشر على الموارد المتاحه وبهذا كان عالم دارون دامي المخلب والناب (دكتور محمد سيد غلاب) ولقد استفاد دارون من تقدم العلوم الأخرى في عصره وجاء أكبر تأييد في علم الجيولوجيا فقد أثبت (لايل) في كتابه (مبادىء الجيولوجيا) أن العالم قديم جداً بقّدر عمره بمئات بل آلاف الملايين من السنين وكان هذا أول تحد لتعاليم الكنيسة التي ناصبته العداء ، ولم يكن دارون أول من قال بالتطور فقد سبقه إليه فلاسفة الإغريق في القرن السابع قبل الميلاد كما أشار إليه فلاسفة العرب العلميون في رسالة إخوان الصفا ويسمون حكمة إلهية ما أسماه دارون انتخاب طبيعي ، ورد ذلك في كتابين أحدهما لأحمد بن مسكويه الخازن المتوفي ٤٢٩ في كتاب " الفوز الأصغر " والثاني

"تهذيب الأخلاق" وفيهما يشرح تدرج المخلوقات من الجماد إلى النبات إلى الحيوان ، وهذه النظرية التي تتضمن نشأة الأحياء كلها من أصل واحد ثم تفرعها وتشعبها وارتقاء بعضها واندثار البعض الآخر : هذه الرابطة العضوية بين الكائنات الحية هي نظرية التطور : هذه الوحدة العضوية التي تربط الأحياء بعضها ببعض تربط البشرية كلها وتدعو إلى الوحدة الإنسانية .

(ولكن هذه النظرية لا تقول بأن الإنسان من أصل حيواني) .

ويحدث التطور في رأي دارون بالتدرج الطويل وملائمة الصفات للبيئة أو الانتخاب الطبيعي ولكن علماء الأحياء اكتشفوا أن التطور لا يحدث هكذا وإنما يحدث بظهور طفرات أو تغيرات في موروثات الكائن الحي ويقف العلم حائراً عن الكيفية التي يحدث بها الطفرات وهذه هي معجزة الخلق وقد سجلت طبقات الأرض منذ الخلق الأول لنحو ثلاثة آلاف من ملايين السنين (يحتل فيها الجنس البشري إلا ثلاثة ملايين فقط) .

ولقد كان أول رد علمي على فساد نظرية دارون عندما عثر (ديبوا) الهولندي ١٨٩٠ في جزيرة " جاوة " على كشف حفري هام : هو غطاء جمجمة بشرية وعظمة ساق وتبين أن كلها لمخلوق بشري ، فأسرع وأطلق عليه الأسم الذي اختاره وأضاف إليه صفة بشرية هامة هي أنه منتصب القامة ومن ذلك الحين والكشوف البشرية تتوالى حتى أصبح لنا سجل يكفي لتصور النماذج البشرية التي سبقت نوعنا الحالي .

وقد انتهى علماء الحفريات البشرية إلى أن أقدم حفرية بشرية عثر عليها في جنوب أفريقيا وأطلق عليها أشباه البشر أو البشريات الحيوية ترجع إلى ٥,٥ مليون سنة وأحدثها ٢,٥ مليون سنه وقد وجدت مبعثرة في (فانق أولدفاي) في شرق أفريقيا إلى حوض نهر الترنسفال جنوبها .

ثم وضع إنسان جاوه وإنسان الصين وإنسان هايدلبرج في نوع واحد أطلق عليه الإنسان منتصب القامة ونفى عنه العلماء نهائياً صفة القردية وهو الجد الأعلى للإنسان ويرجع إلى ٧٠٠ ألف سنة قبل الميلاد .

وقد نفى جولد وألدروج في آرائهما الحديثة نفي نظرية التطور المبدع المستمر مستندين في ذلك إلى وجود ثغرات وفجوات في السجل الحضري على مدى ملايين السنين .

ويقرر العالم الفرنسي كوفيه في نظريته المسماه بالكوارث أن الخلق كان يحدث بالتتابع خلقاً بعد خلق .

٦- وعقد فيصل تليلاني فصلاً مطولاً تحت عنوان (بطلان نظرية دارون) قال إن دارون وهو يهودي الاصل عاش (١٨٠٩-١٨٨٢) وملخص نظريته أن جميع الكائنات الحية ترجع إلى أصل واحد مشترك أسماه خلية الحياة الأساسية الأولى وأن الإنسان والقرد انحدرا من سلالة واحده وذلك في كتابه (أصل الأنواع) الصادر ١٨٧٤ ونرى :

أ) أن ما أسماه دارون بتطور الكائنات الحية من نوع إلى آخر هوعملية خيالية غير واقعه لم تحصل لا بالتجربة ولا في الحياة العامة ولم يلاحظ ذلك على الإطلاق عبر تاريخ البشرية الطويل إلى يومنا هذا وبالتالي فلا يمكن اعتبار النظرية علمية ، هذه النظرية لم يلاحظها أحدهم أو يجربها في معمله فهي ضرب من المستحيل ، إن مزعومة الارتقاء معقدة وهي تتعلق بماض بعيد جداً ، فإنه من المستحيل ملاحظة نظرية دارون إذ إنها تخرج عن دائرة التجربة والإخضاع للاختبار وبالتالي خروجها عن نطاق العلم التجريبي.

وقد أعلن كثير من العلماء ومنهم (جايمس كونافت) أن كثيراً من النظريات المتعلقة بأصل الحياة ومنشئها ليست نظريات علمية على الإطلاق .

ب) وقد اعتمدت نظرية دارون على الحفريات ، لكن الاكتشافات العلمية الحديثة المتطوره والأجهزة العلمية الدقيقة لم تكن متوفره في عصر دارون ولما وجدت كشفت عكس ما ذهب إليه دارون .

جـ) أبحـــاث الدكتور ليكي مدير المتحف الوطني في كينيا : دامـت ٢٨ سـنة وانتهـت عام ١٩٦٤ وقد اكتشف خلالهـا أكـبر قـدر مـن الجمـاجم التـي قـاس عمرهـا بـأجهزة الإشعاع الذري فبلغ عمرها مليونين وستمائة ألف سنة وحجم مخها ضعـف حجـم مـخ القرد ، واستنتج من ذلك أن الإنسان الحديث أقرب انتماءً لهذه السلالة منه إلى القرد .

د) إن الاكتشاف العلمي الذي هدم نظرية دارون من أساسها :

هو اكتشاف اختلاف وحدات الوراثة التي أثبتت استحالة تطور الكـائن الحـي وتحولـه من نوع إلى آخر ، هناك عوامل وراثة كامنه في خليـة كـل نـوع ، تحتفـظ لـه بخصـائص نوعه ، وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ فيه ولا يخرج قط عن نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد ، فالقط أصلـه قـط ، وسـيظل قطاً على توالـي القـرون والكلـب كذلـك ، والإنسان وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوراثة هو الارتقاء في حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر ، وهذا هو الاكتشـاف العلمـي الطبيعـي الـذي أعـدم نظريـة دارون وأقبرها وقضى عليها وهو ما أشار إليـه (برترانـد راسـل) حـــين قـال في كتابه النظرة العلمية : لقد أخطأ دارون في قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغيراً كلياً .

لقد تأكد لنا بالدليل العلمي القاطع فساد وزيف هـذه النظريـة حيـث لـم يقبـل نظريـة دارون إلا العلماء الملاحدة الذين لا يؤمنون بالخالق تبارك وتعـالى : حيـث لـم يجـدوا مـا يفسرون به علّة ظهور أول إنسان علـى الأرض (وهـو آدم عليـه السـلام) فدافعـوا عـن النظرية وناصروها .

قال عنها بعض العلمـاء إنهـا وسـيلة منطقيـه لتفسـير مظـاهر الخلـق وليسـت بملاحظـة واقعية.

قال آرثر كيب : الارتقاء غير ثابت ولا يمكن إثباتـه ، ونحـن نؤمـن بهـذه النظريـة لأن البديل الوحيد هو الإيمان بالخلق المباشر (لأنـه ملحـد لا يؤمـن بالخـالق المباشـر) المبـدع

الذي يقول للشيء كن فيكون ، فالنظرية عند هذا الفريق من علماء الغرب أيديولوجية لتفسير خلق الإنسان الأول وليست حقيقة علمية .

ولقد رفض الفريق الأكبر من العلماء النظرية بعد أن اكتشف بطلانها وأدرك زيفها ومن هؤلاء والاس الذي أعلن أنه من المستحيل أن يكون الإنسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث إن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان وقال " إيلي دوستون " : إن النظرية الداروينية لا تقوم إلا على حكايات مخترعة لا تعلو قيمتها العلمي على قيمة حكايات المرضعات وقد تصدى علماء الإسلام للنظرية وعارضوها ورفضوها جملة وتفصيلاً مستلهمين روح القرآن وواعين بطبيعة النظرية وأهدافها الخبيثة وهي التشكيك في الدين وإشاعة الحياة الحيوانية وتدبير الثورة على الأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة .

هذه النظرية التي هاجمها جمال الدين الأفغاني وألف في ذلك (الرد على الدهريين) وروج لها سلامة موسى الذي كتب (التطور وأصل الأنواع) .

وقال إنها من النظريات الكبرى التي تسيطر على الثقافة الأوروبية وتصنع عقائد المفكرين وهي قائمة على درس التاريخ الطبيعي والحيوان والنباتات .

وقد حاول بعض المفكرين التوفيق بين الدين والعلم رغم أنه لا يوجد أصلاً في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة ما يشير إلى أن الإنسان قد تطور من حيوان سبقه إلى الوجود.

ومن هؤلاء محمد رضا آل الأصفهاني وعباس العقاد .

وقال العقاد في كتابه (التفكير فريضة إسلامية) على أنه يجوز للمسلم أن يأخذ بالمذاهب الفكرية الغربية ، مذهب التطور ومذهب الوجودية وما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديمقراطية أو يعمل للاشـــتراكية أو يعمل للوحدة العالمية وما الذي يمنع المسلم من أحكام دينه أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجـــودية في صورتها المثلى .

وقد جرى هذا نتيجة رغبة العقاد في التوفيق بين المذاهب الغربية والإسلام وقد فاته أن الإسلام منهج متفرد بأصالته ومميزاته الذاتية وأنه منهج رباني يعلو ويفوق المذاهب البشرية كافه ولا مجال للتوفيق بين ما هو رباني شامل وما هو بشري قاصر فالإسلام منهج مستقل قائم بذاته لا يقبل التلفيق أو التوفيق .

❁ ❁ ❁

كذلك فإن زكي نجيب محمود هاجم جمال الدين الأفغاني لأنه رفض نظرية دارون من منطلق إسلامي مستلهماً روح القرآن (في كتابه : من زاوية فلسفة) وقال : إنه رد خطأ صادر عن موقف وجداني رافض ليخاطب به جمهوراً .

وخطأ نجيب محمود في جعل السيادة والقول الفصل للعلم وليس للدين وفكرة زكي نجيب محمود أن للعلم ميدانه وللدين ميدانه ولايجوز أن يدخل أحدهما في ميدان الآخر ، هذا المفهوم غريب عن الإسلام الذي يجمع بين العلم والدين والدنيا والآخرة والعقل والروح وقد فاته أن العالم المسلم إذا ما وقف أمام قضية فكرية أوعلمية ما تتعلق بشئون الإنسان أو الكون أو الحياة ،وجب عليه أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم فحينئذ يجوز للعالم المسلم أن يجتهد ويستعمل عقله .

وخطأ زكي نجيب محمود في جعل السيادة والقول الفصل للعلم وليس للدين ، كان العلم إله وهو الذي يخطىء ويصيب ، ويثبت اليوم ما كان ينقص بالأمس .

وأحسن دليل على ذلك نظرية دارون التي دافع عنها الدكتور باسم العلم ثم أتى اليوم الذي جعله يدافع عن الأوهام حيث ثبت بطلان النظرية وكان الصواب لصالح الدين وليس لصالح العلم ، ذلك لأن القرآن الكريم لا يناقض العلم لأن القرآن صادر من خالق الكون الذي رتب القواعد العلمية الكونية ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ .

بينما العلم كشوف بشرية متأرجحة وعليه يجب إخضاع العلم للقرآن وليس العكس ، إنه يصدر عن المنهج الكنسي الذي يقيم صراعاً وعداوة وتنافراً بين الدين والعلم ، ذلك لأن الصراع بين الدين والعلم في الإسلام صراع مفتعل لا وجود له .

والخلاصة :

أن فشل نظرية دارون وبطلانها وثبوت زيفها يؤكد لنا ما يلي :

١- عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ والصواب وقابل للتعديل كلما اتسعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائله للمعرفة ، ذلك أن الحقائق الكونية التي وردت في القرآن الكريم هي حقائق نهائية صادرة عن الخالق جل وعلا الذي رتبها وأبدعها سواء طابقتها الكشوف العلمية أم لم تطابقها وسواء أكانت تلك النظريات إفتراضية أم تجريبية .

٢- تأكيد عظمة الفكر الإسلامي وسموه على جميع المذاهب الأرضية البشرية وخلوه من التناقض وأنه يجب أن يبقى القول الفصل دائماً للقرآن في كل الكشوف العلمية التي ورد بشأنها نص في القرآن .

٣- أكد لنا بطلان نظرية دارون إفلاس الفكر الغربي وتهافته ، وإذا كانت نظرية دارون قد فشلت فإن نظريات أوغست كونت وماركس وفرويد ودوركايم وسارتر في الفلسفة والعلوم الإنسانية هي نظريات إفتراضية وتفسيرات ذاتيه قد أسست على المنهج المادي الغربي وبنيت على تصور قاصر في فهم الكون والإنسان والحياة لأنها لا تضع في اعتبارها دور الخالق عز وجل في خلق الكون وتاريخ الإنسانية كما يجب على الذي يقولون تدريس هذه النظريات في جامعات البلدان الإسلامية أن لا يكتفوا بنقد هذه النظريات بل يجب عليهم أن يقدموا البديل الإسلامي لها وضرورة تأسيس علوم إسلامية في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتاريخ من وجهة نظر إسلامية .

ذلك أن العلوم الإنسانية تقدم فيها الخلفية الفكرية والإيديولوجية دوراً بارزاً وهي ليست علوماً محايدة كالعلوم الطبيعية التي تختلف قوانينها من بعد إلى آخر .

٤- بعض دوائر التنصير والماركسية تحاول إحياء نظرية دارون وبعثها من جديد وإعادة النظر لها لتستخدمها كسلاح للغزو الفكري والتشكيك في قيم الإسلام وعقيدته النقيه .

٥- أكد بطلان نظرية دارون خطأ محاولات التوفيق بين المذاهب الغربية والإسلامية : تلك المحاولات التي يقوم بها بعض الكتاب العرب كمحاولتهم في التوفيق بين نظريات أوغست كونت وماركس وفرويد والإسلام .

أن هذا المنهج لا يراد به إلا تذويب الذاتية الإسلامية المتفردة وتمييعها وبالتالي إخضاع المسلمين للتبعية الحضارية الذليلة بعد احتوائهم عقيدياً وفكرياً وثقافياً .

أ.هـ



٧- يؤكد بعض الباحثين أن الاكتشاف العلمي الذي هدم نظرية دارون هو اكتشاف اختلاف وحدات الوراثه التي أثبتت استحالة تطور الكائن الحي وتحوله من نوع إلى آخر فقد ثبت أن هناك عوامل وراثة كافية في كل خلية لكل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه وتحتم أن يظل في دائرة النوع الذي نشأ فيه ولايخرج قط من نوعه ولا يتطور إلى نوع جديد وكل ما يمكن أن يقع حسب نظريات الوارثة هو الارتقاء في حدود النوع نفسه دون الانتقال إلى نوع آخر .

هذا الاكتشاف العلمي كما يقول (فيصل تليلالي) هو الذي أعدم نظرية دارون وأقبرها وقضى عليها .

وأن الذين دافعوا عن النظرية هم الملاحدة الذين لم يؤمنوا بالحقيقة الأزلية ، حقيقة ظهور آدم عليه السلام على الأرض .

❁ ❁ ❁

ثامناً :

(١) أن الطبيعيين يعتقدون أن كل شيء على وجه الأرض هو من صنع الطبيعة أي أن الأشياء كلها من أصل واحد توالدت من بعضها البعض وبالتالي تبقى قدرة الخالق العظيم المبدع الذي خلق كل شيء على حده ومستقلاً استقلالاً تاماً في خلقه وليس له ارتباط بالآخر فهذه الأنواع المتباينة من الخلق والتي لا تعد ولا تحصى تدل على كمال قدرته تبارك وتعالى وعجيب صنعه ﴿ **قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ .

والمعنى كما يقول مجاهد إمام المفسرين : أنه لم يخلق خلق الإنسان في خلق البهائم ولا خلقه البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديراً .

وأن الله تبارك وتعالى يصرح في القرآن الكريم أنه خلق آدم خلقاً مبدعاً ليس له مثيل سابق وكرمه وأمر الملائكة لتسجد تكريماً له ثم تأتي النظرية لتقول إنه تطور من حيوان حقير .

(٢) إن نظرية النشوء والارتقاء وهي الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى وليس العكس أو نظرية البقاء للأصلح تخالف الواقع أمام أعيننا فإننا نرى أن الإنسان نفسه ينزل من أعلى إلى أدنى حيث يهبط من نشاط الشباب والقوة إلى ضعف الشيخوخة ثم الموت ، وليس من الضرورة أن يرقى الإنسان دون أن يهبط ولو كان البقاء للأصلح لانمحى وجود القردة من الوجود وبقي نوع الإنسان وحدة لأنه الأصلح .

والشيء الواضح أنه على الرغم مما قاله دارون وكل ماكتبه العلماء الطبيعيون طوال مائة وعشرين عاماً التي انقضت على كتاب (أصل الأنواع) فليس هناك اتفاق بين العلماء على أصل الحياة وكيف بدأت وكيف تطورت .

ويلقى تصور دارون للتطور على أنه عملية متصلة ومستمرة اعتراضات جانب كبير من العلماء ممن أتيحت لهم فرصة البحث الميداني والتنقيب والعثور على بعض الحفريات القديمة التي قلبت النظريات رأساً على عقب .

والعلماء يجمعون على أن الأنواع الجديدة لم تكن تظهر نتيجة تراكمات الثغرات الصغيره كما قال دارون ولكنها كانت تظهر فجأة ثم تستمر في الوجود دون أن يطرأ عليها أي تغييرات حتى تتلاشى وبطريقة فجائية أيضاً تظهر من بعدها أنواع أخرى تختلف عنها اختلافاً كبيراً ودون مقدمات .

(٣) التطور في خلق الله موجـود وثابت ولكنه ليس التطور الذي يقصده دارون ، فالتطور في خلق الإنسان نفسه حاصل لكل فرد إذ يمر في أطوار من الخلق بحيث يكون في بطن أمه نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً فهذه تطورات خلق الإنسان التي جاء بها القرآن ، هذا التطور غير ذلك التطور الذي يقصده دارون .

(٤) وفي الولايات المتحدة رفعت دعوى أمام محاكم ولاية كاليفورنيا يعترض أصحابها على تدريس نظرية دارون في المدارس ويطالبون بإيقافها حتى لا تصبح مفسدة لعقول النشيء ومخيبة لآمالهم في عقائدهم .

وقالت الدعوى إن المنادين بفكرة الخلق المستقل في مجابهة خطيرة مع التطوريين ، وهذا يعني أن هناك جهاد شديد ونضال شديد في الدفاع عن نظرية التطور تقوم به جهات يضيرها أن تسقط هذه النظرية التي تقوم عليها فلسفات مادية خطيرة ، وهناك استماتة في مقاومة الحقيقة التي سوف تظهر .

❁ ❁ ❁

وهكذا نجد أن ضرورة التحرر من التبعية للفكر الوافد تفرض علينا كشف فساد النظريات المادية ، وخـاصة فكرة التطور التي امتدت مفاهيمها في نظريات دارون وسبنسر وما جـاء به هيجل لتخلق وضعاً مضاداً لنظرية الثبات التي قال بها أرسطو ، ومن الثبات المطلق إلى التحول المطلق وكلاهما يختلف عن مفهوم الإسلام الجامع بين

الثوابت والمتغيرات وكلها نظريات لا تثبت أمام متغيرات العلوم والعصور بخلاف مفاهيم الإسلام التي لا تتغير مع الزمن لأنها حقائق كونية جاءت بإشارات هادية بالقرآن الكريم.

وكما ثبت فساد نظرية دارون (حيث أثبت العلم وكشفت الحفريات عن الجماجم والعظام التي دحضت نظرية الصلة بين الإنسان والقرد وعبرت الجماجم عن استقلالية كل عنصر من خلق الله جل وعلا وأن الإنسان منذ مشى على الأرض وقامته قائمة كما هي اليوم) كذلك ثبت فساد نظرية فرويد ودوركايم وفريزر وكشف العلم الذي هو مادة الفلسفة المادية عن عجزه عن فهم حقيقة الوجود وتضائل في أن تقصر مهمته على التعرف على ظواهر الأشياء .

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الدراوينية لم تكن لها مجال للإرادة الحرة التي قال بها (لامارك) وكذلك أيدها اليهود لفرض الجبرية التي تمثل فكرهم .

كذلك لم يكن في الفرويدية مجال للرغبة في التفوق الإنساني التي قال بها أدلر ويونج وبذلك أيدها اليهود لفرض علم النفس من خلال نظرية الجنس ولم يكن في الماركسية مجال للعوامل الأخرى التي تحكم مسيرة التاريخ ولذلك أيدها اليهود لفرض تفسيرهم المادي .

والمعروف أن كل الذين عارضوا نظرية دارون ونظرية فرويد ونظرة ماركس لانسلط عليهم الأضواء علماً بأنهم أكثر خبرة وتجربة وأوسع باعاً .

ولا ريب كانت نظرية دارون قاعدة الفلسفة المادية وتفرعاتها ، فقد أخذ العلمانيون عن دارون أن الكون ليس له صانع قدير هو الله تبارك وتعالى وأخذوا عن فرويد أن الدين ليس له وحي منزل بل هو من اختراع البشر أنفسهم في أول عهدهم بالحياة وجاء أوجست كونت في القرن الرابع عشر ليقدم للعلمانيين فلسفة جديدة أن المعرفة الإنسانية مرت بثلاث مراحل متدرجة من النقص إلى الكمال واعتبر العلم أرقى من الدين

والفلسفة وأنكر كونت ما لا يقع تحت الحس (الخالق - الدين - الوحي - الحياة الآخرة - ما وراء الطبيعة) أي الغيب .

وهكذا فتحت الداروينية الباب واسعاً أمام الفلسفة المادية ثم تبين أن كل النظريات قد تحطمت وانهارت لأنها خالفت الفطرة والعلم الصحيح وأن كل ما قام به دارون وأتباعه ومن جاء من بعده من تفسير أنواع الحياة تفسيراً تطورياً ليس إلا مبنياً على ظنون وفروض لم تثبت وجاءت الحقائق اليقينية سواء من ناحية العلم أم من ناحية الحفريات لتؤكد فساد النظرية .

حاشية : تحطيم الدين وهدم الأخلاق أساس المادية :

عملت اليهودية الصهيونية على احتضان كل فكر ينشر المبادىء الإلحادية والهدامة ولهذا لم يكن غريباً أن تراهم يتهللون لدارون عندما نشر نظرية النشوء والارتقاء ، ويشيرون في برتوكولات صهيون (إن دارون ليس يهودياً ولكنا عرفنا كيف ننشر أراءه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين) وقد شجعوا نظرية فرويد التي صبغت الحياة بصبغة الجنس فكل شيء وراءه دافع جنسي ولذلك تراهم يقولون في بروتوكولاتهم : (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا - إن فرويد واحد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس وتصبح همه الأكبر هو إرواء فرائزه الجنسيه وعند ذلك تنهار أخلاقه) كما يشجع اليهود نظرية إميل دوركايم لأنه لا يقر بوجود عاطفة فطرية تتجه صوب الدين في كل إنسان بل أنه أخذ يفرق بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة النفسية لتصل إلى النتيجة التي يريد أن يصل إليها لهدم الدين فيقول : (إن بعض العلماء يقول بوجود عاطفة دينية فطرية للإنسان وبأن هذا الأخير مزود بحد أدنى من الغيرة النفسية والبر بالوالدين ومحبة الآباء وغير ذلك من العواطف ولقد أراد بعضهم تفسير نشأة كل من الدين والزواج

والأسرة على هذا الوجه ولكن التاريخ يوقفنـا علـى أن هـذه النزعـات ليسـت فطريـة في الإنسان) وراح اليهود أيضاً ينشرون بأفكار نيتشه الإلحادية التي تنكر وجود اللـه وتعلـن أن الإيمان بالله هو نوع من الضعف الإنساني لأن الله قد مات (سبحان الله عما يقولـون علواً كبيراً) وشجعوا أفكار سارتر الإلحادية فهم يقولون في بروتوكولات صهيون (لقـد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بـالترويج لآرائهـم وأن الأثـر الهـادم للأخـلاق الـذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد . (مأمون غريب)

ثالثاً : الفرويدية (نظرية التحليل النفسي)

هما نظريتان متكاملتان ، أدت إحداهما إلى الأخرى ، وخرجتا في محيط الفكر الليبرالي العلماني القائم على الإلحاد والإباحة وهما من نتاج الداروينية والتطور يهدفان أساساً إلى تدمير كيان المناعة الإسلامي في الإنسان ويدفعانه إلى التنكر للفطرة والأصالة ويغريانه بتجاوز الضوابط والحدود التي وضعت لحماية الشخصية الإنسانية .

وهما يرتبطان بالإنسان وبالعلوم الاجتماعية والإنسانية وعلى رأس نظرية التحليل النفسي : فرويد اليهودي الأصل وعلى رأس نظرية الوجودية الملحدة سارتر وأمه يهودية ، أما فرويد فقد أعطيت فروضة أهمية قصوى وسارت بها جماعات التدمير لتفرضها على المناهج والعلوم والأدب والقصة دون زملائه (أدلرويونج) لأنه استجاب لأهواء اليهود المرتبطة بحيوانية الإنسان (في دارون) إلى تدمير الإنسان في فرويد حيث أخضعه للجنس ولنداء الشهوة .

وفي تقدير كثير من الباحثين أن علم النفس الفرويدي هو علم الجنس والهوى وتدمير الإنسان وهو دعوة إلى الجبرية وفصل العلم عن التطبيق وقد كشف الدكتور صبري جرجس الذي عاش أكثر من خمسين عاماً داعية لعلم النفس الفرويدي ثم لم يلبث أن وجد أن نصوص هذا العلم مأخوذة بكاملها من التلمود ومن مكر اليهود لتدمير البشرية.

بل قيل أكثر من ذلك : إن الفرويدية هي علم النفس اليهودي المخالف لمفهوم الفطرة والمختلف مع مفهوم الدين الحق .

ولقد بدأ فرويد من التحليل النفسي وأقر مفهوم الجنس كمصدر لتصرفات الإنسان كلها ولكنه لم يتوقف عند ذلك بل توسع في فرض مفاهيمه كنظرية عامة للمجتمع كله ، وقد رأى علماء النفس وغيرهم أنه اعتسف في فهم الإنسان والتاريخ حين قال إن مفتاح الشخصية الإنسانية هي الغريزة الجنسية كما روى عنه دكتور مصطفى محمود .

وأخطر ما في نظرية فرويد هو ما استمده من التلمود من أن الإنسان شرير وأنه ليس مخلوقاً عطوفاً ، وأن تركيبه الغريزي يتمثل في الرغبات الجامحة والعدوان بل إنه يرى أن العدوان هو المحرك للحياة وهذا هو مفهوم اليهودية الذي شكله اليهود في المنفى حقداً على البشرية كلها كما يرى أن الإخوة في الأسره يعملون على مناهضة الأب للإستئثار بالأم وهكذا يقدم فرويد مفهومه قائماً على أساس السيطرة والعدوان والتدمير وقد حمل هذا المفهوم كثير من الباحثين الذي اعتنقوا نظرية فرويد فقدموه إلى شبابنا في الجامعات أمثال الدكتور مصطفى زيور وغيره فأحدثوا في الوجدان المسلم اضطراباً شديداً وأزمة خطيرة (وخاصة بالنسبة للفتيات اللائي درسن علم النفس) .

وقد كان هناك صراع في هذا المجال سجله بعض تلاميذهم حيث كان الدكتور يوسف مراد يحارب هذا المفهوم ويقول : إن الحب لا العدوان هو المحرك الأول للحياة وأن المجتمع الأول هو الأخوة الملتفون حول الأم لا الأخوة القائمون على مناهضة الأب للاستئثار بالأم ويقول دكتور يوسف مراد : إنه ليس في طبيعة الإنسان الفطرية مايتعارض مع تحقيق التفاهم والوئام بين أفراد المجتمع والوصول إلى التكامل الاجتماعي بالقضاء على أساليب السيطرة والعدوان والتدمير .

وكان ذلك كله كمحاولة لهدم رأي فرويد من سار على دربه أمثال أنيس منصور وغيره الذي أعادوا إذاعة هذه الآراء على نطاق واسع عن طريق الصحف التي أفسحت لهم في صفحاتها فكان تأثيرهم شديداً على القراء من الطبقات العامة أيضاً .

وكان للفرويدية أثرها الخطير في شباب مراهق يعاني ضغوط اجتماعية ونفسيه وتفتح عيونهم على نظرية تفسر كل أمور الحياة والموت متطلعة إلى الدافع الجنسي .

وكان أخطر الأخطار هو تصوير فرويد لمستقبل الإنسان وهو تصور خاطىء فاسد كشف عن زيفه العلماء بعد وفاة فرويد من خلال عشرات المؤتمرات العالمية التي عقدت في عواصم العالم .

وتوالت كتابات المحللين النفسيين كاشفين عن خطايا فرويد وأخطائه وفي مقدمة ذلك كتاب (جفري ماسون) المتخصص في علم النفس في مكتبة الكونجرس الأمريكي حيث قال : إن فرويد تعرض للكذب والغش في التحليلات التي وصل إليها خاصة في نظرية الدافع الجنسي عند الأطفال التي توصل إليها عام ١٨٩٦م .

ويقول ماسون : إن معظم الأطفال الذي استعان بهم فرويد في تحقيق نظريته كذبوا عليه ولم يقدموا له معلومات حقيقية ، وقد اكتشف فرويد هذه الأخطاء الجسيمة إلا أنه لم يصلحها (وقد طرد ماسون من وظيفته نتيجة لهذه التصريحات) وقال ماسون : إن أنصار فرويد يخافون من تدمير نظريات التحليل النفسي بفضح هذه الأخطاء وقال إنهم محقون في تخوفهم وقال : إذا كانوا على استعداد لتأكيد صحة تحليلات فرويد فعليهم إعادة استجواب المرضى الذين خضعوا لتحليلاته منذ عام ١٩٠١ وطلبت أبنة فرويد إلى ماسون أن يعيد ٤٠٠ وثيقة من رسائل والدها يحتجزها عنده وتعتبر شهادة جفري ماسون من أقسى الضربات الموجهة للفرويدية خاصة وقد كشف من قبل أن فرويد كان على علاقة جنسية مع شقيقة زوجته فضلاً عما ذكر من أنه كان يتعاطى الحشيش والمخدر .

❁ ❁ ❁

وقد أشار كثير من الباحثين إلى سرقاته العلمية وتعرض لهجوم عنيف من جانب أكبر مدرسة من مدارس علم النفس .

وفي كتابان صدرا من بريطانيا وأمريكا هما :

١- حركة التحليل النفسي (رثت جيلر) .

٢- اضمحلال سقوط الامبراطورية الفرويدية (إيزنبك) .

يعتمدان على مقولة واحدة هي أن الجديد الذي جاء به فرويد يخلو من الصواب والصائب الذي قال به لم يكن جديداً وأن مذهب تداعي الأفكار الذي زعم فرويد أنه ابتكره كوسيلة للعلاج النفسي يجعل المعالج يطلق العنان لذكرياته دون تدقيق ، لم يكن

من ابتكاره بل كان من ابتكار (سير فرانسيس جالتون) قبل فرويد بأكثر من ربع قرن وتشير (جيلزر) أن فرويد سرق من نيتشه فكرته الأساسية عن ارتباط دوافع الإنسان ورغباته وتصرفاته بدوافع الغريزة الباطنة وغير الواعية .

❁ ❁ ❁

وقد أشرنا إلى أن القوى الهدامة دفعت بفرويد لوجهته المدمرة ، وأعلنه على زميليه (أولر ويونج) مع أنهما أكثر أصالة منه في منهج التحليل النفسي ، وتتركز نقطة الخلاف الجوهرية بين فرويد ويونج في أن فرويد يرى أن الجنس هو الأساس في كل الدوافع الإنسانية أما يونج فيقول إن الجنس ليس إلا دافعاً واحداً من دوافع عدة .

وقد نشر نظريته عام ١٩١٢ وقد أثبت يونج ومكدوجل أن العقل الباطن ما هو إلا خرافة ونوقش فرويد في مسألة العقل الباطن وعقدة أوديب فانكرهما أخيراً وقد كانت آرائه في التحليل النفسي والأرواح وغيرها مثار اضطرابات شتى حتى في نفسه هو (وما بالك) بباحث علمي يعتمد في إقامة نظرياته على الأساطير اليونانية القديمة .

وفي مقارنة أخرى نرى فرويد يؤكد ماضي الإنسان المباشر خلال حياة الفرد بينما يهتم يونج بالأبعاد الاجتماعية والثقافية لسلوك الإنسان كما أكد يونج التفاعل بين العّلية (الماضي) والغائية (المستقبل) كما أكد دور الذات الخلاقة في مواجهة الجنس عند فرويد.

ويختلف يونج مع فرويد في قضية الأحلام فنرى أن وظيفة الأحلام عنده هي إعادة اتزاننا النفسي عن طريق انتاج مادة حلم تعيد تأسيس التوازن النفسي الكلي وللأحلام عنده دور النبوءه والإخبار بالمستقبل وهي ليست محققة لرغبات أحبطت في الواقع كما يرى فرويد .

❁ ❁ ❁

ويعرض الدكتور أحمد شوقي إبراهيم لنظرية فرويد في العلاج بالتحليل النفسي فيقول : المعروف أن مذهب فرويد في التحليل النفسي يعد تطبيقاً لنظرية التطور في مجال علم

النفس وقد بنيت (دراساتهم على إنكار وجود الله تبارك وتعالى - هذا الأساس الخاطىء - فكل ما بني عليه لابد أن يكون خاطئاً أيضاً) .

ولما كانت فكرة التحليل النفسي تؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى وإنكار المثل العليا في الأخلاق فإن هذا يؤدي إلى أن نفهم أن فرويد كان ملحداً وأن نظريته في العلاج بالتحليل النفسي إنما بنيت على فكر إلحادي خاطىء ، ذلك أن شفاء الأمراض التي تعتري النفس البشرية إنما يتم بالاتصال بالله تبارك وتعالى والإيمان به والاستغفار له .

ويعتقد فرويد أن الأمراض النفسية هي نتيجة كبت لرغبات الغرائز الجنسية ، تلك الرغبات التي لا يقرها الدين ولا يرضى المجتمع عنها أولا يسمح العرف بها فيضطر صاحبها أن يكبتها في عقله الباطن بشكل لا شعوري بقصد إخفائها وتجاهلها ولكنها بسبب ما يحيط بالإنسان من شحنات عاطفية تحاول الظهور إلى الوعي وتسعى دائماً إلى التعبير عنها ، وبين محاولة الكبت ومحاولة الظهور ينشأ نوع من الصراع النفسي يسبب مرضاً نفسياً .

ويرى فرويد أن علاج الأمراض النفسية هو التحليل النفسي (بمجمل التحليل أن يسترخي المريض تماماً ويساعد على ذلك ببعض العقاقير المهدئة ثم يتحدث بكل ما في نفسه للطبيب النفساني المعالج بصوت مسموع) .

وهذا نوع من الاعتراف من المريض للطبيب بكل الأخطاء التي ارتكبها ، الهدف نقل الأخطاء والذنوب من مرحلة العقل الباطن إلى دائرة الوعي وهناك يحدث صلح بين النفس والضمير فيكف لوم النفس فينزاح عن النفس عبء ثقيل فيستريح المريض .

أما النظرية الإسلامية فهي الاتصال بالله تبارك وتعالى ومداومة الاستغفار له سبحانه ، إذ التحليل النفسي بمثابة اعتراف من المريض بأخطائه وهمومه إلى إنسان أخر ، لا يملك له نفعاً ولا ضراً ، أما الاستغفار فهو إفضاء المريض بكل ما في نفسه إلى خالقه تبارك

وتعالى والمريض يعلم يقينا أن الله تبارك وتعالى وحده هو الملجأ والملاذ ولا ملجأ من الله إلا إليه .

والاستغفار لله تبارك وتعالى بابه مفتوح لمن يريد بدون إجراءات وبدون تحديد موعد وبدون انتظار .

هذا فضلا عن أن التحليل النفسي لا يزيل ما في قلب المريض من خوف من محاسبة الله تبارك وتعالى فلا يمنحه الطمأنينة والارتياح ، أما الاستغفار فهو يزيل كل قلق وخوف من محاسبة الله تبارك وتعالى له ، وليس في وسع أي طبيب أن يعد مريضاً وعداً قاطعاً بالشفاء . أ.هـ

❁ ❁ ❁

وهكذا نرى أن الفرويدية قد سقطت تماماً في مجال البحث العلمي الإسلامي وانكشف فسادها وخبثها ورفضها الإسلام الذي يقدم من خلال نصوص القرآن الكريم والحديث النبوية دعائم منهج إسلامي لعلم النفس ، عني به كثير من الباحثين في مقدمتهم الدكتور حسن الشرقاوي الذي عرض لمفاهيم فرويد في بحث ضاف فقال : لقد ركز فرويد على الغرائز واعتبرها الأساس الأول الذي بني عليه نظريته أما البيئة فحدد دورها في تكوين الشخصية وحصره في إمكانية إشباع الغرائز وتلبية حاجات الفرد أو إحباطها .

وتلخيص فرويد يقرر إن الأوضاع الحضارية والبيئة تفرضان قيوداً وقيماً على شخصية الطفل ومن ثم تتنازع هذه القيم والقيود مع الحاجات والمطالب الغريزية التي تريد إشباعاً فيحدث صراعاً بين قيود البيئة وبين الرغبات الغريزية .

ومن حصيلة هذا الصراع - في رأي فرويد - تتكون شخصية الفرد - سماتها وخصائصها في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل ومهما يكتسب الفرد من خبرات في المراحل المختلفة ومن حياته فإن شخصيته لا تتأثر كثيراً فلا يحدث تغييرا عميقاً في معالم الشخصية بمعنى أن ما يحدث بعد ذلك إنما هو طلاء وزخرفة لبناء شامخ

استقامت جدرانه ، أي أن كل إضافة جديدة إنما هي داخل الإطار العالم للشخصية التي سبق تكوينها في السنوات الخمس الأولى .

ومن ناحية أخرى فقد تأثير فرويد بالمذاهب التي سادت القرن الـ١٩ واستعار آرائها وهي تزعم أنه لا توجد أي قوة عاقلة داخل الكائن الإنساني غير القوى الطبيعية الكيمائية وهذه القوى ترد إلى قوتين : الجذب والدفع .

وخلاصة ما تستهدف إليه هذه المدارس أن عالمي الكائنات النباتية والحيوانية أسرة واحدة وإن اختلفت مظاهرها .

والنتيجة الحتمية لهذا الرأي إنما تكمن في اعتبار عملية التطور للكائنات عملية ديناميـة وليس هناك من خارجها محركات عليا ، أي إنكار تام للجواهر والأرواح ، والتنظيم والتخطيط من أعلى ، بل ليس هناك إله مؤثر في هذا العالم وهذا منتهى الجحود والكفر.

وهذه الفكرة المستعارة عمل على تلفيقها في مذهبه لتفسير السلوك الإنساني ليخرج لنا نظرية تدعي أنه يمكن اعتبار ما هو غير معقول معقولاً بما سماه (الحتمية النفسية) ومؤدى هذه النظرية أن كل مظاهر السلوك التي تبدو غريبة وغير مفهومه هي في واقع الأمر نتيجة منطقية لأسباب سابقة ارتبطت بها وأدت إليها والإنسان عند فرويد مدفوع بقوى لا شعورية وبذلك أطاح فرويد بالإرادة والاختيار والعقل ، واستبدل بهم اللاشعور ولقد جعل اللاشعور مستودع المكبوتات من الانفعالات والحاجات وجمع فيه ما يعرف وما لا يعرف وأرجع إليه ما يفعله الإنسان وما لا يعقله فهو مستودع أوحال ومخزون أفكار وكل شيء في اللاشعور ولا شيء خارجه . كأن الإنسان عبر لطفولته لا يستطيع عنها عتقاً أو أنه أسير لشعوره ، لا يقدر عنه تحرراً ، لقد جعل الشعور بالإثم (الخطيئة) لا شعورياً أيضاً بلا علم الإنسان وبلا إرادة وبلا اختيار أي بفروض على لا شعور الإنسان .

ولقد خلط فرويد بين جبلات النفس وبين ما أودعه الله تبارك وتعالى في الإنسان من مواهب ولطائف شريفة كالعقل والقلب والروح فهبط بالإنسانية إلى أسفل سافلين وقد خلقها الله في أحسن تقويم فقد جعل فرويد الغرائز والشهوات مصيرة الأبدي وغايته ، أراد أو لم يرد وحتى إذا ارتفع عنها وتسامى فما ذلك إلا (برفاق) يخفي ذئبيته ويحتال به لإشباع غرائزه المتوحشة ونسي القوة الربانية التي وهبها الله تبارك وتعالى للإنسان من خير ومن ورع وتقوى ومن ضمير وعقل ، فلا وسط ولا اعتدال عند فرويد وإنما إنقياد أعمى للغرائز وإرجاع أغور للشهوات ودفع وجذب من ألة صماء يفسر بها قوانين العلة والمعلول ولا تفسير خارج عنها ، ولا قوة تستمد منها حركتها وإنما سبب ومسبب .

ولكنا نتساءل : من خلق السبب والمسبب ، بل من خلق العلة والمعلول في هذا الإنسان الحاصل على كل شيء في داخله .

لقد رد فرويد الشخصية الإنسانية المتعددة الجوانب والتي تحمل حد الخيروحد الشر والحق والباطل والإيمان والكفر والسمو إلى الكمالات الأخلاقية والسقوط إلى البهيمية ، رد فرويد حقيقة الإنسان إلى قوى غريزية غامضة تدفعه إلى سلوك غير متبصر وأعمال قسرية غير واعية فسحب عقله وجعله حيواناً أعجمياً تقوده ضغوط البيئة في العمل والسلوك والحياة فالذي تقبله البيئة يسلكه ، والذي ترفضه البيئة يكبته : أي صوره مشوهة هذه للإنسان ، ألم يرفعه الله ، ألم يقل سبحانه وتعالى ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ " سورة التين " .

ثم إن فرويد يدعي أنه يمكن تفسير أمراض الإنسان الحاضرة بدون شيء خارجي ، أي أن الإنسان يحمل في ذاته علل معلولاته وأسباب مسبباته ، والمطلوب الرجوع إلى السجل لنفتحه ونقرأ فنعرف سبب ما يحدث له ، وما يحدث ليس غريباً ولا غامضاً لأننا نكشفه بمجرد أن يرجع للماضي الفرد وبالأخص ، لا داعي إذن للتوبة لأن هناك حياة

نفسيه حتمية ، ولا داعي للندم فهذا الإنسان تحركه دوافع وحاجات قسرية ، وأن الخطيئة والألم لا يفعلهما الإنسان بإرادته والإنسان مغلوب على أمره وهذا الرأي مرفوض من جميع الشرائع بل مرفوض بالفطرة الحسنة :

قال تعالى ﴿ **ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ أي طريق الخير وطريق الشر ، إنه قادر على أن يختار بينهما .

إذن فالإنسان قادر على الاختيار بل قادر على الصبر وكظم الغيظ على ضياع المحبوب وتحمل المكروه وذلك بالعزم ومخالفة النفس ورياضتها وسياستها فالصابر حابس لنفسه عما تنازع إليه من الشهوات وما يشكو من المستكرهات ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابراً** ﴾ .

والصبر يأمر به العقل والعقل موهبة أودعها الله الإنسان وليس صحيح ما يدعيه فرويد بأن الكبت لا دخل للعقل فيه ، وبأنه عملية لا شعوريه ، ليس صحيح هذا الرأي إذ أننا فاضلنا بين فوائد الصبر وما يتبعه من الخير عاجلاً أو آجلا ، ظهرت حينئذ فضائل العقل وخساسة الهوى ، والذي يصبر ويكظم غيظه قادر على أن يغضب وأن يثور وأن يؤذي لأنه في موقف اختيار إلا أنه يختار الأفضل والأحسن والأبقى وذلك وارد في قوله تعالى ﴿ **والكاظمين الغيظ العافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ " آل عمران ".

﴿ **واصبر حتى يحكم الله** ﴾ " يونس " .

والصبر موقف علم وحال وعمل وجهاد للنفس ومخالفة لأهوائها وليس موقف مرضاً أو عصابياً وإنما هو موقف يدل على الصحة النفسية والقدرة على تحمل الابتلاءات والاختبارات والامتحانات ﴿ **فصبر جميل** ﴾ " يوسف " ، وعكس الصبر الجزع والقلق والخوف والهلع ﴿ **والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس** ﴾ " البقرة " .

❁ ❁ ❁

وهكذا نجد أن مفهوم التحليل النفسي والفكر الفرويدي كله محاربة لمفهوم أصيل رباني على الإنسان أن يأخذ به في مقام العزائم والقدرة على مواجهة الأحداث ، بينما يمثل موقف فرويد في مجال الرخص والضعف والانهيار والاستسلام للأحداث وهو ما لا يحبه الله تبارك وتعالى لعباده .

رابعاً : الوجودية – سارتر

تقدم الوجودية الملحدة التي قام عليها سارتر التلبية المطلقة لرغبات النفس حتى ينمحي من ضمائر الناس شعورهم بالإثم فقد صاغ الوجوديون الفكر السوفسطائي القديم عن اللذة في صورة جديدة فقد زعموا أن الإنسان وجد في هذا العالم ولم يختر حياته ثم إنه يموت ولا يموت أحد مكانه ومن هنا يجب أن يعيش حراً لا تفرض عليه أي قيم أو قيود أو دين أو عرف أو تقاليد .

وهكذا اتخذ الوجوديون من الإباحية واللامسئولية والتقزز والتحلل والتعري والانحلال الخلقي والتفكك الأسري والشذوذ منظومة قذرة لدفع الناس إلى طريق الفساد وهي في تقدير كثير من الباحثين عودة بالإنسان إلى الحرية الفوضوية والحيوانية في الجنس والأخلاق وعدم الالتزام بالعلاقات الإنسانية .

يقول الأستاذ مصطفى غالب : إن الوجودية تمثل الحرية الإباحية المطلقة من كل قيد أخلاقي واجتماعي وديني – هي الوجودية الإلحادية الإباحية السرترية التي تنفث سمومها الفتاكة القاتله في المجتمعات الإنسانية وخاصة المجتمعات الأوروبية .

وأنت لا تلمس في طيات هذه الدعوة أية فكرة من الأفكار الفلسفية البناءة الناهضة التي توفر الخير والسعادة لأبناء الإنسانية كما أنها لا تقدم أي قائمة من قواعد البرهان (العرفاني العقلاني) الذي تتطلبه من الأسس الصلبة للأديان الكبرى من حيث إيمانها العميق بوجود الله سبحانه وتعالى بل على العكس تماماً فهي تجعل من الإلحاد والزندقة والهرطقة مرتكزات هامة تبني عليها فلسفيتها الإباحية ، مما يمكن أن يسمى (هرطقة سارتر) في بذاتها اللفظية الهجومية القذرة فهي ليست فلسفة بالمعنى الواضح لهذه الكلمة بل هي ارهاصات ، ثمرة النزعة المادية في العلوم والانفعالات اللاأخلاقية الملحدة ثمرة النزعة الفردية التي كانت تسود عصره في السياسة والأخلاق .

فالفلسفات الوجودية ترى أن الوجود الإنسان مجرد عبث وقد شاعت بعد الحرب العالمية الثانية كرد فعل للمحن التي عانت منها المجتمعات الأوروبية وهي تشيع الآن شيوعاً غير عادي عن طريق الكتابات المسرحية في أوروبا .

هذه المفاهيم مرفوضة من وجهة نظر الإنسان المسلم لأنها تنبعث في أوروبا من واقع تاريخها الحضاري والديني والسياسي والاجتماعي ، فالوجودية نتيجة التشاؤم الواضح الذي يسود الفكر الأوروبي كله ويستمد تشاؤمه من نظرية (الخطيئة الأصلية) .

❁ ❁ ❁

تكونت لدى سارتر هذه الفكرة نتيجة لقراءته للوجوديين الأوائل : هوسرل وهيدجر وباسير وتكونت لديه الأرضية الفكرية للفلسفة الوجودية المفعمة بالإلحاد والزندقة والانحلال .

قالت أريس مردوخ في كتابها عن (سارتر العقلاني الدوفتيني) : إنه مفكر يقف تماماً في طريق ثلاث حركات من الفكر بعد الهيجلي : الماركسية والوجودية والفينومينولوجيا ، إنه يستخدم الأدوات التحليلية لدى الماركسيين ويشاركهم في عاطفتهم الحاره للعمل ، ولكن بدون أن يتقبل النظرة اللاهوتية للجدل ويأخذ من كيركجورد صورة الإنسان باعتباره الكائن القلق الوحيد ، وتقول إنه لا مكان إلااختيار ذي حدين : الموت أحدهما .

وخير ما يقال عن الوجوديه أنها ماتت في حياة سارتر ولم تستطع أن تحقق شيئاً ذا بال ، فقد نشرت جريدة (الهيرالدتريبون) ملخصاً لندوة تحدث فيها العديد من المفكرين الفرنسيين الذين يمثلون المرحلة التي تلت سارتر وقالوا إن سارتر كان لا يناقش أفكاره مع أحد وأن ماركسية سارتر لم تكن مؤثرة أبداً وإنه لم يهتم بالناس وكان يعتقد أن الأدب هو شيء برجوازي ، وظل طول الوقت يقول إن رذيلتي هي الكتابة ، إنها لا تطعم الطفل الجائع ، وكتبه في السنوات السبع الأخيرة من حياته لم تكن تباع جيداً ولم يكن يقرأها أحد .

وأن الفرنسيين الآن تركوا سارتر وتركوا فكرة خلقهم ويهتمون الآن بكتابات (لسكان) وهو أحد الثائرين على الفكر الفرويدي وعلى المنهاج الحالي في علم النفس ، ولما سئل البعض عن الوجودية رد كثير بأنها انتهت ، أن أخر فيلسوف كان له تأثير على فرنسا هو برجسون أما سارتر فرغم أعماله الكثيرة فهو لم يقدم شيئاً إلى فرنسا التي تغيرت تماماً ، إنها لم تعد فرنسا الستينات ، لقد عاش سارتر في برج عاجي ولم يعش في العالم الحقيقي ، إنه رجل مثل عصره ولعب دوراً واختفى وسيأتي بعد المئات .

❁ ❁ ❁

وكيف يمكن أن ينجح ويستمر مفكر يتهم الوجود كله بالعبثية أو الغيب لقد صور الكون وعلى حد تعبير كامل زهيرتي - على أنه عبث أو عالم ينتشر فيه الذباب والطاعون ومن هنا انتشرت تلك التعابير العجيبة عن الحرية والالتزام والوجود والغيب والقرف والغثيان .

وفي رواية الغثيان يصور سارتر فترة من حياته حيث بلغ به الإحساس بالوحشة والاشمئزاز من الوجود وهو مثل بودلير الذي عكف على دراسته تهاجمها فكرة الموت والعدم وهي مبعث فزع دائم تشعر أنهما باللزوجة والعفن والخوف من التحلل .

وكان فكر سارتر مرحلي متعلق بفترة عصفت فيها الأحداث بالفرنسيين بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية ، ولكنه سرعان ما فقد قيمته بعد أن تغيرت الظروف والأوضاع.

❁ ❁ ❁

لقد كشف الزمن عن فساد الوجودية والفرويدية معاً وكان لابد لنا نحن المسلمين من وقفة إزاء هذه المفاهيم ، فللمسلمين مفهومهم المتميز لعلم النفس وللإنسان وللحياة ولذلك فإن من الخطأ - كما تقول دكتورة إلهام مصطفى - ذلك السعي الذي يقوم به البعض لإيجاد صلة بين الأنا والسوبرإيجون في نظرية فرويد والنفس الأمارة والنفس اللوامة في القرآن فإن هذا التشبية خطير جداً لأنه لا يأخذ في اعتباره الافتراضات المغلوطة التي

أسس عليها فرويد نظرياته وبالجملة . فإنه يجب ألا يلبس الإسلام ثوب غيره ، فإن للإسلام تصور كامل لا يقبل التجزئة ولا يقبل الخلط .

ولذلك يجب أن نضع جانباً تلك المحاولات التوفيقية لتدعيم علم النفس الحديث بالقرآن ، وكذلك فيجب أن لا ننطلق إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس من فكر ملفق ومن ذلك محاولة البحث عن آيات القرآن التي تؤيد النظرية الوافدة أو تثبتها.

فالقرآن يقدم منهجاً أصيلاً لسلوك الإنسان المسلم حيث :

١- يهتم بتربية الإنسان وعلاقته بخالقه ثم علاقتها بالمتغيرات البيئية المختلفة ، فالقرآن الكريم يضم مبادىء وقوانين السلوك الإنساني وقد جسد الرسول ﷺ هذه القوانين السلوكية فكان قمة الرقي الإنساني والصورة الكاملة للتميز الأخلاقي .

٢- كذلك فقد عالج الإسلام مفهوم الصحة النفسية ببناء الإنسان من الداخل عن طريق غرس الإيمان فيعتقد المسلم أن الابتلاء من سنن الله في الكون والإيمان بقضاء الله وقدره يحمي المسلم من الإنهيار عند الابتلاء ويصونه من القلق والاكتئاب وذلك على عكس النظريات الحديثة التي تصور الإنسان وكأنه فريسة للظروف والعوامل المختلفة ، ومن أجل إقامة تأصيل إسلامي يجب أن تدرس النظريات الغربية للمعرفة العامة ثم تغير بمفاهيم وتصورات إسلامية تقدم حلولاً إسلامية لمشاكل علم النفس .

❁ ❁ ❁

ويرتكز الخلاف بين نظريات علم النفس الحديث من الإسلام في النقاط الآتية :

أولاً : أن هذه التصورات نابعة من نظريات دارون (النشوء والارتقاء) هذه النظرية التي تدعي أن الإنسان حيوان متطور وخلصت إلى أن كل شيء في الكون يتطور وهذه الفكرة تصادم مفهوم الإسلام .

ثانياً : أن هذه النظريات لم تصل إلى مفهوم الإسلام الجامع ولم تستوعب طبيعة الإسلام الروحية القائمة على الإيمان بالله تبارك وتعالى .

ومن هنا فإن نظريات علم النفس تظل قاصرة على العقل والحس مع إبعاد النفس لأن النفس لا تخضع للتجربة أو القياس وهذا سر إهمال علم النفس للنواحي الروحية والتعمق في النظريات الفسيولوجية .

٣- نظريات علم النفس لا تتفق مع الإسلام حول :

* الحقائق الغيبية الثابتة عن الإنسان .
* القوانين الأخلاقية التي نزل بها القرآن الكريم .

٤- خطأ القول بأنه لا علاقة بين الإسلام وعلم النفس بمقولة (هذا دين وهذا علم) .

٥- خطأ النظرة التي تقول أن علم النفس من نتاج الحضارة الغربية الملحدة (فلا نأخذ منه شيئاً) .

مع ملاحظة أن نظريات علم النفس الحديث لا تقبل التصورات الغيبية التي يؤمن بها المسلمون ، فالنظريات الحديثة أهملت الروح تماماً وبعضها يشكك في النفس ، لذلك فإن الإنسان الغربي يعاني أزمات معنوية بينما تجد أن الإسلام عني بهذه القيم حتى أن كلمة نفس وردت في القرآن الكريم أكثر من ٣٠٠ مرة .

❁ ❁ ❁

ونخلص من هذا إلى مجموعة من الحقائق تكشف فساد هذه الفلسفات ، يقول الدكتور مصطفى محمود بعد دراسته الواسعه لهذا الفكر : لا شك أن محاولة اكتشاف طريق واحد لفهم الإنسان والتاريخ هي محاولة ساذجة فالقول بأن مفتاح الشخصية الإنسانية هي الغريزة الجنسية ليس أقل سذاجة من القول بأن مفتاح حركة التاريخ هو الصراع الطبقي .

لقد ولد العلم في أوروبا مناهضاً ومعادياً للدين منذ البداية وفي الأسطورة الإغريقية يسرق برميثوس شعلة المعرفة والنار الآلهية ويعطيها للإنسان اختلاساً وتعدّياً على الله جل جلاله .

وقد ظنوا أن الشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة المعرفة وأن آدم بذلك اختلس المعرفة من الله تبارك وتعالى تعدياً وغصباً وهكذا جعلوا العلم نقيضاً للدين وهو فهم خاطىء صححه القرآن الكريم فالله تبارك وتعالى في القرآن علم آدم الأسماء كلها وهو الذي علم بالقلم وعلم الإنسان بطلب العلم والزيادة فيه ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾ .

وقد رأينا كارل ماركس يصدر حكماً على الأديان دون أي دراسة للدين الإسلامي لمجرد استقراء محدود للمسيحية في أوروبا ,

ويدرس الطالب أن الطبيعة خلقت النبات بصورة كذا لتتكيف مع الظرف كذا وأن الطبيعة خلقت للطيور أجنحة وللأسماك زعانف وللدواب أرجلاً وأن المادة تطورت من التراب إلى الإنسان بمقتضى القانون الجدلي والمودع فيها .

هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى نجد تلك المحاولة الضالة : محاولة اتكاء الفلاسفة الماديين على معطيات العلم كحقائق مسلمة وأن يبنوا عليها فلسفاتهم ويتغير العلم بتغير الاساس فإذا نظرياتهم تهوى الواحدة تلو الأخرى ، هذا ما حدث في حقول الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس .

إن المادية (الديا لكتينة) التي أقامت صرح نظريتها على معطيات العلم في القرن التاسع عشر والتي سميت بالعلمية ما لبثت أن تعرضت في القرن التالي وبخاصة في العقود الأخيرة منه لكثير من الهزات العنيفة لأن الأساس الذي بنيت عليه أخذ يتأرجح ويتمايل وتتهاوى بعض جوانبه .

وقد اعترف العلماء التجريبيون بأن أحكامهم ليست نهائية أن كل ما وصل إليه العلم في تفسير طبيعة الكهرباء مثلاً هو الأوصاف لا الماهيات ، أما كنهها وتركيبها وماهيتها

فلا يدري أحد عنه شيئاً ، وقال العلماء لقد قبلت الكهرباء ضمن الأصول والأجسام التي لا تقبل الإرجاع إلى أصل سابق عليها لأنها تستعصي على التحليل والإحالة ، وكذلك الفيزياء .

ومن هنا اختلف العلماء الكبار (تلامذة المختبر والتجريب والتعامل العلمي) مع المادة مع زعماء المدرسة المادية الديالكتية (ماركس وانجلز) وتلاميذهما الذين هم أقرب إلى خط الفلسفة وهم يطلقون أحكامهم ومقولاتهم الفلسفية بعيدا عن التعامل المباشر مع المادة ومن أكبر التجاوزات رغبة المادية وإصرارها إلى حد التشنج على ربط كل مسألة فلسفية عامة بمعضلة الصراع التاريخي الطبقي .

هذا وبالله التوفيق ،

أنور الجندي